



حبيب محفوظ

الظلمة

نجيب محفوظ

الحائز على جائزة الدولة التقديرية

وجائزة نوبل العالمية للآداب لعام ١٩٨٨

تحت المظلة

المنشور
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الجيزة

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

كتب هذه القصص

في الفترة بين أكتوبر وديسمبر ١٩٦٧

تحت الظل



انعقد السحاب وتكاثف كليل هابط ثم تساقط الرذاذ . اجتاح الطريق هواء بارد مفعما بشذا الرطوبة . حث المارة خطاهم غير نفر تجمعوا تحت مظلة المحطة . وأوشكت الرتبة أن تجمد المنظر لولا أن اندفع رجل . اندفع راكضا كالمنحون من شارع جانبي واختفى في شارع آخر على الجانب الآخر . تبعه على الأثر جماعة من الرجال والغلمان وهم يتصايحون « لص .. أمسكوا اللص » . وما لبثت الضجة أن خفت رويدا حتى ماتت وتتابع الرذاذ . وخلا الطريق أو كاد أما المتجمعون تحت المظلة فبعضهم ينتظر الباص والبعض لاذ بها خوف البلل . وبعثت ضجة المطاردة مرة أخرى وتدنأت في اشتداد وتضخم ثم ظهر المطاردون وهم يقبضون على اللص ومن حولهم الغلمان تهلل بأصوات رفيعة حادة . وعند عرض الطريق في المنتصف حاول اللص الإفلات فأمسكوا به وانهالوا عليه صفعا ولكما فمن شدة الضرب قاوم وضرب كيفما اتفق . وشدت أعين الواقفين تحت المظلة إلى المعركة .

— يا لها من ضربات قاسية عنيفة ! .

— ستقع جريمة أشد من السرقة !

— انظروا .. الشرطي واقف في مدخل عمارة يتفرج ..

— بل أدار وجهه إلى الناحية الأخرى ..

واشد الرذاذ فتواصل أسلاكا فضية برهة ثم انهمر المطر . خلا الطريق إلا من المتعاريكين والواقفين تحت المظلة . نال الإعياء من الرجال فكفوا عن تبادل الضربات ولكنهم أحاطوا باللص . وتبادلوا كلمات غير مسموعة معه وهم يلهثون . ثم انغمسوا في مناقشة هامة لم يميزها أحد دون مبالاة بالمطر . التصقت الملابس بأجسادهم ولكنهم واصلوا النقاش بإصرار وبلا أدنى اكتراث بالمطر .

ووشت حركات اللص بجرارة دفاعه ولكن لم يصدقه أحد . ولوح بذراعيه فكأنما يخطب ولكن ضاع صوته في البعد وانهلال المطر . إنه بلا شك يخطب . وما هم يصغون إليه . تطلعوا إليه خرسا تحت المطر . وظلت أعين الواقفين تحت المظلة مشدودة إليهم .

— كيف أن الشرطى لا يتحرك !

— لذلك خطرت فكرة .. أن يكون الحدث منظر تصوير سينمائى !

— لكن الضرب كان حقيقيا ..

— والمناقشة والخطابة تحت المطر !؟

شئ طارىء جذب النظر . فمن ناحية الميدان انطلقت سيارتان في سرعة جنونية . مطاردة حامية فيما بدا . المقدمة تطير طيرا والأخرى توشك أن تدركها . وإذا بالمقدمة تفرمل بغتة حتى زحفت فوق أديم الأرض فصدمتها الأخرى صدمة عنيفة مدوية . انقلبتا معا محدثتين انفجارا وسرعان ما اشتعلت فيهما النيران . وارتفع صراخ وأنين تحت المطر المنهمر . ولكن لم يهرع أحد من المحققين به إلى بقايا السيارتين اللتين أدركهما الخراب على بعد أمتار منهم . لم يالوا بهما كما لا يالون بالمطر . ولمح الواقفون تحت المظلة آدميا من ضحايا الحادث يرحف ببطء شديد من تحت سيارة ملطخا بالدم . حاول النهوض على أربع ولكنه سقط على وجهه سقطة نهائية .

— كارثة حقيقية بلا أدنى شك .

— الشرطى لا يريد أن يتحرك !

— لا بد من وجود تليفون قريب .

ولكن أحدا لم يهرع بمكانه خشية المطر . وقد انهل انهلالا خفيفا وقعقع الرعد . وانتهى اللص من خطابه فوقف ينظر إلى مستمعيه بثقة واطمئنان . وفجأة راح يخلع ملابسه حتى تجرد عاريا . رمى بملابسه فوق حطام السيارتين

اللتين أطفأ نيرانهما المطر . دار حول نفسه كأنما يستعرض جسمه العارى . تقدم خطوتين وتأخر خطوتين وبدأ يرقص فى رشاقة احترافية . وإذا بمطارديه يصفقون له تصفيقات إيقاعية على حين تشابكت أذرع الغلمان وراحوا يدورون من حولهم فى دائرة متماسكة . وذهل الواقفون تحت المظلة ولكنهم رغم ذلك استردوا أنفاسهم .

— إن لم يكن منظرا تصويريا فهو الجنون !

— منظر سينمائى بلا ريب وما الشرطى إلا أحدهم ينتظر دوره .

— وحادث السيارتين ؟

— براعة فنية وسوف نكتشف المخرج فى النهاية وراء إحدى النوافذ .

فتحت نافذة فى عمارة مواجهة للمحطة محدثة صوتا لافقا للنظر . لفتت الأنظار رغم التصفيق وانهمار المطر . ظهر بها رجل كامل الزى فصفى صغيرا متقطعا . وفى الحال فتحت نافذة أخرى فى نفس العمارة فظهرت بها امرأة متأهبة الزينة والملابس فاستجابت لصغيره بإشارة من رأسها . اختفيا معا عن أنظار الواقفين تحت المظلة . وبعد قليل غادرا العمارة معا . سارا متشابكى الذراعين بلا مبالاة تحت المطر . وقفا عند السيارتين المهشمتين . تبادلوا كلمة . أخذوا يخلعان ملابسهما حتى تعريا تماما تحت المطر . استلقت المرأة على الأرض طارحة رأسها فوق جثة القتيل المنكفىء على وجهه . ركع الرجل إلى جانبها . بدأ غزل رقيق بالأيدى والشفاه . ثم غطاها الرجل بحمده ومضى يمارس الحب . وتواصل الرقص والتصفيق ودوران الغلمان وانهمار المطر .

— فضيحة !

— إن لم يكن تصويرا فهو فضيحة وإن يكن حقيقة فهو جنون .

— الشرطى يشعل سيجارة ..

واستقبل الطريق شبه الخالى حياة جديدة . جاءت من الجنوب قافلة من

الجمال . يتقدمها حادى ويقودها رجال ونساء من البدو . عسكرت على مبعدة قصيرة من حلقة اللص الراقص . شدت الجمال إلى أسوار البيوت ونصبت الخيام . وتفرقوا فمنهم من تناول طعامه أو راح يحتسى الشاى أو يدخن وبعضهم غرق فى السمر . ومن الشمال جاءت مجموعة من سيارات السياحة محملة بالخواجات . توقفت فيما وراء حلقة اللص ثم غادرها راكبوها من الرجال والنساء فتفرقوا جماعات تستطلع المكان فى نهم دون مبالاة بالرقص أو الحب أو الموت أو المطر .

ثم أقبل عمال بناء كثيرون تتبعهم لوريات مثقلة بالأحجار والأسمنت وأدوات البناء . وبسرعة مذهلة شيدوا قبرا رائعا ، وعلى مقربة منه أقاموا من الأحجار سريرا كبيرا ، فغطوه بالملاءات وزينوا قوائمه بالورد ، كل ذلك تحت المطر . ومضوا إلى حطام السيارتين فاستخرجوا منه الجثث ، مهشمة الرعوس محترقة الأطراف ، وضمو إليها جثة المنكفىء على وجهه من تحت العاشقين اللذين لم يكفا عن ممارسة الحب ، ثم رصوا الجثث فوق السرير جنبا إلى جنب ، وتحولوا إلى العاشقين فحملوهما معا وهما لا ينفصلان فأودعوهما القبر ثم سدوا فوهته وأهالوا عليهما التراب حتى سووها بالأرض . استقلوا بعد ذلك اللوريات فانطلقت بهم فى سرعة عاصفة وهم يهتفون بكلام لم يميزه أحد .

— كأننا فى حلم !

— حلم مخيف ، ويحسن بنا أن نذهب ..

— بل علينا أن نتظر .

— ماذا نتظر ؟

— النهاية السعيدة ؟!

— السعيدة ؟!

— وإلا فبشر المنتج بكارثة !



فى أثناء الحديث تربع فوق القبر رجل يرتدى روب القضاء . لم ير أحد من أين أتى . من عند الخواجات أو من عند البدو أو من حلقة الرقص لم يعرف أحد . بسط صحيفة بين يديه وراح يتلو نصا كأنما ينطق بحكم . لم يميز كلامه أحد إذ غطى عليه التصفيق وضوضاء الأصوات بشتى اللغات والمطر . ولكن كلماته غير المسموعة لم تضع فانتشرت فى الطريق حركات كالأمواج الصاخبة فى عنف وتضارب . نشبت معارك فى محيط البدو وأخرى فى مواقع الخواجات . واشتعلت معارك بين بدو وخواجات . وجعل آخرون يرقصون ويغنون . وأقبل كثيرون حول القبر وراحوا يمارسون الحب عرايا . وأخذت النشوة اللص فتفنن فى رقصه وأبدع . واشتد كل شىء وبلغ غايته . القتل والرقص والحب والموت والرعد والمطر .

واندس بين الواقفين رجل ضخم . عارى الرأس يرتدى بنطلونا وبلوفر أسود وييده منظار مكبر . شق مكانه بينهم بعنف واستهتار . وجعل يراقب الطريق بمنظاره متجولا به بين الأركان . وتتم :

— لا بأس .. لا بأس ..

تعلقت به أعين المتجمعين تحت المظلة باهتمام :

— هو ؟

— نعم .. هو المخرج .

وعاد الرجل يخاطب الطريق مغمفا :

— استمروا بلا خطأ وإلا اضطررنا لإعادة كل شىء من البدء ..

عند ذاك سأله أحدهم :

— هل سيادتك ..

ولكنه قاطعه بإشارة عدائية وحاسمة فازدرد الرجل بقية سؤاله وسكت

ولكن آخر استمد من توتر أعصابه شجاعة فسأله :

— حضرتك المخرج ؟

لم يلتفت إليه وواصل مراقبته . وإذا برأس آدمي يتدحرج نحو المحطة فيستقر على بعد أذرع منها والدماء تتفجر من مقطع العنق بغزارة . صرخ الرجال فرعاً أما الرجل فحدق بالرأس ملياً ثم غمغم :

— برافو .. برافو ..

وصاح به رجل :

— ولكنه رأس حقيقى ودم حقيقى ..

فوجه الرجل منظاره نحو رجل وامرأة يمارسان الحب ثم هتف نافذ الصبر :

— غير الوضع .. حذار من الملل ..

ولكن الآخر صاح به :

— ولكنه رأس حقيقى ، فمن فضلك فهنا .

وآخر قال :

— كلمة واحدة منك تكفى لنعرف من أنت ومن هؤلاء ...

وثالث قال بتوسل :

— لا شئ يمنعك من الكلام !

ورابع تضرع قائلاً :

— يا أستاذ لا تضن علينا براحة البال .

ولكن الأستاذ تراجع في قفزة مباغتة . كأنما كان يدارى نفسه خلفهم . ذاب الصلف في نظرة مترقبة . وتوارت نفخته . كأنما طعن به السن أو تردى في مرض . رأى المتجمعون تحت المحطة نفرا من الرجال ذوى هيئة رسمية يتجولون غير بعيد من المحطة كأنهم كلاب تشم . واندفع الرجل راكضاً مجنوناً تحت المطر . انتبه إليه رجل من المتجولين فاندفع أيضاً صوبه يتبعه الآخرون كما صفة . وسرعان ما اختبوا جميعاً عن الأنظار . مخلفين الطريق للقتل والحب والرقص

والمطر .

— يا أَلطاف الله ! لم يكن المخرج كما توهمنا ..

— من يكون ؟

— لعله لص ..

— أو مجنون هارب !

— أو لعله ومطارديه ضمن المنظر السينمائي .

— هذه أحداث حقيقية لا علاقة لها بالتمثيل .

— ولكن التمثيل هو الفرض الوحيد الذى يجعلها معقولة على نحو ما .

— لا داعى لاختلاق الفروض ..

— فما تفسيرك لها ؟

— هى حقيقة بصرف النظر ..

— كيف أمكن أن تقع ؟

— هى واقعة .

— يجب أن نذهب بأى ثمن .

— سندعى للشهادة عند التحقيق .

— ثمة أمل باق ..

قال ذلك واتجه ناحية الشرطى وصاح :

— يا شاويش ..

كرر النداء أربعاً حتى انتبه إليه الرجل . فقطب متنحنحاً فأشار إليه يستدعيه

قائلاً :

— من فضلك يا شاويش ..

نظر الشرطى إلى المطر متسخطاً ثم حبك المعطف حول جسمه ومضى نحوهم

مسرعاً حتى وقف تحت المظلة . تفحصهم بقسوة متسائلاً :

— ما شأنكم ؟

— ألم تر ما يحدث في الطريق ؟

لم يحول عينيه عنهم وقال :

— كل من كان في المحطة استقل سيارته إلا أنتم فما شأنكم ؟

— انظر إلى هذا الرأس الآدمي !

— أين بطاقتكم ؟

ومضى يتحقق من شخصياتهم وهو يتسهم ابتسامة ساخرة قاسية ثم سأهم :

— ماذا وراء اجتماعكم هنا ؟

تبادلوا نظرات إنكار وقال أحدهم :

— لا يعرف أحدنا الآخر !

— كذبة لم تعد تجدى ..

تراجع خطوتين .. سدّد نحوهم البندقية . أطلق النار بسرعة وإحكام .

تساقطوا واحدا في إثر الآخر جثة هامدة . انطرحت أجسادهم تحت المظلة أما

الرعوس فتوسدت الطوار تحت المطر .

النوم



هذه النخلة الوحيدة في الفناء الترب تذكر بحوش قرافة ، يجرى ذلك في
خاطره كلما مر عبر الفناء إلى باب البيت الخارجى واعترضه صاحب البيت وهو
يرش الأرض بالخرطوم ، ناداه قائلا :
— أستاذ .

اللعة . أبغض يوم عنده يوم يصبح على وجهه . عجوز ناعم ، يفتر فوه
أحيانا عن ابتسامة كشق في لحاء شجرة .

— أنت شاب وحيد ولكنك مهذب طيب السمعة ، لا شكوى من
ناحيتك . فبالله ما معنى الجلسات التى تعقد فى شقتك لتحضير الأرواح ؟!
— هل أستجوب عما يدور داخل شقتى ؟.

— نعم ، إذا امتد أثره إلى من حولك ، ثم إن لى حقا فى مخاطبتك باسم
صداقتى القديمة للمرحوم والدك ..

انطبع الامتعاض فى صفحة وجهه فقال صاحب البيت :

— لم أرك مرة واحدة فى صلاة الجمعة !

— وما دخل ذلك فى موضوعنا ؟

— المؤمن لا يهتم بهذه الألاعيب ، هذا ما أعنيه !

ضحك الشاب ضحكة قصيرة وقال :

— ولكن الاهتمام بذلك يعنى الإيمان بالأرواح .

— كلا . يعنى الشك أولا وأخيرا .

فغير الحديث قائلا :

— أذكرك بمجدار دورة المياه .

— لا تهرب ، الحق أن هذه الجلسات تحدث بين السكان اضطرابا غير

مستحب ..

— أنا لا أرتكب فعلا مخالفا للقانون ، وأرجو أن الجدار ..

— من الافضل أن نبقى على وفاق .

ثم قال وهو يدفع بماء الخرطوم إلى بعيد :

— أما عن أى إصلاح فعليك أن تقوم به بنفسك .

ما أبغض أن يصبح على وجهه يوم العطلة . والطريق شبه خال كشأنه في
بواكير العطلات . وثمة سقيفة من السحاب الثابت تمتد فوق الضاحية . واشتد
عليه ثقل رأسه عقب ليلة لم ينم فيها أكثر من ساعتين . فبعد انفضاض حلبة
التحضير قال لزميله مدرس التاريخ :

— يطيب الآن الحديث في المصير ..

وتقضى الليل دون أن يجنوا من النقاش ثمرة . وقال له صديق ضاحكا وهو
يغادر الشقة قبيل الفجر :

— خير حل أن تتزوج !

وآوى إلى فراشه قلقا ووجه محبوب يترأى لعييه . لا ينبغي أن تبقى النخلة
وحيدة إلى الأبد . ولم كانت أمه تؤكد له دائما قبيل وفاتها بأيام بأن كل شيء
يدعو للحمد ؟ . وجد الكازينو خاليا في تلك الساعة المبكرة . واتخذ مجلسه عند
مدخل الحديقة الفاصلة بين الكازينو ومحطة الديزل . حياه الجرسون وجاءه
بالجرائد . أعد له مع القهوة سندويتش فول فبعد أن شبع ثقل رأسه أكثر وأكثر حتى
عجب أين كان النوم وهو يستجديه في فراشه . وتذكر درس المفعول المطلق
الذى سيلقيه غدا صباحا على تلاميذه فتذكر بالتالى زميله مدرس التاريخ ، قرينه
في المناقشات الجنونية .

— ولكن ما معنى ذلك ؟

— أنت ملرس عرى ، حسن هل عرفت فعلا بلا فاعل .. ؟



— اللغة بحر بلا حدود .

— مات محمد ، محمد فاعل ، ولكن أى فاعل هذا ؟! ، ولذلك فإنى أبحث عما أريد خارج نطاق اللغة ..

وجاء الجرسون لينظف الرخامة فسأله :

— كيف تبرر مطالبتك الزبائن بأثمان الطلبات ؟

ابتسم الرجل ابتسامة المعتاد لهذه الأسئلة الغريبة ، ثم تناول قروشه ومضى . وقال هو لنفسه « إنه يبتسم ابتسامة العقلاء ، ومع ذلك فما لم نعرف كل شيء فستظل معرفتنا الأشياء الصغيرة القرية ناقضة وغير مبررة » . ورنأ إلى السحب حتى ابيض كل شيء فى عينيه . ولكن البياض لم يثبت على حال ، لعبت به يد ساحرة ، تميع وتموج ، واستحال لونا معتما بلا شخصية ولا شكل . واختفى قطار الديزل الواقف فى المحطة أو ذاب فى السحاب . وبدافع من رغبته فى الهدوء المطلق مثل بين يدى بوذا فى الحديقة اليابانية . وسمع صديقه مدرس التاريخ يقول وهو يشير إلى بوذا « الهدوء والحقيقة والانتصار » ثم أكد قوله مكررا « الهدوء والحقيقة والهزيمة » . وجمع عزيمته على المناقشة ولكن أوراق الشجر اهتزت بصرخة حادة . صرخة طفل أو لعلها صرخة امرأة . وخفق قلبه وانتعش بروح الغزل . وأراد أن يستشهد ببيت من عمر الخيام ولكن هيات . وناداه صوت . التفت نحو مصدره فرأى صديقه الآخر وقد بادره قائلا « خير حل أن تتزوج » . وأطبق عليه وقع أقدام راكضة . وركض ليلحق بالديزل فرلت قدمه وتهاوى من فوق الطوار . رباه كيف اكتظ المكان بهؤلاء !. عشرات وعشرات وعشرات يقفون خارج سور الحديقة الصغيرة . وقوة من الشرطة تعسكر فوق طوار المحطة . حدث تحت السحاب الراكد ؟. وها هو الجرسون راجعا من الزحام إلى الكازينو . وقد مال الرجل نحوه قائلا :

— حضرتك رأيت كل شيء طبعاً ؟

فقطب متسائلا ومنكرا في آن فواصل الرجل :

— سوف تدعى فوراً إلى المحقق !

— أى محقق يا هذا ؟

— ارتكبت الجريمة في المحطة على بعد أمتار من مجلسك .

تساءل ذاهلاً :

— جريمة ؟!

— أين كنت يا سيدى ؟، جريمة القتل فظيعة ، ألا تعرف الآنسة

« المولدة » ؟

— المولدة !

— قتلها شاب مجنون الله يتقم منه ..

تقاص وجهه في ألم وذ هول ، وغمغم :

— قتلت .. لا أصدق .. وأين هى ؟

— حملوها إلى المستشفى لإسعافها ولكنها ماتت في الطريق .

— ماتت !

— ألم ترها وهى تقتل على بعد أمتار منك ؟

وبعد صمت عاد يقول :

— كيف لم ترها ، أما أنا فكنت مشغولاً في الداخل ثم خرجنا على صوت

الصراخ ، كان الملعون يطاردها وهى تجرى أمامه حتى طعنها في المكان الذى

يقف فيه المحقق ..

— والقاتل ؟

— استطاع الهرب ، حتى الآن على الأقل ، شاب صغير ، رآه ناظر المحطة

وهو يثب فوق السور ويستقل دراجة بخارية ، ولكن سيقبض عليه عاجلاً أو

آجلاً .

اشتد تقلص وجهه بالألم حتى تقوض في مجلسه . ومضى الجرسون عنه وهو يقول :

— كيف لم تر الحادثة التي وقعت بين يدك ؟
وأقبل شرطى فدعاه إلى لقاء المحقق . قرر أن يركز فكره المشتت مهما كلفه ذلك من عناء . نظر في ساعته فأدرك أنه نام ساعة على الأقل . ومضى مع الشرطى وهو يجرجر عليه . بدأ السؤال كالعادة بالاسم والسن والعمل .

— متى جلست في الكازينو ؟

— في السابعة صباحا على وجه التقريب .

— ألم تغادر مجلسك طيلة الوقت ؟

— كلا .

— ماذا رأيت ، حدثنا بالتفصيل من فضلك ؟

— لم أر شيئا !

— كيف ؟ لقد ارتكبت الجريمة في هذا الموضع ، فكيف لم تر شيئا ؟

— كنت نائما !

— نائما !

أجاب باستحياء :

— نعم .

— لم توقظك المطاردة ؟

— كلا .

— ولا الصراخ ؟

هز رأسه نفيا وهو يعرض على شفثيه .

— ولا استغاثتها وهي تناديك باسمك ؟

تأوه هاتفا :

— اسمي !

— أجل لقد نادتك مرارا ورجع الشهود أنها كانت تجرى نحوك مستغيثة

بك !

— حملق في وجهه بذهول وتمتم في توسل :

— كلا !

— هو الواقع .

— أغمض عينيه ولم يعد يلقي بالا إلى المحقق أو أسئلته حتى قال له هذا في ضجر :

— أجب .. عليك أن تجيب ..

— إني في غاية من التعاسة ..

— أكانت ثمة علاقة بينك وبينها ؟

— كلا ..

— ولكنها نادتك باسمك !

— نحن من ضاحية واحدة ونقيم في شارعين متجاورين ..

— شهد شهود بأنهم كثيرا ما رأوكما تقفان متقاربين في انتظار الديزل ؟

— توافق في المواعيد بحكم العمل ليس إلا ..

— أليس لاستغاثتها بك دلالة ما ؟

— لعلها كانت تشعر بإعجابي بها !

— إذن كانت هناك علاقة من نوع ما .

— ربما ..

— ثم بانفعال قاهر ..

— كنت أحبها .. كنت أفكر كثيرا في طلب يدها .

— أو لم تفعل شيئا في سبيل ذلك ؟

— كلا .. لم أكن اتخذت قرارا بعد . .

— ووقعت الواقعة وأنت نائم ؟

أطرق في خزى أليم :

— والآخر .. أعنى القاتل .. أليس لديك فكرة عنه ؟

— كلا .

— ألم تسمع عن علاقة لها بآخر ؟

— كلا .

— ألم تر أحدا يحوم حولها ؟

— كلا .

— هل لديك أقوال أخرى ؟

— كلا .

ما زالت السماء محجوبة وراء سقيفة السحاب الجامد . وتساقط رذاذ دقيقة واحدة ثم انقطع . هام على وجهه طويلا .

انقضى النهار وهو يهيم على وجهه . كأنما يداوى أزمته الطاحنة بالحركة المرهقة . وصادفه مدرس التاريخ أمام الحديقة اليابانية . هز يده مصافحا وهو يقول :

— تعال نجلس سويا ، لى رغبة فى الحديث .

فقال بفتور :

— من غير مؤاخذه لا رغبة لى فى الأحاديث الميتافيزيقية .

مط الرجل بوزه أسفا وتساءل :

— أحق ما يقولون من أن المولدة قتلت أمامك وأنت نائم ؟

فسأله غاضبا :

— من أدراك بذلك ؟

أجاب بنبرة المعتنر :

— سمعت به عند الحلاق !

— أمن العجب أن ينعس إنسان متعب ؟ .. وما ذنبه إذا قامت القيامة في أثناء ذلك ؟

ضحك الزميل وقال ملاطفا :

— لا تغضب ولكنى لم أكن أعلم بالعلاقة بينك وبين المولدة .

— أى علاقة ! .. أنت مجنون ..

— أعتذر .. أعتذر .. هذا ما سمعتهم يقولونه في دكان الحلاق ..

مضى في سبيله الذى لا هدف له . اللعنة ، ستتفخ الشائعات كالمناطيد .

ولن ترد قوة الجميلة اليانعة إلى الحياة ، حسرة لا دواء لها . واستغاثتها اليائسة ارتطمت بمجدار النوم ولكنها نفذت بطرق سحرية إلى آذان الضاحية . أيتها التعيسة إني أتعس منك . وقال له بائع السجاير وهو يعطيه العلبة :

— لا بأس عليك يا أستاذ ، البقية في حياتك ..

اللعنة . لا يبدو أن أحدا يجهل الواقعة . وها هم يقدمون له العزاء مسلمين

بداهة بعلاقته بها ، ها هي الخطبة تعلن بعد الوفاة . وربما تبادت الظنون وزاء ذلك .

ورماه البديل بنظرة ذات معنى . ما البديل ! .. يخيل إليه أن الأعين كلها

تتعقبه . إنه في الواقع مطارذ ، متهم ، مجرم . إنه مسئول عن الاستغاثة الضائعة

لا مفر . وغدا في المدرسة تنهال عليه الأسئلة . الجحيم الحقيقي ستدلع نيرانه في

حوش المدرسة . تخبط طويلا . تلقى أقوالا كثيرة كلها مثيرة مؤلة . إنه حديث

الضاحية . لا حديث للضاحية إلا الجريمة والنوم . « قبض على القاتل وهو تلميذ

بالتانوى » إذن قتلها العبت وجنون العيال . « كان القاتل يحبا ولكنها لم

تشجعه » لذلك بدت له دائما رزينة وجادة . « من المؤكد أنها كانت تحب

مدرس اللغة العربية » يا للحسرة .. شغل عن إسعادها بجلوسات تحضير الأرواح

ومنعه من إنقاذها النوم . « قال فى التحقيق إنه كان نائما ، أليس عجيبا ألا يوقظه الصراخ والمطاردة والاستغاثة » إنه لعجيب حقا ولكنهم لا يعلمون أنه قضى الليل فى تحضير الأرواح وأحاديث المصير . اعتصر الألم قلبه فتجرعه سما بطيئا . واضطر أخيرا إلى الرجوع إلى البيت وهو كاره . كان المساء يغشى حجاب السحاب بغلالة معتمة . وجد صاحب البيت يقتعد أريكة تحت النخلة الوحيدة . استقبله بلطف وقال :

— تبدو متعبا ، أرجو ألا يكون حديثى معك فى الصباح قد ضايقك ؟

هز رأسه نافيا فخفض الرجل صوته وهو يسأله :

— أحق ما يقال ؟..

فقاطعه بجدة :

— أجل .. قتلت المولدة على بعد أمتار من مجلسى فى الكازينو وأنا نائم ، هذه

هى المعجزة الثامنة !

— لم أقصد يا بنى أن ..

فقاطعه مرة أخرى :

— ولم أسمع استغاثتها ، وفى قول آخر أنى سمعته ولكنى تناومت ..

أقبل عليه الرجل معتذرا متأسفا ، وأخذه من ذراعه فأجلسه إلى جانبه قائلا :

— كان المرحوم والدك صديقى ، لا تؤاخذنى يا بنى ..

ومضت فترة غير قصيرة فى صمت وحذر ثم استأذن فى الانصراف فأوصله

الرجل حتى الباب الداخلى . وهناك همس فى أذنه :

— أكرر الرجاء فيما قلته لك فى جلسات تحضير الأرواح .

استلقى على الفراش وهو من العناء فى غاية ، ثم غمغم مغمض العينين :

— ما أحوجنى إلى نوم طويل ، طويل بلا نهاية ..

الفجر



كثيف الظلام كأنه جدار غليظ لا يمكن أن تخترقه عين . لا شئ يرى ألبتة .
إنهم يجتمعون في عدم ، ولا صوت إلا قرقرة الجوزة . والجوزة تدور حتى تنم
دورتها في الظلام فترجع إلى المعلم بطريقة ميكانيكية . وكثيرا ما كان المعلم
يقول :

— إنى أرى في الظلام ، اعتدت ذلك لطول معايشة السجون والخلاء ..
إذن فهو يراهم على حين أنهم لا يرونه ولا يرون شيئا . وبسبب الظلام يعيش
كل منهم في عالم خاص به مغلق الأبواب عليه . يجيئون من أماكن مختلفة ،
متباعدة ومتقاربة ، لا يدري أحد عن الآخر شيئا ، يشدهم إلى هذه الحجرة داء
واحد . والمعلم يدعوهم واعدائهم بالأمان والستر ، وكلما دعا أحدهم قال
له :

— في عزبة النخل دارى . وفي حوشها الخلفى فيما لى الحقول شيدت حجرة
مرتفعة ، معزولة عن الأرض بلا موصل يفضى إليها ، ستصعد إليها على سلم
خشبي سرعان ما يطرح تحت أكوام التبن ، فهى حصن لا يكبس ، ولها من
الظلام حولها حصن آخر .

أجل ، ها هم معلقون في الهواء ، غائصون في الظلام ، كأنما يعيشون في
الزمن الذى لم تكن الأعين قد خلقت فيه بعد . وكل يد تلامس اليد المجاورة عند
تناول الجوزة ولكن يد من هى ؟ ، أى شخص وأى هوية ؟ .
ويضحك المعلم ويقول :

— نحن مدينون للظلمة بالسلام الذى ننعم به ، صديقونى فإننى رجل مجرب !
لم يتوقع يوما أن يناقشه أحد خشية أن يفضحه صوته لدى آخر ممن يكفهم
الظلام . وكان يقول لهم :

— لو تعارفتم على ضوء شمعة لتبادلتم أحاديث لا نهاية لها ، ولاحتد الخلاف بينكم ، ولانقلب المجلس جحيما لا يطاق ، وطالب اللذة لا يحب ذلك أما أنا فأمقته مقتا .

وندت من الظلام همس ضحكات مكتومة فقال :

— أعرف بينكم أناسا مختلفي الأديان والآراء وها أنتم تمضون وقتا طيبا في سلام بفضل الظلام والصمت !

ند الهمس من جديد . لعلهم يسخرون كعادتهم ولو في سرهم . يا لها من طريقة طريفة لمعالجة التفرقة الدينية والفكرية ! . يسخرون وهم لا يعرفون للحجرة التي يترددون عليها شكلا إلا مس الشلت والحصيرة المفروشة بينها ! . وهو يسعل كثيرا ثم يقول بصوت كالقرقرة :

— إن أحدكم قد يلقي جليسه في مكان فلا يعرفه ، قد يكون زميلا في مصلحة أو عضوا في أسرة ، قد يريد له الخير أو يضرر الرغبة في قتله ، كل ذلك طريف للغاية !

إنهم جميعا غارقون في الإثم . وحامل الإثم جبان ولذلك فهم يكتُمون الضحكات فتضغط وتمط في صوت فحيح زاحف في الظلمة . ويضحك عاليا ويقول :

— إني أعرفكم جميعا ، الأسم والعمل والمكانة ، أما أنا فلا يهمني شيء ، لا يكبل الإنسان مثل حرصه المضحك على حسن السمعة ، وما سر الحرية التي أتمتع بها إلا السجن والخلاء وسوء السمعة !

يا له من صوت كالقرقرة . ونبرة لا تخلو أبدا من السخرية والثقة بالنفس . وسوء سمعته جدير بتخويف الناس من مجلسه لولا دبلوماسيته في معاملة السلطات . وعنده يجد المصاب ما لا يجد عند غيره من الصنف والطماينة . ويقبع في الظلام محتكرا الكلام والرؤية . ومرة قال ضاحكا :

— إنكم جميعا من السادة ، لكم منزلة تخافون عليها . أما الفقراء فلا يخافون على شيء ولذلك فلا مكان لهم عندى ، ولذلك فهم لا يؤمنون بالظلام والصمت ..

هذا الرجل رغم حقارته ذو مكانة يؤمن بها المصابون بالأدواء . يتلقون أياديه بامتنان . ولا ينتشلهم من العدم إلا عيناه المحطمتان لجدار الظلمة . وهو أحذب مغضون الوجه قصير القامة ، نيف على السبعين ولكنه ذو حيوية شيطانية . ويسألهم ضاحكا :

— لِمَ لا تجعلون من حياتكم كلها امتدادا جميلا لهذه الجلسة ؟

ثم قال وكأنه يجيب على سؤاله :

— ستقولون العمل .. الأسرة .. الواجب :

وضحك ساخرًا ثم واصل قائلا :

— لكنه لا شيء إلا الظلام والصمت !

وتنقضى فترة طويلة فى صمت ثم يعود قائلا :

— إني أسخر منكم بالكلام الفارغ وأنتم تسخرون منى فى قلوبكم بالصمت ، وهذا يعنى أنكم لا تتعلمون ، أما أنا فقد حققت لنفسى المعجزة ، رغم أنف الدنيا ، فلا أسرة لى ولا عمل إذ أن الموزع فى الحقيقة لا عمل حقيقى له ، وفى غمرة الذهول وجريان الأيام على وتيرة واحدة تبدو لى الحياة طويلة كثيفة مثقلة بالملل فلا أخاف الموت ، من منكم لا يخاف الموت !

وبرغم حقارته ، برغم ما يثيره فى النفوس من سخرية خرساء ، فقد مس وترا حساسا . ولكن من يصدق أنه لا يخاف الموت ؟ . ولم إذن بنى هذه الحجرة المعزولة فى الهواء والخلاء ؟

وفى ذات ليلة قال لهم بشقة :

— فى هذه الحجرة خلاصة مركزة لحكمة الحياة .

وكف عن الكلام طويلا . وإذا بالجوزة تتوقف عن الدوران . ظنوه ينشد شيئا من الراحة بخلاف عادته . وانتظروا فطال بهم الانتظار في الصمت والظلام . انتظروا وانتظروا ولكن لم يجد جديد . استهنكوا قدرتهم على الانتظار . تمنح بعضهم استحثاثا له على العمل ولكن دون جدوى . هل نام الرجل ؟ . هل أغمى عليه ؟ . هل مات ؟ .

وأقربهم إلى موضعه مد يده متحسسا مكانه ثم همس بقلق :
— ليس الرجل في مكانه !

وألصقهم بالبواب قام ليفتحه ولكنه همس في اضطراب :
— الباب مغلق بإحكام .

واضطرب أحدهم إلى رفع صوته قائلا :

— لا بد من وجود نافذة فليفتش عنها كل فيما يليه من الجدار .
ومضت فترة في التفتيش ثم تابعت الأصوات :
— لا توجد نافذة .. لا توجد نافذة ..

واستهانوا بالستر فقرروا إشعال أعواد الثقاب ليتبينوا موقفهم . ولكن أحد لم يجد علبة ثقابه . علبة السجار بمكانها أما الثقاب فلا أثر له ! . لا يمكن أن يقع ذلك مصادفة . سرق الثقاب ! . ولكن من السارق ولم سرقه ؟ . وماذا يراء بهم ؟ ! . ونادوا المعلم . نادوه بأصوات غاضبة . نادوه بأصوات رعدية ولكن لا مجيب ، لا مجيب على الإطلاق ، ولا صوت .

— أين ومتى ذهب ؟

— من أى منفذ تسلل ؟

— ما معنى اختفائه ؟

— كيف ولم سرق الثقاب ؟

— لعله ذهب لقضاء أمر قدمه حادث . .



— ولم أغلق الباب ؟

— ولم سرق الثقاب ؟

— أهرز وراء ذلك أم شر ؟

— نحن مهددون في الظلام ..

وعادوا ينادون الرجل فترتطم أصواتهم بالجدران الصماء . بحث حناجرهم ،
كلت قبضاتهم من دق الحيطان . وأطبق عليهم اليأس في الظلام . ما عسى أن
فعل ؟ هل تنتظر إلى ما لا نهاية ؟ . نستسلم حتى يتقرر مصيرنا ؟ . وما
مصيرنا ؟ . هل جن الرجل ؟ . استكانوا إلى مقاعدهم فوق الشلت وهم في نهاية
سن الأعياء . كأنهم جروا شوطا قطع منهم الأنفاس أو خاضوا معركة مزقت
الأوصال . حتى الخوف باخ تحت وطأة التلبذ الذي أخلفه الوهن . وتشاءب
شخص بصوت مسموع فجرى الشاؤب من فم إلى فم . وتساءل صوت :

— ترى هل سرقت علب الثقاب وحدها ؟

وفتشت الأيدي الجيوب حتى صاح أحدهم :

— بطاقة الشخصية !! لا أثر للبطاقة ..

وتتابع الأصوات :

— وبطائتي أيضا ..

— النقود موجودة أما البطاقة فلا أثر لها .

— ما معنى هذا اللغز ؟!

وأكثر من شخص أراد معاودة النداء فخذله صوته . وعاد الشاؤب يتردد في
نغمة ممطوطة مسترخية . ثم ساد في الظلام صمت ثقيل كأنه النوم أو الموت .

وإذا بصوت يشق الظلام متسائلا في هدوء :

— كيف حالكم ؟

تردد الصوت في الظلام وحده ولكن دون رد فعل فعاد يتساءل مرتفعاً

درجات :

— هوه .. كيف حالكم ؟

وندت حركة ضعيفة فى الظلام أعقبها صوت يقول بنبرة فازعة للأمل :

— المعلم !.. من ؟.. المعلم ؟

واستبقت الأصوات مرردة : المعلم .. المعلم .. فعاد الصوت يتساءل

متهمًا :

— كيف حالكم ؟

— تسأل عن حالنا !.. أنت !.. أى دعاية سمجة !؟

— كيف حالكم ، هذا ما أسأل عنه .

— أين كنت يا رجل ؟

— أنا لم أبرح مكانى ..

— ألا زلت مصرا على العبث بنا ؟

— صدقونى فأنا لم أبرح مكانى طيلة الوقت .

— كذاب .. تحسننا موضعك فلم نجد لك أثرا .

— لم يحرك أحد منكم ساكننا ..

— أيها المكابر .. لقد ناديناك حتى بحث أصواتنا ودققنا الجدران حتى كلت

أيدينا .

— لم يحرك أحد منكم ساكننا ، صدقونى ، وكنت طيلة الوقت بينكم !

— ما زلت متوهما أنك قادر على العبث بنا !

— صدقونى .. لم أفعل شيئا سوى أن أخذت بطاقاتكم وعلب الثقاب .

— ها أنت تعترف .. كف عن العبث .. لم نكن نعرف أنك نشال ماكر .

— بل أخذتها وأنتم نيام ..

— نيام !

- أجل وأنتم نيام ..
- لم يغمض لأحد منا جفن .
- بل نعم ساعة كاملة على الأقل أنجزت فيها مهمتى .
- أنت مطالب بأن تفسر لنا سلوكك الشاذ .
- طيب .. خطر لى أن أقوم بتجربة فذة .. خذرتكم بخطة عجيبة من ابتكارى ..
- إنك تهذى ..
- ستفقدون ذاكرتكم قبل طلوع الفجر .
- رد إلينا مسروقاتنا وافتح الباب .
- واستغرقتم فى النوم ساعة كاملة تبعا للخطة ، ثم أنستيقظتم ، وتشاءتم ، وندت عنكم همسات لا معنى لها ، ثم تكلمت أنا !
- لن يجدى خداعك ..
- نعم ساعة بدليل أننى أخذت ما أردت أخذه منكم وأنتم لا تشعرون .
- ولكننى تحسست مكانك ييدى فلم أجذك .
- لم يكن باستطاعتك أن تحرك يدك .
- ودققنا الجدار وناديننا بأصوات كالرعد ..
- عجزتم عن ذلك كما تعجزون عنه الآن ، ولكنكم توهمتم أفعالا لم تخرج فى حقيقتها عن نطاق رعوسكم ، كانت أفعالكم كالظلام الذى يلفكم لا وجود حقيقى لها ..
- ألا ترى أننا غير مستعدين للهزل ؟
- ستفقدون الذاكرة قبل الفجر ، لن يعرف أحدكم نفسه فضلا عن الآخرين !
- ألا ترى ..

— لذلك استوليت على بطاقاتكم ، لن يعرف أحد كم نفسه وهيات أن يعرفه أحد .

— اغسل رأسك بماء بارد .. أسرع ..

— غدا صباحا لن يوجد منكم أحد ، ستختفون كما اختفت بطاقاتكم ..

— هل جنت يا رجل ؟

— ليكن ، ماذا جنيت من عقل ؟ ، فلتجربوا جنوني ، وسوف أخدر نفسي بابتكارى العجيب ، ومن حسن الحظ أننى لا أملك بطاقة من الأصل ، فلنشكر للظلام والصمت واللبن أيادها ..

— يا مجنون يا مخرف ..

— ستفقدون القدرة على الكلام كما فقدتم القدرة على الحركة ، سوف ألحق بكم أعدكم بذلك ، انظروا جثثا فوق الشلت فغدا سيستقبلكم الخلاء أجسادا فتية مبللة بندى الحقول .

وساد الصمت . لم ينبس أحدهم بكلمة ، وترددت أنفاس نوم عميق .
وجعل ينقل بصره من واحد لآخر ثم تنهد بارتياح متمتا :
— مبللة بندى الحقول .

الوجه الآخر



زارني عثمان بعد غياب طال بسبب خدمة طويلة في الأقاليم . تعانقنا بحرارة .
تذاكرنا عهدا ماضيا امتد من الطفولة مارا بالشباب حتى الكهولة . وقد عاد
ليشغل وظيفة هامة رئيسية في جهاز الأمن عقب انتصارات خطيرة أحرزها في
مطاردة المجرمين . وبعد أن شرق بنا الحديث وغرب سألني :

— هل ترى رمضان ؟

توقعت هذا السؤال طيلة الحديث . حدثني قلبي بأنه آت لا ريب فيه .
وأجبت بأمانة :

— أجل ، بين حين وآخر ..

— ما زلتما صديقين ؟

— أجل !

— أليس غريبا أن تظلا صديقين وأنت المرئي الفاضل !؟

— الأمر لا يخلو من غرابة ولكنها عشرة عمر ، ثم إنه يلقاني إذا جاء كشخص
أيف مستأنس كأنما لا يمت بصلة إلى الشخص الآخر المثير للفرع ..

— لا أتصور ذلك !

— ولكنها حقيقة ، وعلاقته بي هي العلاقة الإنسانية الوحيدة في حياته فلا
عجب أن يحرص عليها ..

— قد يدهمك بغدره على غير انتظار .

— لا سبب يدعو إلى ذلك ألبتة ..

تنهد بحزن عميق . وشاركته مشاعره . إنه شقيقه . وهو يمثل نقطة سوداء
دامية في حياته وحياة أسرته . نشأ في بيت واحد . نشأنا في حارة واحدة تحت
ظل جيرة حميمة .. ولكن رمضان كان دائما ريحا هو جاء تعصف الوجوه بالطين

والتراب . وسألنى :

— هل تستطيع أن تهبىء لى لقاء معه فى بيته ؟

تفكرت مليا فى قلق فعاد يقول بإلحاح :

— لا بد من ذلك ، إنى مسئول عن الأمن ، وأنت أدرى بما فى موقفى من

خرج ..

— ولكنه .. أعنى ..

— ولكنه يمقتنى ويسىء لى الظن ، غير أنه سيثق فى كلمتك ..

— أعدك بالسعى إلى تحقيق رغبتك ولكن عدنى بالتزام الحلم إلى أقصى حد

مهما لقيت من استفزاز .

— ليس فى نيتى طبعاً أن أعرض بيتك المنعزل فى الضاحية الهادئة للفضيحة ..

إنى أعطيك كلمة شرف وأنت أدرى بقدرتى على ضبط النفس .

— وقد وعدتك ..

— تبدو غير متحمس ؟

— فعلاً ..

— وتراه لقاء عقيماً ؟

— أى نعم .

— ولكن لا بد منه ..

— أى نعم .

وتبادلنا نظرة طويلة حزينة . وتلبدت سماؤنا بغيوم الذكريات المتجهمة .

الصداقة الحميمة وقوى الهوس الصبباني التى انقلبت مع الزمن شراً كامراً . وقال

بنبرة كئيبة :

— لم أكن أتحيل أنه سيتردى إلى هذه الدرجة من الحضيض !

— ولا أنا ، ولو أن العمر والتجربة ومزاولة التريبة لم تدع لى مجالا واسعا

للدهشة .

— وكم أرقنتى أنباء تدهوره وأنا بعيد عن العاصمة .

— لم يكن فى الوسع صنع شئ .

— لا أشك فى أنك حاولت الإصلاح ما وسعك ذلك !

— طبعاً ، ولكن النصيحة تؤجج ناره ، فجنب الحديث الشائك .

— واحتفظت بصداقته رغم ذلك ؟

— كان الذى بيننا أعمق من أخوة حميمة ، ثم إن الإنسان الذى يجىء لمقابلتى

إنسان آخر ، طيب المعشر عامر بأجمل الذكريات ، يفيض بالود قلبه ..

— وكيف تفسر ذلك ؟

— إن الحية الغادرة لا تخلو من عواطف أمومة !

— ولكنك تعلم أنه وحش قذر وعار إنسانى !

— لن أدافع عن نفسى فأنى صديقه كما أنك شقيقه ..

— لا زلت أعجب أنك لم تقطعه !

داريت ابتسامة كئيبية وقلت :

— إنه ليس كائن من جنس آخر غير جنسنا ، الحكاية أنه أسير الأهواء التى

وقفنا إلى كبجها ..

— هو الفرق بين المدنية والوحشية ..

— إني لا أدافع عن انحرافه ..

ولذنا بالصمت ملياً ثم عاد يسأل :

— هل زرت مخبأه فى الجبل ؟

تساءلت بدورى ضاحكاً :

— هل تبدأ التحقيق معى ؟

فضحك ضحكة فاترة ولم ينبس فقلت :

— لا أدري شيئاً عن هذا الخبأ المزعوم . .

فقال بامتعاض :

— اعتداء ، برجة ، بلطجة ، مخدرات ، عريضة ، سرقة ونهب ، هتك

أعراض ..

— أما المبالغات فقد خلقت منه أسطورة ..

— إني أعرفه من المهد ، وأنت كذلك ..

— أى نعم !

— كنا ثلاثة ، وكنا واحدا ..

— أجل ..

— انظر كيف انشق وانحرف ..

— يا للأسف ..

— شرير بطبعه !

— الأفضل أن نقول إن ثمة معاملات صادفته داخل البيت وأخرى في

الطريق .

— لا هذه ولا تلك يمكن أن تبرر هذا المصير الأسود .

— أنا لا أدافع عنه ، ولا جدوى من ذلك .

نهض وهو يقول إنه آن له أن يذهب ، ذكرني بوعدى . ثم ودعنى

وانصرف :

وقلت لرمضان ونحن نحتسى الشاي بعد العشاء :

— أحدهم يروم مقابلتك .

حدجنى بنظرة ثاقبة . نظرة ينفذ بها إلى باطن محدثه إذا تشمم وراء كلماته

أمرا . وقال متهمكا :

— إن تكن امرأة فأهلا وسهلا بها ..

وأدركت أنه أدرك ببساطة :

— إنه رجل ، ومن رجال الأمن .

فقال مقطبا :

— توقعت ذلك مذ علمت بعودته إلى العاصمة .

— هذا يقطع بحسن ظنك به ..

فتقلص وجهه غضبا — وما أسرع انفعالاته — وقال :

— اللعنة ! .. إنه مثال العقل كما يقولون ، ولعله ازداد مع الأيام ثقل ظل ..

— لا شك أن وراء رغبته بواعث طيبة ..

— منذ المهدي وهو يود القضاء على !

— كان يود لك أن تسلك في الدنيا مسلكه ..

— العقل .. الاتزان .. الاعتدال .. النظام .. الاجتهاد .. الأدب ، إنه رمز

الموت في عيني !

يا للذكرى . شد ما تبادلا المقت . وبازدراء متفرز كان عثمان يقول عنه

« عاصفة مجنونة .. نزوة بلا ضابط .. ثور هائج معصوب العينين .. مجموعة من

الأكاذيب والخرافات » . شد ما تبادلا المقت ولكن من الغريب أنني أحبيتهما

معا . عثمان كان الرفيق الذي شجعني على الدرس والخلق والوطنية وأما رمضان

فكنت أهرع إليه ليروي ظمئي المكبوت إلى الانطلاق والأسطورة والغاية .

وقلت له :

— إنه أخوك على أي حال .

— ماذا يريد مني ؟

— ليس من الصعب أن نتخيل ..

— لعلها مكيدة !



فقلت محتجا :

— كلا .. ألف مرة كلا ..

— العقل يعنى الحكمة والأنانية والجبن !

— لك أن ترفض إذا شئت ..

— يجب أن يعرف أننى لا أخشاه .

— إذن فلنحدد موعدا ؟

— ولكنى لن أقع كذبا به ..

— والرأى ؟

— لعله يريد أن يتقم ؟!

— لقد انقضى الماضى واختفى وهو اليوم زوج وأب سعيد .

تذكرت عروس عثمان الأولى التى هربت مع رمضان منقوعة بالأسرة زلزالا .
وكيف عاملها بعد معاشرة أسبوع بوحشية حتى اضطرت إلى الاختفاء مجللة
بالعار واليأس . وعدت أقول :

— لقد مضى ذلك وانقضى !، ولك أن ترفض إذا شئت .

فتفكر مليا ثم قال :

— ادعه .. وسوف أحضر متأخرا بعد أن آخذ حذرى ..

وجاءنا رمضان ونحن ندخن فى حجرة المكتب . ووقف عثمان لاستقباله
فالتقيا وجها لوجه بعد فراق ربع قرن من الزمان . نظرت إليهما باهتمام محموم
وقلبى يخفق . تقابلا بوجهين جامدين لم يتحركا باختلاجة عاطفية واحدة .
وتصافحا مصافحة رسمية باردة ، وقال عثمان :

— أشكرك على قبول دعوتى ..

وجلس عثمان على مقعده على حين جلس رمضان إلى جانبى على الكنب .

واقترحت أن أنصرف ولكنهما أصرا — معا — على استبقائي . وقال عثمان مخاطبا أخاه :

— لا أظنك تجهل السبب الذى دعوتك من أجله ؟ ..
قال رمضان ببرود :

— صارحنى بما لديك .

— طيب نحن نعمل الآن فى مدينة واحدة ، ويحسن بنا أن نتجنب — ما وسعنا ذلك — وقوع المأساة .
— المأساة ؟ !

لم يحدد بتجاهله إذ كان على يقين من إدراكه لما يعنيه ولذلك واصل حديثه قائلا :

— عندى اقتراحان ..

فتساءل رمضان وهو يرمقه بتحد :

— أولهما ؟

— أن تسلم نفسك معلنا توبتك ولعل ذلك يخفف من عقوبتك ..

— وثانيهما ؟

— أن تبتعد عن طريقى بالوسيلة التى تختارها .

ضحك رمضان ضحكة هازئة ولاذ بالصمت . انظر عثمان مليا ثم تتمم :

— الحق أنى لم أتوقع خيرا !

— إذن فلم دعوتنى ؟

— لكى أبرىء ذمتى .

قطب رمضان غاضبا وقال :

— طالما رغب كلانا فى القضاء على الآخر !

— هذا حق فيما يتعلق بك .

— وفيما يتعلق بك أيضا ولكن كان لك أسلوبك الخاص .

— لا جدوى من الجدل ، والأفضل أن تفكر فيما عرضته عليك .

— لن تظفروا بدليل ضدى ولا شاهد ..

— أنصحك بالأطمنئن إلى ذلك .

— جرب حظك إذا شئت .

— سأجربه بلا أدنى تردد .

بدهنتى حقيقة طريفة . إنهما كانا يقتتلان طيلة العمر ومذ كانا فى المهد . لم يجد جديد سوى أنهما سيتلاقيان وجهها لوجه . سيكتشف كلاهما عما قريب أنه كان يقاتل شقيقه أو جزءا من نفسه .

نهض رمضان قائما . لوح بيده محيا . ومضى عابسا عصبي الخطوات .

بدأت المعركة بين الشقيقين عقب ذلك الاجتماع بأيام . دهمت قوات الأمن جميع الأماكن المشبوهة فى المدينة والجبل والخلاء . قبض على جميع من ظن أن لهم بالرجل علاقة من الرجال والنساء . واستجوبوا بعنف فتتابعت الاعترافات . وتضاعف عدد المقبوض عليهم بعد أن ثبت أن أعوانه منبثون فى أماكن لا حصر لها كالملاهى والأندية والمقاهى والمصالح الحكومية ، حتى أماكن العبادة لم تخل منهم . وتدفقت القوات بكل ثقلها فى مطاردة عنيفة جللت المدينة بطابعها الإرهابى فذكرت الناسين بأيام الطوارئ وليالى الغارات . فتشت العيون السيارات والتاكسيات والناقلات . ومسحت الكشافات زوايا الجسور ومنعطفات الطرق والخرابات . وطوقت القوارب الشراعية فوق سطح النيل واقترحت الخنوات على العاشقين . ومكالمة تليفونية عابثة كانت خليقة بأن تحرك فرقة كاملة من الشرطة وتزلزل عمارة آمنة . وندبة فى أنف رجل برىء أو بروز غير عادى فى جبهته قد تجر عليه من الولايات ما لم يكن يحلم به . ولم يكن

من النادر أن تند عن ركن من الطريق صيحة ، تعقبها أصوات أقدام راکضة ، ثم تنطلق رصاصات . فيخلو الطريق في ثوان . وتنقض على أديمه مطاردة عنيفة لا تنتهى إلى شيء . وأظلت المدينة سحابة قائمة تقطر رعبا .

تابعت أخبار المعركة باهتمام لم أشعر بمثله من قبل . وكنت على يقين من الخسران الشخصى مهما تكن نتيجة المعركة . فلا مفر من أن أفقد أحد أحب رجلين إلى قلبى . وموقف الحياد بينهما لا يهضمه ضميرى فلا بد من الانحياز إلى عثمان . غير أن عواطفى تمردت على واقتلت بمرارة ومزقتنى تمزيقا . فكلما أحرز رجال الأمن انتصارات حاسمة داخلتنى كآبة وأشفقت من خلو عالمى من رمضان ومرحه وأساطيره ومغامراته فى دنيا الجنس والتحدى . وكلما فاز الرجل فى مطاردة ونشر الرعب من حوله وهدد أخاه انقبض قلبى واستشعرت خوفا من تسلط قوى الهدم والعريضة وتمكنها من تقويض دعائم الأمن والحضارة . وانهم أمرى على نفسى ولم أعد أدرى أى رجل أكون ، ولا ماذا أروم ، ولا كيف أبلغ التوازن المنشود . هكذا تابعت أنباء المعركة باهتمام وانفعال وخجل وحيرة ..

وانتهت المعركة إلى خاتمتها المحتومة . وطلعت علينا الصحف ذات صباح بصورة رمضان وقد خر صريعا مضرجا بدمه . انقضت المطاردة الجهنمية وأيام القلق ولياليه . رنوت إلى الصورة طويلا حتى شعرت بالدمع يدب فى أعماق عيني . وحنقت ، امتلأت بالحنق. ، ولكنى لم أدر علام أحق . وازدحمت مخيلتى بالقوى الكونية المدمرة كالزلازل والبراكين والأعاصير والشهب والفيضانات والجراثيم . ولم أدر هل أتذكرها على ميلل التشفى أو لأعرف موضعها بين الخير والشر .

وزارنى عثمان بعد ذلك بأيام . كان كل شيء فى الدنيا قد انقلب رأسا على

عقب . فى دنياى على الأقل . وبخلاف العهد وجدت نحوه نفورا مرضيا بذلت
قصارى لأروضة وأذبه . وشعرت فى ذاتى بعدد من الشخوص تتصارع
وتتجاذب بعنف جنونى . جلسنا على مقعدين متقاربين وهو يطالعنى بنظرة ثقيلة
نتم عن روح ميت . وفصل بيننا صمت غامض لا يريد أن ينقشع . وأخيرا تملل
فى مجلسه قائلا :

— إرادة الله ولا راد لإرادته ..

فقلت أو قال لسانى بلا وعى :

— إنى أرمى وحيد وقد امتلأ البيت بالأشباح ..

تفحصنى بقلق ثم قال :

— إنك لا تبدو كما عهدتك . أنت مريض ؟

— لا أشكو إلا من الأشباح ..

— أنت لا تعنى ما تقول ؟

فقلت وأنا أضحك ضحكة رجل نسى تماما كيف يسيطر على نفسه :

— عشت عمرى متوهما أن سلوكك كان المثل الذى قادنى إلى طريق النجاح

حتى تبوأ مكانى المرموق فى عالم التربية !

— لعلك تبالغ ..

— فعلا .. إنى نجحت بفضل هو ، هذه هى الحقيقة !

— هو ؟

— الرجل الذى عبأت قوى الأمن لقتله ..

— حديثك يقلقنى ..

— شبح من الأشباح أكد لى ذلك !

— عزيزى !

— صه .. وقال لى أيضا إن رمضان انطلق من قاعدة لا يمكن الدفاع عنها

ولكنه اتبع أسلوبا رائعا ، أما نحن — أنا وأنت — فلنا قاعدة لا يمكن الهجوم عليها
ولكننا نتبع أسلوبا سمجحا ميتا ..

— لا أفقه لقولك معنى ..

— من العسير فهم لغة الأشباح ..

— صديقى .. إنك فى حاجة إلى نوم عميق ..

— إنى فى حاجة إلى يقظة مجنونة .. هكذا قالت الأشباح .

— جئتك بعد أن أضنانى الغم ..

— وسقونى جرعات ضخمة من شراب الأعاصير .. وقالوا لى إن من يهدم

مدينة خير ممن يحافظ على جدار قديم ..

ونفضت فجأت ورحت أتمشى فى الحجرة متوكئا على عصا ، فهتف لى

— إنك تعرج ..

فأشرت إلى ركبتي وقلت :

— التهاب أصابنى صباح اليوم المشئوم ..

— زرت طبيبك ؟

— كلا سأجد دوائى عند الأشباح ..

أربد وجهه باليأس فهتفت متشفيا :

— سأبذل الترية والقواعد والطقوس ، ابتعت لوحة وعلبة ألوان وأقلاما

وفرشاة ، سأعمل مصورا ، مصورا أعرج ، وقد جئت بامرأة عارية

كنموذج ..

وأزحت الستار عن باب الحجرة المجاورة فبدت عارية وهى تنظر إلينا بهدوء

وتحد !. ردد عينيه عثمان بينها وبينى فى ذهول فصحت ضاحكا :

— لعلك تسألنى عما أدرانى بقواعد الرسم وأصوله ؟ .. حسن ، لن يعرفنى

شئ ، سأقبض على الأدوات وأدمر كل شئ ..

ورميت عينيه المحملتين بنظرة متحدية وقلت بهوس :

— لقد أضعت أيامي في صحبة العقلاء ، سأهوى بالأشياء العميقة ، سأنصب
شراعى في مهب العاصفة . سأسحق مقتنياتى وأقذف بها للرياح ، سأعرض عن
العقلاء الشرفاء ، وليجربنى الدوار ، فليكونوا سعداء نافعين ولأكن مجنونا مخربا
وليتقبلنى الشيطان ، وتسألنى عن القواعد والتقاليد فأقول لك إنه لن يعرفنى
شئ ، سأقبض على الأدوات وأدمر كل شئ !
ومضيت بعزم نحو الفتاة العارية وأسدت الستار ورأى .

الحاوي خفا الطبق



قالت لى أمى :

— آن لك أن تكون نافعا .

ودست يدها فى جيبيها وهى تقول :

— خذ هذا القرش واذهب لتشتري الفول ، لا تلعب فى الطريق وابتعد عن

العربات .

تناولت الطبق ولبست قبقالى وذهبت وأنا أترنم بأغنية . وجدت زحاما أمام

بياع الفول فانتظرت حتى عثرت على منفذ إلى الطاولة الرخامية وفتفت بصوتى

الرفيع :

— بقرش فول يا عم .

سألتنى بعجلة :

— فول خالص ، بزيت ، بسمن ؟

لم أجد جوابا فقال لى بخشونة :

— وسع لغيرك .

تراجعت مسحوبا بخجل وعدت إلى البيت خائبا فصاحت لى أمى :

— راجع بالطبق فارغا ، دلقت الفول أم ضيعت القرش يا شقى ؟

فتساءلت محتجا :

— فول خالص ، بزيت ، بسمن ، لم تخبرينى !

— يا خيبة ، ماذا تأكل كل صباح ؟

— لا أعرف ..

— خيبة .. خيبة ، قل له فول بزيت ..

مضيت إلى البياع وقلت له :

— بقرش فول بزيت يا عم .

سألنى مقطبا نافذ الصبر :

— زيت حار ، زيت طيب ، زيت زيتون ؟

بهت فلم أحر جوابا أيضا فصاح لى :

— وسع لغيرك ..

رجعت مغيظا إلى أمى فهتفت داهشة :

— عدت كما ذهبت ، لا فول ولا زيت .

فقلت بغضب :

— زيت حار .. زيت طيب .. وزيت زيتون .. لِمَ لم تخبرينى ؟

— فول بزيت يعنى فول بزيت حار .

— إيش عرفنى ؟

— أنت خيبة وهو رجل متعب ، قل له بزيت حار .

ذهبت مسرعا وهتفت بالبيع وأنا على مبعدة أمتار من دكانه :

— فول بزيت حار يا عم .

وقفت ورأسى بجذاء الطاولة الرخامية وأنا ألث . وكررت بانتصار :

— فول بزيت حار يا عم .

دس المغرفة فى القدر قائلا :

— ضع القرش على الرخامة .

وضعت يدى فى جيبي فلم أعثر على القرش . فتشت عنه بقلق . قلبت الجيب

ظهر البطن ولكنى لم أجده أثرا . استرد الرجل المغرفة فارغة وهو يقول بقرش :

— ضيعت القرش ، أنت ولد لا يعتمد عليك .

نظرت فهما تحت قدمى وحوالى وأنا أقول :

— لم أضيعه .. كان فى جيبي طول الوقت .

- وسع لغيرك وقل يا فتاح يا عليم .
- عدت إلى أمي فارغا فصرخت في وجهي :
- يا خبر اسود ، أنت يا ولد عبيط ؟
- القرش .
- ماله ؟
- ليس في جيبي .
- اشتريت به حلوى ؟
- أبدا والله .
- كيف ضاع ؟
- لا أعرف .
- تقسم على المصحف أنك لم تشتري به شيئا ؟
- أقسم ..
- جييك مثقوب ؟
- أبدا .
- ربما تكون أعطيته للبيع في المرة الأولى أو الثانية ؟
- يمكن .
- أأست متأكدا من شيء ؟
- أنا جائع !
- ضربت كفا بكف وقالت :
- أأمرى لله ، سأعطيك قرشا آخر ولكنني سأأخذه من حصالتك ، وإن
- عدت بالطبق فارغا سأكسر رقبتك ..
- وذهبت جريا وأنا أحلم بفطور لذيذ . وعند المنعطف المفضي إلى حارة البيع
- رأيت حلقة من الصبيان والأطفال وسمعت تهليل أفرح . ثقلت قدمي وشد

قلبي إليهم . على الأقل ألقى نظرة عابرة . اندسست بينهم ، فإذا بالحاوى يطالعنى . غمرتني فرحة مذهلة . نسيت نفسي تماما . استمتعت بكل قوة بألعاب البيض والأرانب والحبال والثعابين . ولما اقترب الرجل ليجمع النقود تراجعت هامسا « لا نقود معي » انقض على متوحشا . تخلصت منه بصعوبة . جريت ولكمته تشق ظهري . ولكنني سعدت للغاية . وذهبت إلى البياح وأنا أقول :

— بقرش فول بزيت يا عم .

جعل ينظر إلى ولا يتحرك فكررت الطلب فسألني بغيط :

— هات الطبق ..

— الطبق !. أين الطبق ؟. سقط مني وأنا أخرى ؟. خطفه الحاوى ؟.

— أنت يا ولد عقلك ليس في رأسك !

عدت أفتش في الطريق على الطبق المفقود . وجدت موضع الحاوى خاليا ولكن أصوات الأطفال دلتني عليه في حارة قرية . درت حول الحلقة لمحني

الحاوى فصاح بي مهددا :

— ادفع أو فاذهب أحسن لك .

فهمت بيأس :

— الطبق !

— أى طبق يا بن الشياطين ؟

— رد إلى الطبق .

— اذهب وإلا جعلتك طعاما للثعابين .

إنه سارق الطبق . ولكنني ابتعدت عن مرمى عينيه أتقاء لشره . ومن القهر بكيت . وكلما سألتني مار عما يكيئني قلت له « خطف الحاوى الطبق » . وانتبهت من كرى على صوت يقول « اتفرج يا سلام » . نظرت خلفي فرأيت

صندوق الدنيا قائما ، ورأيت عشرات من الأطفال تهرع إليه . وتتابع وقوف المشاهدين أمام عيني الصندوق وراح الرجل يشرح الصور بإغراء « عندك الفارس الهمام ، وست الكل زينة البنات » . جفت دموعي وتطلعت إلى الصندوق بشغف . نسيت الحاوى تماما والطبق . لم أستطع مقاومة الإغراء . دفعت القرش ووقفت أمام العين إلى جانب بنت وقفت أمام العين الأخرى . تسلسلت أمام ناظري صور الحكايات الخلابه . ولما عدت إلى دنيائ كنت فقدت القرش والطبق ولم يعد للحاوى من أثر ، لم أفكر فيما فقدت واستغرقتني صور الفروسية والحب والصراع . نسيت جوعى . حتى المخاوف التى تهددنى فى البيت . نسيتها . تراجع خطوات لأستند إلى جدار أثرى كان يوما ما مبنى لبيت المال ومقرا للقاضى ، واستسلمت بكليتى للأحلام . حلمت طويلا بالفروسية وزينة البنات والغول . وتكلمت فى حلمى بصوت يسمع ولوحت بيدي بأكثر من دلالة . وقلت وأنا أدفع بالحربة الخيالية :

— خذ يا غول فى قلبك .

وجاءنى صوت رقيق قائلا :

— ورفع زينة البنات خلفه فوق الحصان !

نظرت إلى يميني فرأيت الصبية التى زاملتني فى الفرجة . تبدت فى فستان متسخ وقبقاب ملون وهى تعبت بصفيرتها الطويلة . وفى يدها الأخرى حبات بيضاء وحمراء من « براغيث الست » تستحلها على مهل . تبادلنا النظر . مال قلبي إليها فقلت لها :

— نجلس لنستريح .

بدت مستسلمة لا تقتراحي فأخذتها من ذراعها ودخلنا من بوابة الجدار الأثرى فجلسنا على درجة من سلمه الذى لا يفضى إلى شيء . سلم يرتفع درجات حتى ينتهى إلى بسطة تلوح وراءها السماء الزرقاء والمآذن . جلسنا صامتين جنبا إلى



جنب . قبضت على يدها وجلسنا صامتين لا ندرى ماذا نقول . وتناوبتني مشاعر غريبة وجديدة ومبهمة . قربت وجهي من وجهها فشمنت رائحة شعرها الطبيعية تخالطها رائحة ترابية وعبير أنفاس ممزوج بشذا الحلوى . قبلت شفتيها . ازدردت ريقى الذى اقتبس مذاقا حلوا من ذوب براغيث النسب . أحطتها بذراعى دون أن تنبس بكلمة ، وأقبل خدها وشفتها ، فتسكن شفتاها عند تلقى القبلة ثم تعودان إلى استحلاب الحلوى . وقررت أخيرا أن تقوم . قبضت على ذراعها بجزع وأنا أقول :

— اجلسى .

فقالت ببساطة :

— أنا ذاهبة .

فسألتها بضيق :

— إلى أين ؟

— إلى أم على الداية .

وأشارت إلى بيت يقيم أسفله كواء بلدى .

— لماذا ؟

— لأقول لها أن تأتى بسرعة .

— لماذا ؟

— أُمى تصرخ فى البيت ، قالت لى اذهبنى إلى أم على الداية وقولى لها أن تأتى

بسرعة ..

— وستعودين بعد ذلك ؟

فهزت رأسها بالإيجاب وذهبت . تذكرت بذكر أمها أُمى . انقبض قلبى . غادرت السلم الأثرى عائدا إلى البيت . بكيت بصوت مرتفع وهى طريقة مجربة أدافع بها عن نفسى . توقعت أن تحيينى ولكنها لم تأت . تنقلت بين المطبخ

وحجرة النوم فلم أعثر لها على أثر . أين ذهبت الأم ؟ . ومتى ترجع ؟ . وضقت
بالبيت الخالي . وخطر لي خاطر طيب . أخذت من المطبخ طبقا ومن حصالتي
قرشا وذهبت من فوري إلى يباع الفول . وجدته نائما على أريكة أمام الدكان
مغطيا وجهه بذراعه . اختفت قدر الفول وأعيدت قوارير الزيت إلى الرف
وغسلت الرخامة ، اقتربت منه هامسا :

— يا عم ..

فلم أسمع إلا شخيره . لمست كتفه فرفع ذراعه في انزعاج وطالعي بعينين
حمراوين :

— يا عم ..

انتبه إلى وجودي وعرفني فسألني بخشونة :

— ماذا تريد ؟

— بقرش فول بزييت حار ..

— هه ؟

— معي قرش ومعى الطبق .

صرخ في وجهي :

— أنت مجنون يا ولد ، اذهب وإلا كسرت دماغك .

ولما لم أتحرك دفعني بيده دفعة قوية ألقتني متقهقرا على ظهري . نهضت متألما
وأنا أقاوم البكاء الذي يلوى شفتي ، ويداي قابضتان إحداهما على الطبق
والأخرى على القرش . رميته بنظرة غاضبة . فكرت في عودة خائبة يائسة ،
ولكن أحلام الفروسية عدلت من خطتي . صممت واتخذت قرارا سريعا .
وبكل قوى ساعدي رميته بالطبق . طار الطبق فأصاب رأسه . ركضت بسرعة
لا ألولى على شيء . وملأني اليقين بأنني قتلتها كما قتل الفارس الغول . ولم أتوقف
عن الجرى إلا على مقربة من الجدار الأثري . نظرت خلفي وأنا ألث فلم أر أثرا

لمطاردة . وقتت حتى تمالكت أنفاسي ثم ساءلت نفسي ما العمل وقد ضاع الطبق الثاني . وشيء يحذرني من العودة المباشرة إلى البيت . وما لبثت أن استسلمت إلى موجة من الاستهانة تحملني إلى حيث تشاء . هي علة لا أكثر ولا أقل وسأناها لدى العودة ، فلنؤجل العودة إلى حينها . وها هو القرش في يدي ، ويمكن أن أحظى بمتعة لا بأس بها قبل العقاب . قررت أن أتناسى جريمتي ولكن أين الحماوى ، وأين صندوق الدنيا . فثقت عنهما هنا وهناك بلا ثمرة . أرهقني البحث العقيم فمضيت إلى السلم الأثرى وراء الميعاد . جلست أنتظر وأتخيل اللقاء . تاقت نفسي إلى قبة أخرى معيقة بشذا الحلوى . واعترفت فيما بيني وبين نفسي بأن الصبية وهبتني مشاعر لم أجرب أطيب منها من قبل . وفيما أنتظر وأحلم ترامى إليّ همس من الجهة الخلفية . رقيت في الدرج يحذر وعند البسطة الأخيرة انبطحت على وجهي لأرى ما وراءها دون أن يلمحني أحد . رأيت خرابة مطوقة بسور عال ، وهي آخر ما بقى من بيت المال ومقر قاطى القضاة . ونحى السلم مباشرة جلس رجل وامرأة . هما مصدر الهمس ، أما هو فأشبه بالمتشردين ، وأما هي فجبرية ممن يرعين الأغنام . صوت باطنى سريى قال لى بأنهما يجتمعان فى « ميعاد » كالذى جاء لى . بذلك تنطق الشفاه والنظرات والأعين ولكنهما على خبرة مدهشة ويفعلان أموراً لا يحيط بها الخيال . شد بصرى إليهما مشدوها فى استطلاع ودهشة ولذة ولم يخل من انزعاج . وجلسا أخيراً جنباً إلى جنب ، لم يعد لهما أحدهما بالآخر . وبعد فترة ليست بالقصيرة قال الرجل :

— النقود !

فقالت بضيق :

— أنت لا تشبع .

بصق على الأرض ثم قال :

— أنت مجنونة .

— أنت لص ..

بظهر يده لطمها لكمة قوية . قبضت حفنة تراب وقذفها في وجهه . انقض
عليها بوجه مغبر فأنشب أصابعه في زمامة رقبتها . بدأ بصراع جهنمي مرير .
ركزت قواها عبثا لتخليص رقبتها من يده ، احتبس صوتها ، جحظت عيناها ،
ضربت بقدميها الهواء . حملقت فزعا أخرس حتى رأيت خيطا من الدم يتسلسل
من أنفها . فرت من فمي صرخة . زحفت إلى الورا قبل أن يرفع الرجل رأسه .
هبطت السلم وثبا وعدوت كالمجنون إلى حيث تحملني قدمي . لم أتوقف عن
العدو حتى انقطعت مني الأنفاس . جعلت ألهث دون أن أرى شيئا مما حولى .
ولما انتهت إلى نفسي وجدتنى تحت قبو مرتفع يتوسط مفترق طريق . لم تطأه
قدمي من قبل ولا فكرة لي عن موقعه بالنسبة لحينا . وكان يقتعد جانبيه
شحاذون لا يبصرون . ويعبره في شتى نواحيه أناس لا يلتفتون إلى أحد .
أدركت بخوف أنني ضللت الطريق ، وأن متاعب لا حصر لها تترصد لي حتى
أهتدي إلى سبيل . هل ألجأ إلى أحد المارة لأسترشد به ؟ . ولكن ما العمل لو
ساقنى الحظ إلى رجل كبيع الفول أو متشرد الخرابة ؟! هل تقع معجزة فأرى
أمي مقبلة فأهرع إليها بكل قلبي ؟ . هل أجرب السير وحدي فأخطب حتى أعثر
على أثر أستدل به على طريقي ؟ .

وقلت إن علي أن أحزم أمري ، بسرعة ودون تردد ، فقد أخذ النهار يولي ،
وعما قليل سيهبط الظلام من مجاهله

تذكرة أناس في اليمن



الأديب

ها هي السيارة تنطلق والقاهرة تبعد . تطايرت الهموم وخفتت القلوب في طريق السويس . وقال في صوت حنون :

— لن نفترق زهاء أسبوعين ، كم تمضي أيام طويلة دون أن يرى أحدا الآخر ..

أحدثت بنا لا نهائية الصحراء من الجانبين فأهدت إلينا هواء منعشا رغم حرارة يوليو . وصلنا إلى ميناء الأديبة مع المساء . تعلقنا أعيننا بالسفينة الراسية عند الشاطئ حينما ثم أخذنا سبيلنا بين صفوف من الجند وأكوام من المؤن والذخيرة . مضى بنا المرشد إلى مركز التشهيلات . تم التعارف بيننا وبين الضابط ثم جلسنا ننتظر . إنه ليس بضابط كلا ، إنه دوامة مكهربة . يحرك الجنود والموظفين بأصابعه العشرة وبمحاجبيه وأنفه وشفتيه ويتكلم من خلال عشرة تليفونات . وكلما مر بنا بصره تفحصنا باسما وهز رأسه هزة تدعو للتساؤل والفضول . آلو .. ليتقدم حملة صناديق الذخيرة ، يا عم حسنين ، أنت مسئول عن توصيل البطاطس .. هات الساركى ، اسمعنى يا يسرى السطح الأمامى من الدور الأول للسرية الثالثة ، عليوة راجعت شهادات التطعيم ؟ ، مرحبا بضيوفنا الأديباء مرحبا .. سمعت عبد الوهاب وهو يغنى قصيدتك يا أستاذ ، انتهيت من التيفود ؟ .. والكوليرا ؟ .. آلو .. انتهى التطعيم ؟ ، أما مقالاتك أنت يا أستاذ فهي السحر الحلال ، آلو .. أرسل شخصا لتطعيم الأديباء ..

— تم تطعيمنا ضد الكوليرا والجدرى !

— والتيفود ؟

— أكلوا فى البلدية إلا ضرورة لذلك .

— التيفود مهم جدا .. دعوى أتصرف فأنا منذ الساعة مسئول عن الحركة
الأدبية فى مصر ..

— ولكنكم تعطون الحقن بطريقة عسكرية .. أعنى ..

— يا رب السماوات !.. أيتخاف من الحقن أصحاب « البيداء تعرفنى » و

« علو فى الحياة وفى الممات » ؟!

استسلمنا . اجتزنا فترة عصيبة لم تخل من التأوهات . ولما انتهى التطعيم قال :

— انتهينا من الكوليرا والجدرى والتيفود ..

ثم وهو يتصفح وجوهنا بنظرة غامضة :

— أما بقية الحميات هناك فلم يكشف الطب سرها بعد ..

تبادلنا نظرات ارتياح وتوجس على حين انصرف عنا فى غير مبالاة . وجرى

التهامس بيننا فى إشفاق :

— أحق ما يقول ؟

— يبدو الأمر جدا .

— إذن ما معنى هذه الرحلة ؟

— لننفع بالأحداث .

— أليس من الأسلم أن ننفعل فى القاهرة ؟

— وهؤلاء الجنود أليسوا بشرا مثلنا ؟

— ولكنهم جنود !

— لعله بمآزحنا ..

وإذا به يلتفت نحونا هاتفا :

— ستفعلون أولا وقبل كل شيء بالحميات المجهولة !

وضحكنا طويلا . ضحكنا وكأننا نتسول تكذيب الظنون . ضحكات هي الأصوات المسموعة للقلق المتطاحن في أعماقنا . ولكنه استقبل هدنة راحة في زحمة العمل فرمقنا بنظرة جادة حقيقية لأول مرة . جادة وودودة . ثم قال بنبهة أخوية :

— أهلا بكم فرصة طيبة وسعيدة ، وهنئا لكم زيارة بلد شقيق ثائر ، ستجدون له مذاقا خاصا وجمالا ذا سحر غير منكور ، فاذهبوا بسلام آمنين .. شددنا على يده بامتنان وذهبنا وراء حقائبنا المحمولة إلى السفينة . ودعانا القبطان إلى العشاء . وطيلة الوقت ترامى إلينا غناء الجنود من سطح السفينة الأمامي ، ودار حديث عن ميعاد الإبحار والجو . وأعلننا الرجل الكريم الظريف بأننا سنكون ضيوفه طوال الرحلة .

وفي أثناء ذلك اختفى من الصحاف الدجاج والشواء والملوخية والبطاطاس والسلطة الخضراء والمش والبطيخ . ودعانا إلى قضاء السهرة في جناحه المطل على البحر ثم مضى إلى عمله . أطفأنا المصباح واهبين الليل أنفسنا . أنعشنا شراب البرتقال ونسمة معبقة بجو الميناء . وما زالت أغنية تتردد متهادية إلينا من معسكر الجنود فوق مقدم السفينة .

١ — ترى فيم يفكرون حول بنادقهم ؟

— الحرب .. إنها الحرب ..

— أقدم حرفة في الوجود .

— لكنها تنشب هذه المرة في سبيل التحرير والحرية.

— إنها الحرب ، وهي ككل حدث خطير تدفعنا إلى مواجهة لغز الوجود ،

وجها لوجه ..

وتذوقنا حيناً النسمة الملائقة . استسلمنا بكل قوانا للحظة طيبة خالية من

الكدر ، ثم تفرق الحديث واختلف كأنما يدور بين أجيال . وأوشك أن يستقل كل اثنين بفكرة ما .

— ستكون الحرب القادمة خاتمة الحروب !

— ولكن هل تستمر الحضارة بلا حروب ؟

* * *

— الحق أن العالم مقبل على عضو عليه أن يخلق فيه كل شيء من جديد .

— وربما وجد أن عليه أن يعتاد الحياة بلا معنى ولا آمال كبيرة !

* * *

— أظنه بسكال الذى قال إننا مبحرون فى هذا العالم ، ليس لنا خيار فى أمر

السفر فلم يبق لنا سوى اختيار السفينة ..

— ولكن كيف نختار سفينة مناسبة إذا لم يكن لدينا فكرة عن الرحلة ؟

الأفكار مغلقة ولكن الأصوات راضية تند عنها غبطة المستمتع بعشاء لذيق وشراب منعش . والغناء لا يتوقف ، يحمل إلينا أنغام حماس وحنين . وثمة تساؤلات عما ينتظرنا هناك عند المأكل والمشرب والمنام . ومخاوف أوشكت أن تضخم لولا أن ارتفع صوت قائلا :

— ما هى إلا أيام ثم تنقضى بسلام .. دعونا نشارك الجنود حياتهم ولو بدون

قتال ..

شعرت برغبة فى الحركة . غادرت جناح القبطان إلى السطح ماضيا حتى

الترفة المطلة على مقدم السفينة . رأيت الجنود على ضوء الكلوبات ما بين

مستلقين وواقفين وجالسين . جال بصرى بينهم فى جد وانفعال . اجتاحتني

طوفان من الذكريات الوطنية حماسية وأليمة على السواء ، لكنه طوفان حمل فى

النهاية هذه السفينة ، التى تحمل بدورها هؤلاء الجنود ، ثمة بنشوة النصر

والأمل ، ملوحة براية الأخوة والكرامة ، فأيقنت أن تاريخنا الطويل المثقل

بأحلك الذكريات يتكشف عن صفحة جديدة بيضاء . وخيل إلى أن اسمي يتردد في نداء صاعد من بين أمواج الغناء . حقا ! أجل إن صوتا يناديني . تحرك رأسي هنا وهناك حتى رأيت جنديا يشق طريقه نحو أسفل الشرفة ملوحا بيده . أمعنت النظر فيه بدهشة . تذكرته . انحنيت من فوق السور في غاية من الابتهاج . لوح لي بيده تحية فلوحت له بيدي .

الجندي

دعتنى للجلوس فجلست . توقفت عن الكتابة على الآلة الكاتبة وقالت لي مجاملة :
— شكلك ظريف في البدلة العسكرية .

نفخني السرور ، رحب بي الزملاء القداماء في الإدارة . على مكتبي السابق المجاور لمكتب خطيبي جلس شاب جديد هو الذى حل محلى بعد تجنيدى ، سألتنى :
— هل اعتدت الآن الهبوط بالبارشوت ؟

همست فى أذنها :

— عندما أقذف بنفسى أبسمل وأتذكر وجهك فيتم الهبوط على أحسن حال .
وناقشنا بعض المشكلات التى تلابس زواجنا كالأثاث والمسكن فاتفقنا على الإقامة « مدة » فى بيت والديها وبذلك نؤجل مشكلة المسكن ونكتفى بتأثيث حجرة واحدة . وتركتها واعدنا بزيارتها فى القريب فى بيتها . مضيت من فورى إلى الشكنة بمنشية البكرى . ولم أكد أمكث ساعة هناك حتى صدرت أوامر بتجهيز سفريات الميدان . تجمعنا فى الحال . سألت جارى عما هناك فقال لى علمى علمك . اصطفت سريرتنا الثالثة . وزعت علينا البنادق . انتقلنا إلى السيارات فانطلقت بنا إلى هايكستب . كان ثمة قطار فى انتظارنا ، وثمة حركة نشيطة لنقل الذخيرة . همست فى أذن صاحبنى :

— اليمن !

هز رأسه فخيّل إلى أنه يوافقنى على رأىى . تحرك القطار . اجتاحتنى شعور بالغربة والخيرة . لم أودع خطيتى ولم أودع أسمى . منذ عام كنت موظفا ، مجرد موظف على مكتب . وبفضل شبابى وصحتى أحببت وخطبت ثم جندت . ها هو القطار يحملنا إلى الميدان . سنهبط من الطيارات إلى ميدان حرب حقيقية .. لا تمرين ولا مناورة . يوم دعيت إلى التجنيد قال لى رئيس السكرتارية « ها أنت ذاهب .. وها هو تدريينا لك يضيع فى الهواء .. ساء حظ الرئيس الذى يوظف شابا قبل تجنيده بعد اليوم » . كنت موضع ثقته وكنت بذلك فخورا . أنا طول عمرى من المتوكلين على الله المعتمدين على دعاء الوالدين . والحب عجيب كالقدر نفسه فذات يوم عهد إلى بتدريب موظفة جديدة . لم تكن أول فتاة أدربها فى السكرتارية ولكنها كانت الأولى فى حياتى .

ساءلت زميلى مرة أخرى :

— اليمن .. أليس كذلك ؟

— أظن ذلك .

— متى نعرف ؟

— كل آت قريب .

إذن هى الحرب . كما نراها أحيانا على شاشة السينما . وحتى فى السينما لم أشاهد معركة بارشوت إذ أننى أفضل عادة أفلامنا الغنائية . كانت الأولى فى حياتى فلم أعرف الحب قبلها بصفة جدية وقلت لها عليك بالانتباه فإن رئيس القلم يمزق أى خطاب لأقل هفوة ! . ما أحلى ارتباكها إذا ارتبكت . ما أجمل نظرتها وهى ترنو إلى مدرّبها . وهى تستهديه المعونة والثقة فيهدى إليها قلبه ومستقبله . وقال زميلى :

— القطار يهدىء من سرعته . ستعرف كل شئ ..

وقف القطار . أكثر من صوت ردد اسم الأديبة . أجل .. أجل . غادرنا القطار . انتظمتنا الصف . سرنا إلى الميناء . جرى تطعيمنا ضد الكوليرا والجدرى والتيفود . وكل حمل لوازمه ومضى نحو سفينة راسية بالميناء . تناولنا العشاء . أناس استغرقهم النوم وآخرون راحوا يغنون . الحق أننى لم أركب سفينة من قبل . لا فى البحر ولا فى النيل . بل إننى لم أر البحر قط . ولم أستطع أن أرى منه شيئا فى الظلام .

— أين الأمواج التى يقال إنها كالجبال ؟

— نحن فى الميناء يا رجل يا طيب ..

لفحنى هواء لطيف فملأت صدرى ثم سألته :

— وماذا تعرف عن دوار البحر ؟

فسألنى بدوره :

— لماذا لا تغنى مع من يغنون ؟

تمشيت مستطلعا . لاحت منى نظرة إلى أعلى . رأيت على ضوء كلوب وجهها ينظر إلى أو بدا كذلك . من ١٩ ، أستاذى القديم . أستاذى بمدرسة مكارم الأخلاق الإعدادية بشبرا . هو دون غيره . ترى ماذا جاء به إلى سفيتتنا .. وجعلت أنادى وألوح ييدى وأنا أشق طريقى بين البنادق والنيام . وأخيرا عرفنى فلوح لى ييده . التقينا عند منتصف السلم تماما فتصافحنا بحرارة .

— أنت جندى ١٩ .. ما تصورت ذلك .

— جندى منذ عام فركت وظيفتى إلى حين .

— متزوج ؟

— كلا ولكنى خاطب .

— مبارك (ثم وهو يتفحص ملابسى) لا أعرف لغة ملابسكم .

— من قوة المظلات يا فندم .

- فرصة طيبة ، أتمنى لك حظا سعيدا .
— وماذا جاء بك يا أستاذى ؟
— رحلة .. زيارة .. فى ضيافة الجيش .
— أهلا أهلا .. إني أقرأ مقالاتك .. هل تركت التعليم ؟
— نعم .
وتصافحنا مرة أخرى وهو يقول :
— أرجو أن أراك كثيرا .
انفصلنا . عدت إلى مقدم السفينة وصعد إلى السطح .

٢

الأديب

أخيرا تراءت لنا ميناء الحديدية .
تهادت سفينتنا فى الممر المائى الذى شقه الروس فى الصخر . عقب رحلة طويلة أذابتنا فيها الحرارة وأنهكتنا الأحاديث . فوق سطح بحر كظيم صامت ، تحت سماء باهتة تترامى فى الآفاق بلا تعبير ، بين جماعات متواثبة من الدرافيل . لا تسلية لنا إلا الكلام والسجائر والذكريات ولا عمل لنا إلا الاستجمام وتخفيف العرق .

أخيرا تراءت لنا ميناء الحديدية .
تطلعنا بشغف نحو الأرض التى ظلت دهرا طويلا متقوقعة . حتى ثارت ثورعها فحطمت القشرة الصلبة التى تحبسها فيما وراء التاريخ .
— تذكروا أن وطننا تلقى موجات فى إثر موجات من مهاجرى هذا البلد !

— لا يبعد أن نصادف أجدادا وأصولا ونحن لا ندرى .

قلبت وجهى فى مجموعتنا فرأيت وجوها تشى بأكثر من أصل تتراوح جذورها ما بين البلقان والسودان مارا بالشام ومصر . قلت لنفسى إن أضمن وأعرق أصل للإنسان هو الأرض .

* * *

استقبلنا مندوبا القيايتين العربية واليمنية . انتقلنا إلى مركز قائد الميناء حيث قدمت لنا المرطبات . قائد ضخمة كتمثال ، وطراز من الرجال يضيف أصلا جديدا إلى مجموعتنا المتعددة الأصول . دعانا لمشاهدة خريطة لليمن .

— أرض مجهولة لا يعرفها إلا المرشدون ..

انتقل المؤشر من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب .

— جميع هذه المدن نائرة وموالية أما الجبال فلا تخلو من جيوب !

— اعتقدنا أن الحرب قد انتهت .

— هى كذلك بالمعنى العسكرى ولكن علينا أن نطهر الجبال من المتسللين !

دعانا إلى جولة فى المدينة . زرنا المستشفى . تجولنا فى أحياء ردتنا بقدرة قادر

إلى أزقة القاهرة وحاراتها القديمة . شاهدنا دكاكين حافلة بسلع من جميع أنحاء

المعمورة . طالعنا وجوه صامته مغلقة غامضة ، لا ينظرون نحونا ، وإذا نظروا

لم يروها .

— يا حضرة القائد .. أهم يكرهونا ؟

— كلا يا أستاذ ولكننا فى عز وقت التخزين !

أجل .. إنه القات ! الدنيا تنساب فى حلم كبير يرفرف فوق المدينة ولم نعد

إلا أشباحا لا حقيقة لها . وثمة تاجر مستلق على أريكة أمام دكان سأل القائد عن

مكان ما ولكنه لم يبد حراكا ولم ينبس بكلمة .. ما فعل إلا أن رفع يده يبطء

شدهد مشيرا نحو المكان كأنما هى صورة متحركة مصورة بالتصوير البطيء ، أما

ظاهر الرجل اليمنى فيتلخصص في لحية وخنجر وبندقية . والتجول بين الحوانيت
مثير للغاية . وكان مدعاة للتساؤل عن بدل السفر ومتى يصل . وقال القائد :
— ستجدون في صنعاء سلعا أطرف وأجمل . أما تعز فحدث عنها ..

ولفتت الأنظار الحقائق والأقمشة ، ثم احتكرتها الهرمونات والمقويات .
وتسلل من القائد إلى النفوس إعجاب ودود . تضاعف عندما دعانا إلى العشاء في
مقر القيادة اليمنية . اجتمعنا هناك بكهول وشبان من اليمن ، منهم من يرتدى البدلة
ومنهم من يرتدى الزى الوطنى . تبادلنا الأحاديث عن الحرب والثورة والتاريخ
والأدب . كشفت الروح اليمنية عن كنوزها فاستعدنا شعورنا بالأنس والألفة
وتفتحت قلوبنا بلا حدود . وملت نحو زميل هامسا :

— أشعر كأنما رأيت هذا المكان من قبل !

فرد على هازئا :

— هذه نتيجة عقدة نفسية سأحدثك عنها فيما بعد .

وضعت الموائد حول بركة كانت مسبحا للجوارى ذات يوم . وعزفت لنا
جوقة موسيقية وغنى لنا مهرج الإمام . وقال لنا القائد ونحن عائدون :

— ستبيتون الليلة في الباخرة وغدا صباحا تذهبون إلى صنعاء ..

وتساءلنا عن وسيلة المواصلات فقال :

— ثمة طريق جديدة شقها الصينيون في الجبل ، تقطعها السيارة في ثمانى
ساعات ، وسوف ترافقكم قوة مسلحة ..

ولدى سماع هذه العبارة الأخيرة ساورنا القلق ، وسأله سائل :

— وما الداعى لمرافقة القوة المسلحة لنا ؟

فأجاب مواريا ابتسامة :

— تعرضت الطريق لهجمة عدوانية فاشلة منذ أسابيع !

وأكثر من صوت قال في نفس واحد :

— حدثنا يا قائد عن وسيلة مواصلات أخرى .

فضحك ضحكة عظيمة وقال :

— ستأخذون الطيارة وستصل بكم فى ساعة أو أقل .

عدنا إلى الباخرة . سهرنا فى جناح القبطان فى جو حار رطب خرق المألوف

لنا . ولما آويت آخر الليل إلى القمرة قلت لزميلى فيها :

— أشعر من الحر والرطوبة بأننى سأموت عما قليل .

فأجابنى بصوت ملؤه النعاس .

— لكل أجل كتاب !

الجندى

السفينة تقترب من الشاطئ . جمهور ضخم ينتظرنا . ولكن أى

جمهور ؟! نساء !. أجل نساء لا حصر لهن فى أزياء مزخرفة بالحمرة والزرقة .

ما الذى أخرجهن من البيوت ؟. وفى لفة حزم كل جندى متاعه وعدته وحمل

بندقيته . ورأينا ضيوفنا من الأدباء وهم يهبطون وراء حقايم . وبحث عيناى عن

أستاذى السابق حتى رأيته . وددت أن أودعه ولكن الزحام والنظام حالا دون

ذلك . وصدرت لنا الأوامر بالنزول فسرنا نحو السلم فى ترتيب عسكرى . ها

أنا أستقبل بلدا غريبا بعد أن ركبت السفينة لأول مرة . وفوق الأرض تكشفت

لى حقيقة المتجمهرين . إنهم رجال لا نساء كما توهمت من بعيد . يرتدون لباسا

كالجنونة ويطلقون اللحن . تنفص حماسى وفتر فرحت أتمشى فوق رصيف

الميناء . وتذكرت أمى التى لم أودعها . وتذكرت خطيبتى التى زرتها ولم أودعها

أيضا . وقلت لو أننى ودعت أمى لتلقيت من دعواتها ما ينفعنى . ونودى علينا

فهرعنا إلى الصف . ثم اتجهنا إلى سيارات معدة لتوصيلنا إلى صنعاء . وخرجت

السيارات من حارات متربة حتى اجتزنا بوابة كبيرة . وإذا بنا ندخل في طريق مهدة ، تأخذ في الارتفاع كلما تقدمنا . وسألت زميلي :

— أين مملكة سبأ ؟

فسألني بدوره دون اهتمام بسؤالي :

— أنحن ذاهبون إلى الميدان ؟

وجذبت الجبال المتشابكة عيني : ألقيت بنظرة إلى أسفل فأدركت مدى الارتفاع الذي نصعد إليه بلا توقف . ومضت الحرارة تخف والجو يلطف والدنيا تتغير . وتساءلنا حتى متى نواصل الصعود فأجاب دليلاً اليمنى :

— سنصعد فوق الجبل .

لا فرق بين السيارة والطيارة في هذا البلد . ودار بنا طريق دائرى فتطالعنا الشمس المائلة حيناً وتغيب عنا حيناً آخر . ويهرنا السحاب وهو يزحف نحونا حتى روعنا . ودخلنا فيه فغاب الوجود وبتنا من أهل السماء . حتى أنفسنا غابت عنا . وارتفعت الأصوات وتبادلنا الألقاب الضاحكة . ولما خرجنا من السحاب استوى الجبل إلى يسارنا على هيئة مدرجات تكسوها الخضرة المتألقة فهتفنا في دهشة . لم أكن رأيت من الجبال إلا المقطم فيها وراء مسجد الحسين رضى الله عنه فتلوت فاتحة الكتاب . أما إلى اليمين فينحنا الجبل صانعا مدرجات واسعة من السهول تبيت في جنباتها القرى ، وتتناثر كواخ ، وتهم القطعان والأطفال ، من تحتها خضرة ومن فوقها قطع من السحب متفاوتة الشفافية تتلاقى في احتدام وتتشر كقبة هائلة ثم تلاطم سفح الجبل ثم تنفجر كالأمجرة ، وهانحن ننتقل فوق السحاب كأنما نقلنا إليوشن المظلات . قال الزميل :

— ما لا عين رأت ولا أذن سمعت .

فقلت بوجد :

— صدق الله العظيم .

قبيل الغروب اجتزنا بوابة صنعاء . وعلمنا أننا ذاهبون إلى كلية الطيران للمبيت فاستبشرنا خيرا ومنينا أنفسنا بليلة نوم ناعمة . غادرنا السيارات ومضينا نحو الكلية دون أن نتيين المبنى من الخارج لغلبة الظلام على الدنيا . ولكننا وجدنا أنفسنا في مكان هو أشبه ما يكون بالإصطبل . لا مقعد ولا فراش ولا حتى حصيرة . وقفنا ذاهلين نتبادل النظرات . وأمرنا أن ننام كيفما كان الحال حتى الصباح . ثمنا ليلتنا على الأرض بكامل ملابسنا . وفي الصباح صدرت أوامر بأن ننشئ معسكرا حول مطار صنعاء فانهمكنا في العمل . ولم يكن بين أيدينا من الطعام إلا القليل ومن الماء إلا النادر . وندرة الماء أزعجتنا بصفة خاصة . وثمنا ليلتنا في المعسكر . وفي الصباح صدرت الأوامر بالتوجه إلى مدينة عمران . خرجنا من بوابة صنعاء الخلفية . وترامى أمامنا طريق صخري يتنقل بين جبال عاتية . إلى أغوص في الجاهل . أصبح الماضي بعيدا جدا . ترى هل علمت أمي بأمري وهل علمت به خطيئتي ؟ . إنهما أعز ما يشدني إلى عالمي القديم . أما العالم الصخري المكفهر المترامي أمامي فلا أدري شيئا عما يحبىء لي من أقدار الغيب . ورأيت عن بعد سيارة مدرعة تقود قافلتنا فتطلعت نحوها بثقة ولكنني قلت لنفسى إن الله وحده يحفظنا ويرعانا .

— كل شيء غريب هنا .

— وقافلتنا العسكرية تسير كما كنا نشاهد في السينما .

— ولكن الفرجة شيء وخوض المعارك شيء آخر .

— لا يوجد إنسى .

— ولا جان !

وأخيرا تراءت لنا عن بعد بوابة حجرته تقوم على مبعدة منها إلى اليسار قلعة ذات أسوار وأبراج للمراقبة . تبودلت كلمات لم نسمعها بين السيارة المدرعة ورجال الأبراج فتح على أثرها باب البوابة فتهاوت منه قافلتنا .

— مدينة عمران ؟

— أجل .. لعلنا نجد مقهى أو ملهى .

وجدنا قرية كقرانا في الريف . تقع وسط سهل ومراعى تطوقها سلسلة من الجبال الصخرية من ثلاث جهات .

— مدينة عمران .

— مدينة عمران !

غادرنا السيارات . تناولنا الطعام من العلب وشربنا بحمضة وحذر . أحاط بنا الغلمان والأطفال شبه عرايا . حملقوا في وجوهنا بأعين داهشة ثم تبادلنا الابتسام . ومرح الأطفال حول السيارات وتحتها . رغم البؤس أطل علينا من الأعين البريقة جمال فطرى ونظرات ذكية . ترى من من هؤلاء تربطنى به صلة قرنى ترجع في تاريخها إلى ألف عام ؟ .

ولم نملك في عمران إلا ساعات ثم صدرت الأوامر بالذهاب إلى حجة . تحركت القافلة دون أن تترك وراءها ذكريات . دخلنا في السحاب مرة أخرى حتى غاب عنا كل شيء . وندت أصوات متفرقة في المسيرة الطويلة .

— أهى أرض عدوة أم صديقة ؟

— ربما انهال علينا المطر أو الرصاص .

— قريب من هنا هبط سيدنا آدم إلى الأرض .

تلوت الفاتحة والصمدية . ولما انجاب السحاب عنا ترامى أمامنا الطريق الصخرى مرة أخرى . ثم انفسح فيما يشبه الدلتا عن أرض رملية تغطي الحشائش بعض رقعات منها متباعدة . وتوقفت القافلة فجأة فاشترأت القلوب . دارت السيارة المدرعة في حركة مناورة . وجرى التهامس من سيارة إلى أخرى كمين .. كمين . تناولنا البنادق في حركة استعداد . برز علم أبيض من وراء أكياس الرمل المطوقة للكمين . خرج جندى يمتنى ملوحا ومرحبا . نزل إليه من السيارة

(تحت المظلة)

المدرعة ضابط فتصافحا . زار الكمين ثم عاد إلى السيارة . دخلنا حجة ، القرية الجديدة ، يا للقرى ! إن قلبي يحلم بشيء لا يتحقق . التقينا بجنود مصريين من المشاة . تفرقنا في الخلاء والشمس على وشك المغيب . الجو مائل للبرودة كأيام الخريف يا مصر .

— جنود مظلات ؟

— نعم .

— صرواح !

— صرواح ؟

— هبط الجنود في واد ضيق تكتنفه الجبال .

— في صرواح ؟

— نعم .. ثم انهال عليهم الرصاص من الجبال !

— في أى وقت ؟

— الفجر .

— وقت يسهل فيه الاختفاء ، هل وقع ضحايا كثيرون ؟

— غير قليلين ولكنهم طهروا المنطقة ..

— ليرحم الله الشهداء .

بلد كأنه شبكة من الجبال المتقاطعة . من كان يتصور ذلك ؟ ١٩ . كحارات خان الخليل ، كحجرة حجا ، كالتعليمات المالية والإدارية . السحاب يركض وعما قليل تختفى السماء . وقيل إن المطر سينهمر . وارتفع النداء داعيا إلى إقامة المعسكر .

٣

الأديب

استيقظت بعد نوم ساعتين . غادرنا السفينة إلى مطار الحديدية . اتخذنا مجالسنا في طيارة إليوشن ناقلة للمجنود . سرى اليمن من فوق . صحراء وجبال ومراع . أما المنظر الجديد حقاً فهو منظر الوديان الخضراء في سفح الجبل . وقال أحدنا للمرافق لنا :

— الجبال عالية جداً :

— وتنطلق الطيارة بحذاء بعض القمم أحياناً .

— لو أن عدونا ربض فوق جبل فلن يتعذر عليه إصابة الطيارة بالبندقية

العادية ؟

فضحك قائلاً :

— ولا يخلو بعض طياراتنا من آثار عديدة للرصاص ..

ولما رأى وجومنا استطرد :

— لا تزيد نسبة الإصابات القاتلة عن واحد في الألف ..

أسلمت ناظرى إلى الجبال تحتنا . القرى الخضراء والفجاج المتلوية . حتى لاحت صنعاء . من الجوبدت مدينة عمران ومجمع أحياء ومقر قباب ومآذن . وعندما حملتنا السيارة من المطار إلى الفندق خاضت بنا زمنا موعلاً في القدم . وتراصت على جوانب الطرقات المتربة بيوت غريبة مزر كشة . زر كشتها أيدي

أطفال فنسجتها من خيوط الأحلام وألقت بها في قلب مدينة سحرية . انشق
سطح الأرض عن دنيا عامرة تطوف بها القلائس والوزرات والخناجر والبنادق
واللحي . لفحتنا غربة ، لاطفتنا نسمة ، تجاذبتنا عواطف مبهمة ، ثم لذنا أخيرا
بأطيب المشاعر البشرية التي جئنا بها . وفي الفندق ارتددنا إلى ذكريات
الطفولة ، درجات السلم العالية ، رائحة الكلس العطنة ، الأسقف العالية .
فندق قديم كقلعة بالية يديره غلام ذكي . جلسنا على الأسرة في عنبر جمعنا .
وتبادلنا أحاديث لا نهاية لها . وإذا بالغلام يجلس على كرسي عند باب العنبر بلا
استئذان . جعل يقلب عينيه اللماحتين فينا بهدوء عجيب . ولما تركزت الأبصار
عليه قال :

— أنتم مصريون ؟

— نعم يا أخا اليمن ..

— أتريدون فطورا ؟ .. عندي بيض من اليمن وفول من مصر ومربة من

أوروبا ..

— أنت صاحب الفندق ؟

— ابن صاحبه ولكنى مديره .

— كم عمرك ؟

— اثنا عشر عاما .

— إذا غالطناك في الحساب ؟

— إنى أغالط الجن .

— عفارم عليك ، وما رأيك في الثورة ؟

— كلنا متجمهرون و ثوار واللعنة على الأعداء ..

ودخل رجل غامق السمرة مترنخ المشية ، يرتدى بدلة ويطالعنا بنظرة مسطولة من عينين جاحظتين . قدمه الغلام باعتباره عمه ثم ذهب تأدبا . وقال الرجل إنه من عدن ولكنه في الأصل يمني ، وإنه شريك في ملكية الفندق . وجلس على الكرسي الذى أخلاه الغلام .

— حضرتك مقيت ؟

— كلا .

— مسطول ؟

فضحك وأجاب بالنفى . سرعان ما أغرانا مظهره بممازحته فأثبت أنه أوسع صدرا مما تصورنا .

— إن كنت حقا من عدن فهل تعرف لغة أجنبية ؟

— عشت في عدن ومصر وسوريا وإنجلترا وفرنسا ..

— هل تستعمل القات ؟

— كلا فإنه يضعف القوة الجنسية .

— إذن فأنت حريص على قوتك الجنسية ؟

— إن قرّة عيني في التجارة والفسق !

ضحكنا طويلا . وانطلق يتكلم عن الفسق في شتى أشكاله وألوانه ومتناقضاته ، وعقد مقارنات عنه في البلاد التى عاش بها ولكي يقيم الدليل لنا على صحة مراجعته حدثنا عن مصر حديث العارف الدائر ، حتى قال له شيخنا :

— إنك معجم فسق البلدان !

غادرنا الفندق لزيارة القائد العام ورئيس الجمهورية . طقنا بمخازن الإمام وبيت الرهائن ثم شهدنا فى المساء ندوة أديّة بالقصر الجمهورى . وقابلنا بعض

الموظفين المصريين المنتدبين لعمل أول ميزانية للجمهورية اليمنية وإقامة نظام مالى كأساس لحياتها الاقتصادية . وقد دعوت لزيارة جناحهم فى القصر فذهبت معهم وأنا أدايعهم قائلا :

— إذن فأنتم أول من بشر بالروتين فى أرض اليمن .

وجلسنا نتحدث وأصوات الشعراء فى الندوة تترامى إلينا . وقال أحدهم :

— لقد أغلقت اليمن الأبواب على نفسها ألف سنة فلم يخف منها الشعر ولكن

المشكلة الحقيقية هى متى يغزوها العلم ؟!

الجندي

على السرية الأولى أن تستعد وتتجهز بأدوات الميدان . شملتنا حركة نشاط

متدفقة وعصبية .

— لماذا ؟

— للقفز فى مدينة صعدا .

أمرت أن أذهب مندوبا عن ف ٢ للتعين . ذهبت إلى مركز التعين .

تسلمت مجموعة كافية من الفانلات والكلسونات وطواقى صوف وجرايات

وأحذية وعلب سردين وبلوبيف . إلى صعدا . وما صعدا ؟ . مدينة أم قرية ؟ .

غزو أم إمداد ؟ . لن يكون القفز هذه المرة فى ميدان تدريب كالمرات السابقة .

— لنذع الله أن تكون صعدا خيرا من صرواح .

هتفت مقطبا لأعمالك أعصابى :

— الأعمار بيد الله .

— معى أربعة وعشرون ريالاً وهى ثقيلة .

— لفها حول وسطك كما فعلت .

ذهبنا إلى مبنى المطار لتسلم المظلات . أخذت مظلة أساسية بدون احتياطي . ليكن طريقا سهلا آمنا حتى نهبط فوق الأرض . لبست ما يلزمى في الحرب من بدلة مموهة وبدلة اسموكس فوق بدلة كاكي قفز والخوذة والبندقية وحقيبة خزن ومحفظة قنابل وحقيبة الجراية وبها ذخيرة ومطواة . وانهمكت في إعداد أسرطة المظلة . وإذا بيد تساعدنى . رفعت رأسى فرأيت زميلى بمدرسة مكارم الأخلاق بشيرا . تعانقنا . عانقت فيه مصر وأهلها .

— سأكون معك فى الطائرة .

— جان مستر ؟

— نعم وسأساعدك على القفز .

— أشكرك ، هل تذكر شبرا ؟

فضحك ويداه لا تكفان عن مساعدتى . وقبل أن أسترسل فى الذكريات دعينا إلى طابور . استعرضنا القائد العام وقائد المظلات . وكان القائد يقف أمام كل جندى ويسأله :

— ألك أى طلبات ؟

رأيت لأول مرة عن قرب . ذكرنى وجهه بوجه ستالين . وسرحت رغما عنى فلما عدت إلى الحاضر سمعته وهو يعطى إرشادات عن المنطقة . واصطفت الفصيلة أمام طائرة إليوشن رقم ١٤ ، الضابط أول الأستك شمال . وهذا يعنى أننى سأكون أول المهاجرين . ولكن ألا يستوى الأول والأخير أمام القدر ؟ . وصعدنا إلى الطائرة واحدا فى إثر واحد . بدأت محركات الطائرة تدور . كان معنا اثنان من جان ماستر الذين يساعدون على القفز . وانطلقت الطائرة فلم تتحول أفكارى عن مصر . ولما استوينا فوق السحاب أشعلت سيجارة . ظلت أفكارى منغوسة فى مصر . النيل والخضرة والأم والفتاة . ولحمت طائرات تطير إلى جانبنا . وإذا بجرس النور الأحمر يدق معلنا وصول الطائرة إلى صعدا . وظهر النور الأخضر داعيا إلى القفز فى الحال .

— ستهبطون في منطقة إسقاط بالمطار ، توجد طائرة بيضاء في وسط المطار ،
على كل فرد أن يتجه إليها ..

تقدمت من باب الطائرة . توثبت للقفز بقلب خافق . دفعني الزميل القديم
بشدة ليعدني عن جسم الطائرة . لم أنتبه لنفسي ألا وحبال المظلة تشدني في
الجو . نظرت إلى أعلى فرأيت المظلة مفتوحة بيد أن حبالها التفت حول بعضها
البعض . درت حول نفسي بسرعة فائقة حتى استقامت الحبال . مضيت أهبط
في الظلام وحركة انسيابية هادئة تسري في أعصابي وأنا في غاية من اليقظة
والترقب . ولحمت شبح جبل غير بعيد ، ما لبثت أن صرت في كنفه ، وجعل
يرتفع كلما أمعنت في الهبوط . اخترقت أذني أصوات طلقات نارية . اجتاحني
القلق وشدت يدي على الحبال . ضرعت إلى الظلام أن يخفيني عن أعين
الصائدين وأنا أتوقع رصاصة تصيبي في أي لحظة . انتهت الرحلة التي اعتبرها
أطول رحلة في حياتي فاصطدمت بالأرض صدمة شديدة ورحت أتدحرج منقلبا
على نفسي مرات حتى استقر في المكان . غرزت ركبتى على أرض معشوشبة
مصمما على النجاة فتحت قفل المظلة فأخليتها بسرعة ثم انبطحت على بطني .
وبحذر شديد تخللت الظلام بعيني . وإذا بي أجد شبحا على مقربة مني فسددت
نحوه بندقيتي في ذات الوقت الذي صاح بي « يا أخى المصرى .. أنا من الحرس
الوطني » أنهضني وهو يعانقني . حدثه عن الطلقات النارية فأكد لي أن الجبل
بعيد نسبيا . نظرت حولي فميزت مجاميع من أشجار التين الشوكي . انطلقت في
الجو إشارة خضراء فمضينا نحوها ، وانضممت مرة أخرى إلى السرية . نادى
الضابط علينا فبين غياب اثنين من السرية .

— أصيبا ؟

— أو هبطا في أرض العدو .

لاحظت وجود جنود من غير سريتنا . وعلمت أن ثمة قوة سبقتنا إلى هنا ولكنها



حوصرت فطلبت نجدة فأرسلنا إليها من السماء . ولم يكن بصعدا أحد سوى الجنود . ولم نسترح دقيقة فتوزعنا في أماكن من السور المحيط بالبلد وسرعان ما اشتركنا في إطلاق النار . واستمر الضرب من ناحيتنا حتى توقف الضرب الآتي من الناحية الأخرى .

وصدر أمر بالاستعداد للهجوم على الجبل الأسود المطوق لجانب كبير للمدينة . حصل تجمع لا أعرف مداه . وترامى إلينا أزيز طياراتنا وهى تهاجم الجبل وترميه بقنابلها . تواصل الضرب ساعة ثم صدر الأمر بالتحرك . تقدم سريتنا ضابط حاملا مدفعا رشاشا فبعناه فى حركة انتشار . تقدم الضابط لنا بث فينا روحا عاليا فأخذنا فى الصعود ونحن نطلق النار وقد شعشع ضوء النهار الباكر . وتساقط رذاذ فى أثناء تقدمنا ثم لم يلبث أن انهمر المطر . وصوت صاح : — يجب أن نصعد قبل أن تعيقنا السيول .

الحق أزعجنا المطر وتسلسل منا إلى الأجساد على حين غاصت أقدامنا فى الوحل . لم نكف عن الضرب حتى كف العدو عنه مما يقطع بتقهقره . ومضينا فى صعود عسير تكاد تجرفنا السيول حتى بلغنا القمة . أعلن الضابط احتلال الجبل . تسلينا دقائق بمشاهدة آثار قتابل الطائرات .

تلقينا أنباء عن فقد شهداء منهم ثلاثة من المجموعة التى استقلت معى الطائرة رقم ١٤ . تذكرت وجوههم وبخاصة أحدهم الذى كان يحادثنا فى أوقات الفراغ بالفصحى متفكها .

— ماذا يصنعون بالجثث ؟

فسمعت إجابة مقتضبة لا تخلو من أسى :

— يدفونها !

ولكن الميت يظل حيا فى وجدان اهله بمصر حتى يبلغهم خبره . وفكرت فى مصر . بكل وجداني الحزين . من فوق قمة الجبل الأسود وتحت سيل من المطر

- المنهر فكرت فيك يا مصر . وسمعت نداء باسمي . وقفنا ثلاثة أمام الضابط :
- كونوا نقطة إنذار على بعد كيلو ونصف .
- حددنا الموضع بالقياس الدقيق . حفرنا حفرة سرعان ما امتلأت بمياه المطر .
- غصنا فيها حتى الرقاب ومعنا جهاز لاسلكي صغير R / 06 .
- راقبوا جيدا وعند أى اشتباه تبلغه ثم ننسحب فى ثوان قبل إطلاق النار .
- قد يلمحنا العدو ونحن ننسحب .
- أى تأخير معناه الموت بقنابل جنودنا .
- اختص كل منا بناحية والمطر يكاد يجرفنا .
- لكن الجبل طهر ، أليس كذلك ؟
- الزم الصمت ..
- ركزت عيني فى المراقبة والمطر ينهل بغزارة وقوة لم أتخيلها من قبل .



الأديب

غادرنا صنعاء بالطيارة إلى مأرب . من المطار استقلنا سيارة روسي فى حجم لورى متوسط ، فى مقدمتها مدفع ، لتحملنا إلى القلعة والآثار . قطعت بنا طريقا وعرة متلاحقة العقبات . وكان فى هندستها مرونة لتواجه بها المرتفعات والمنخفضات ولكن لم يكن بنا مثل مرونتها . تأرجحنا بقوة وتصادمنا فخففنا البلوى بالفكاهة ما أمكن . اخترقنا أرضا فضاء إلى ما لا نهاية ، قاجلة جرداء ، إلا من نباتات شوكية موسومة بطابع الهلاك والفناء .

— مكان الجنتين خال !

— وجه الأرض يتغير كوجه الإنسان .

— لقد كان لسباً في مسكنهم آية جنتان .

— فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم .

زرنا الآثار القليلة الباقية . عرش سبأ ومقاعد مجلس الحاشية . تكشف عنها وجه الأرض ثم تركت وحيدة وسط يباب يكتنفها من جميع الجهات . وقفنا ننعم النظر وثارت رومانسية الشعراء ولكن ماذا يعنى أى أثر لقوم آتين من بلاد الآثار ؟

وذهبنا إلى القلعة . وجدنا حامية مصرية معزولة عن العالم بآلاف السنين . حفروا بئرا ليشربوا ، وأقاموا فرنا ليخبزوا وبدلوا كأسرة مستقلة مكتفية بذاتها ضائعة في الفراغ . قابلونا بمرح وقدموا لنا الشاى . ولم يكن يصلهم بالدنيا إلا راديو وبعض أفلام قصيرة عن مصر . وأشاروا إلى مدينة صامته مقامة فوق هضبة ، مدينة غارقة في الجمود والصمت .

— مدينة مهجورة ، هجرها أهلها في أثناء المعارك .

مينة لا حركة فيها ولا صوت ولا خيال لحي . كانت مقاما للأشراف ، وخارج أسوارها عاش الرعاة .

— ثمة مفاوضات معهم وسوف يعودون .

— يا له من منظر ، المدينة الخالية . حتى المقابر توحى بطريقة ما بالراقيدين داخلها .

— وكيف حال مصر ؟

— عال ، قلوبها تخفق معكم .

— وكيف حال الأدب ؟

وضحكنا . وفي أثناء ذلك جاعونا بنسخ من كتبنا تهرأت من كثرة التداول . — أنتم لا تتصورون مدى الأثر الذى يحفره فى نفوسنا قراءة بضعة أسطر عن

وصف مكان أو عادة أو زمان في مصر .

حقا لا يمكن أن نصور . وقال أحدنا :

— ولكن عددكم قليل ومراكز المراقبة معدودة ؟

— لا بهم .. أصبحت المنطقة مواتية ..

تخيلت نفسى مقيما في هذا الخلاء . يوما بعد يوم ، بلا عمل ولا تسلية . وكلما تخيلت عجبت للمرح البسيط الصادق الذى يطالعنا في الوجوه . وغزاني شعور بالإكبار لا يقاوم .

رجعنا إلى اللورى الروسى . كابدنا الطريق في الإياب كما كابدناه في الذهاب . عدنا إلى صنعاء . دعينا إلى زيارة مندوب الحكومة المصرية . جلسنا في بهو استقبال فخم وشربنا المرطبات . وتكلم أهل العلم عن مستقبل اليمن الواعد بكل خير . عن الشباب الثائر المؤمن بالتقدم . عن التأخر الأسيف المتراكم من أبعد العصور . إيمان المسئولين اليمنيين بوجود سبر الإصلاح جنبا إلى جنب مع الحرب ودون تأجيل . ولدى عودتنا إلى الفندق وجدنا في انتظارنا وفدا من الأدباء الثائرين . جالسونا على الأسيرة فشرق بنا الحديث وغرب . وكان لكل منهم مغامرة مع الإمام فراح يروى مغامرته .

الجنبدى

غادرنا الجبل على أثر قدوم قوة من المشاة تحتله . نمت نوما عميقا في المعسكر . في الصباح منحنا عطلة قصيرة فقصدت قرية غراز . سرت في طرقاتها الضيقة فاستقبلنى أهلها ببسمات إنسانية كنت في نهم إليها . لاعتبت الأطفال حيثما وجدتهم . وشربت القهوة في مقهى ريفى كالكوخ . أذهلنى جمال النساء . جمال العيون بصفة خاصة يبعث الدفء في القلوب التى أذاها المطر .

صادفت في تجوالى بئرا وقتت حولها أم وابتهاها يملأن الجرار . تلكأت عندهن
فتنظرت إلى الأم بحنان ذكرنى بأمى التى لم أودعها .

— مصرى ؟

— نعم يا خالة .

— يخليك لأملك .

سررت وابتسمت الفتاتان . اجتاحنى شعور عائلى وتذكرت قرينتا
باسطنها . قلت :

— نحن نحبكم .

وإذا بصوت عال يقول في غير جدية :

— ما شاء الله !

أديت التحية للمضابط فقال مقطبا :

— ماذا تفعل ؟.. ألا تعرف التعليمات ؟

وابتعدت من فورى والمرأة تقول له شبه غاضبة :

— أفرعته يا رجل !

عند الظهر صدرت الأوامر بالتحرك إلى قرية البيضا على بعد ثلاثة كيلومترات
من صعدا . ولدى مشارف الموقع الجديد هاجمناه على شكل كاشة نتقدما ثلاث
عربات مدرعة . وثار الضرب من الجانبين كأعنف ما يكون . اشتد الضرب
علينا بغزارة وشت بضخامة القوة التى تتصدى لنا . انطلق الرصاص من مركز
المراقبة ، من أسوار القلعة ، ومن أكثر من كمين ، انفجرت قنابل ورائنا وبين
صفوفنا . وصدر الأمر بالانسحاب ونحن نقاتل . انسحبنا مقاتلين بعنف .
انغرزت إحدى سيارتنا المدرعة في حفرة وتعذر عليها المسير . انهمر عليها
الرصاص كالطر فلم يجرؤ أحد ممن فيها على رفع رأسه وتوقف الدفاع ، أحاط بها
العدو من كل جانب ونحن نقاتل مهقهرين لا نستطيع أن نغد لهايدا ، ثم أطبق عليها

الأعداء بالبلط والخناجر .

ساعات مرت دون أن تتوقف العملية دقيقة واحدة . أنهكنا التعب . قل زادنا من الطعام والذخيرة والماء . وضاعف من إرهاقنا إحساسنا بالقذارة ونحن نتقلب في الطين . الساعات تمر بثقلها فوق أجسادنا وأرواحنا . وسألت نفسي حتى متى أحتمل العناء الذى يفوق البشر .

— صوت دبابات !

— وطائرات !

هل جاءت نجدة حقا ؟

ارتفعت روحى المتهافة . اشتد إطلاق النار . دارت الدبابات من حولنا وهى تقذف بقنابلها . ثم دوت انفجارات قنابل الطائرات . تراخت القبضة الخائفة لرقابتنا . تحولنا من الدفاع المتقهقر إلى الهجوم . اقتحمنا البيضا ونحن نتساقط من الإعياء . علمت باستشهاد أحد زميلى بنقطة الإنذار فوق الجبل الأسود . تذكرت أحاديثنا منذ ساعات عند مشارف قرية غراز . قال إنه رأى وجوها تشبه بعض أفراد أسرته بدرجة مذهلة . اقتنع بأنه ينحدر من أصل يمنى . وقال لى : — لا تدهش إذا قررت — بعد الحرب — الإقامة فى اليمن إلى الأبد !



الأديب

طارت بنا الطائرة إلى تعز . ودون توقع أحد منا وجدنا أنفسنا في جنة .
تهادت بنا السيارة من المطار إلى القصر الجمهورى في جنة .

— ماذا ترون أيها الإخوة ؟

— سويسرا .. لبنان .. حلم الخيال .

الحقول خضراء ، المراعى خضراء ، الطرقات مجللة بالأشجار ، الحدائق
أكثر من البيوت عدا ، سلسلة من الجبال كالأنغام المتموجة مكسوة بالزمرد
زر كشة بالأزهار ، الجو لطيف يريق السحر معبقا بشذا الورود والثمار . وصاح
صائح مشيرا إلى القمة :

— ياله من فندق سياحى !

إنه يلوح كوكر نسر فوق قمة جبل وسيط بين التمججات الجبلية غير أن الدليل
قال مصححا بهدوء :

— بيت الرهائن ، وهو اليوم خال .

وضحكنا ونحن نتأمله فى أسمى . واخترت شاعرا من بين الزملاء وهمست

له :

— ألا تعذرني إن طلبت الإقامة فى تعز ؟

فأجاب بشيء من الامتناع :

— دلتنى على ملهى واحد ..

ولما آنس منى دهشة استرد :

— دفء الجمال الحقيقي إنما ينبعث من المرأة ..

ثم بعد دقيقة صمت :

— والويسكى .. لا يجوز أن ننسى الوقود .

استرحنا في القصر الجمهورى ساعة . دعا الداعى إلى التسويق . ذهبنا إلى

السوق كل يحمل بدل سفره . وتساءل صوت فى براءة :

— أليس من الأفضل أن نحفظ بالعملة الصعبة لوطننا ؟

انهالت عليه مخترارات من السباب شعرا ونثرا . تجولنا فى السوق . الوجوه

ناضرة جميلة . الحوانيت يديرها غلمان هم آيات فى النشاط والذكاء . اخترنا

محلا متوسطا فانقضضنا عليه كمجموعة من الفئران . زاغت الأبصار بين لعب

الأطفال والساعات الأتوماتيكية والأغطية والمفارش والبلوزات والإشارات

والشالات . من جميع بلاد المعمورة . وابتاع كل حقبة متوسطة ليودع بها

هداياه . عدنا ولا عملة معنا صعبة ولا سهلة . ذهبنا — عقب الغداء — إلى

ميدان الشهداء لشهود ندوة أدبية . استقبلنا بهتاف واتخذنا مجالسنا وراء مائدة

مستطيلة . ازدحم الميدان بالجمهور . استبق الشعراء إلى الترحيب بنا والإشادة

بثورتنا . وألقى شعراؤنا قصائد عن العروبة والجهاد والثورة والاشتراكية .

وجدتني طيلة الوقت أقارن بين أحاديثنا الفردية وكلماتنا أمام الجمهور . بين

تجولنا فى السوق وموقفنا وراء المنصة . إن الصوت الذى يتحدث أمام الجماهير

هو صوت الجماهير . وخيل إلى أننى أدركت شيئا مما ينقصنا . لعله محور التناقض

بين ما يقال وما يجب أن يقال . أن نتبنى فى خلوتنا صوت الجماهير . ها هى

أشداق مستقبلينا متكورة بالقات إذ قامت الحفلة فى وقت التخزين . هكذا

اجتمع خازنو القات بخازنى الهدايا فى سباق الحماس لتقرير المبادئ المثالية للأمة

العربية . وعند إبداء ملاحظة من هذا النوع ستسمع من يرد عليك قائلا : يا

أخى .. نحن بشر .. لم نرتكب شرا .. ونحن مخلصون .. « ولكن أين الروح
التي تشعل القلوب ؟ ، أين لحظات الانتصار على النفس التي تخلق المعجزات على
مدى التاريخ ؟ ماذا ينقصنا ؟ . لماذا نبقى كأننا متفرجون حسنو النية أمام فيلم
بموج بجليل الأحداث ؟ . وخيل إلّى أن شيئا يتحرك عند ساقى تحت المائدة .
طويت طرف الغطاء ونظرت إلى أسفل فرأيت صبية فى الثامنة أو دون ذلك ،
متلعة بشال أبيض ، تنفّرج على الحفل من تحت المائدة ، شعرت بعينى فأدارت
نحوى عينيها فرأيت وجها صغيرا نقى البشرة يحدّق فى بعينين سوداوين كأجمل
مارأيت فى حياتى من عيون . وجب قلبى ممّتنا لرؤيتها . وفاض به نبع من الحنان
والحب . ورفعت عينى إلى قطع السحاب الأبيض المشعشع بنسائم مخضلة برذاذ
يحبى قليلا وينقطع قليلا فاطمأن القلب إلى وجود شيء صغير على هامش الجمع ،
عند ساقى ، ولكنه كامل الصدق والنقاء . وسهرنا فى حديقة القصر حتى المزيغ
الأخير من الليل . الهواء بارد دسم ولكنه مفعم بالأمان والسحب تبهر العين
بضياء القمر . وقال محدثنا :

— المدن معنا ، أما الجبال فمارقة ولا سبيل للتفاهم بين الاثنين .

وقلب عينيهِ فى وجوهنا مستطلعا ثم واصل :

— فإما أن نلتزم موقف دفاع إلى الأبد وإما أن نبید العدو إبادة !

وقال قائل :

— الإبادة !

وقال آخر :

— الحضارة .. نغزوهم بالحضارة !

وثالث قال :

— نعترف بالواقع !

وتواصل الحديث تحت ضوء القمر . وتجلّت لنا الحقيقة صخرية صلبة

مستقلة بذاتها عن الأحلام .

الجندي

إلى وادى نشوز .

تحر كنا بالعربات المدرعة R + R شارفنا الوادى . تقدمت دبابتان للاستكشاف تتبعهما مدرعتى للحراسة . دخلنا ممرا ضيقا تقوم على جانبيه هضبتان صخريتان وكنا فى المدرعة عشرة . بعد توغل نصف كيلومتر انهمر علينا الرصاص . تصدت دروع السيارة للرصاص واستمرت عملية الاستكشاف . انحشرت سيارتنا فى مطب أو التحت بشيء مرتفع فتوقفت . عجزت عن التحرك وضاع كل جهد لتخليصها .

— على دبابة أن تدفعنا من الخلف .

— ليذهب أحدنا إلى إحدى الدبابتين .

وقعت القرعة على زميل فغادر السيارة ليزحف على بطنه فى الظلام . انتظرنا فى غاية من القلق . وبعد دهر رجع إلينا وهو يقول :

— دبابة المقدم مشبكة فى قتال على بعد خمسة كيلومترات . أما الأخرى فقد

تعطلت !

صعقنا الخبر . وهمس صوت :

— نحن عشرة والعدو آلاف .

— والعمل ؟

— مصير سيارة البيضا !

من داخل السيارة رأينا الأشباح تهبط فى حذر من الجبل . فتحنا سقف السيارة وأخذنا أهبتا بالبنادق والقنابل اليدوية . طلبنا النجدة باللاسلكى ولكن

الاتصال انقطع . أمرنا أقدمنا فى الخدمة بمغادرة السيارة . مرت لحظات رهبة ممزقة بالخوف . قاومت موجة من الضحك تريد أن تتجأحنى . وثب أحدنا . تبعناه بلا تردد . نفر من الموت إلى الموت . انهال الضرب . انبطحت على وجهى . استعملت البندقية والقنابل اليدوية . فى هنية صمت رفعت رأسى فلم أجد أثرا لأحد من زملائى . دعوت القمر أن يختفى . لم أدر أين أتجه ولا كيف تفرق الزملاء . خيل إلى أننى محاصر . اتجهت وجهة بلا خطة ولا علم لى بما ينتظرنى . دهمتنى لحظة مباغتة فوجدتنى حيال ثلاثة أشباح من العدو بلا تدبر أو وعى فتحت الأمان وضغطت على الزناد فانطلقت مطرة من الرصاص خر على أثرها الثلاثة . انطلقت أعدو على غير هدى تحت ضوء القمر . سمعت صوتا ينادينى فاتجهت نحوه بلهفة من يفلت من قبضة الموت . وجدتنى مع مجموعة من الزملاء ماضية فى حذر نحو شبح الدبابة المعطلة . ولما بلغناها صحننا معا .

— افتحوا .. نحن مصريون !

لم نتلق من الداخل استجابة من أى نوع كان . كررنا النداء بلا أمل . يئسنا فدفعنا أنفسنا فى الحشائش متفرقين وأصوات الرصاص لا تنقطع . وأخذ الضرب يخف حتى سكت . نهضت فى حذر مقتربا من الدبابة وهتفت بتوسل :

— افتحوا .. إنى مصرى .. ألا تسمعون ؟

ظلت الدبابة غارقة فى صمت متحد مرهق رهيب حتى تطايرت اللعنات من فمى ثم رجعت مغيظا يائسا إلى قبر الحشائش . وإذا بالضرب يتركز على الدبابة كالسيل . مست رصاصة خوذتى فتشهدت . ترقبت الرصاصة التالية بيأس وقهر . هاتف قال لى إننى سأعود إلى مصر . أقسم لى على ذلك . اشتد الضرب لدرجة غير محتملة . ثم يهدأ ويخف لسبب لا أدريه . لم يبق منه إلا طلقات متباعدة وأنا مغرور بكل قوتى بين الحشائش . وخيل إلى أن الظلام يخف ويهت رويدا . أجل ، الظلام يخف رغم اختفاء القمر وراء الجبل . سوف تلوح تباشير الضياء

وينقشع الظلام الذى يخفىنى عن عين العدو المتربص . سيجدنى صيدا سهلا
وسينال الرصاص الحائق الغاضب على من جميع الجهات . الصباح يقترب ولا
مكان للمعجزات . لعل أسمى تصلى فى هذه اللحظة ولكن لا أمل فى المعجزات .
واشتد الضرب فجأة . اشتد أكثر من أى وقت مضى . أصبح الضوء يسمح
بالرؤية . أقدام العدو تتراجع نحو الجبل والضرب يجىء من الناحية الخلفية .
ترامى إلى سمعى صوت دبابة أو دبابتين . جاءت النجدة . إن القذائف تطير فوق
لتنفجر خلف سفح الجبل . لم تدم فرحتى إلا ثانية واحدة ثم تساءلت كيف أعلن
عن حقيقتى المدفونة لبنى وطنى ؟ . كيف أتجنب الموت برصاصهم أو شظايا
قنابلهم ؟ . أطلقت النار نحو العدو المتقهقر . وتركز الخوف من الموت فيما
ورائى . أثقلنى التعب وثقل على بصفة خاصة فوق كفى اليسرى . وغاصت
الأرض بلا سبب واضح . إلى أين تغوص الأرض ولماذا ؟ . إننى أهبط فى هوة ثم
يرفنى شئ مجهول إلى أعلى . وعاد ضوء الصباح يضعف بسرعة عجيبة حتى
غاب كل شئ فى الظلام .

٦

الأديب والجندي

غادرنا القصر الجمهورى فى الصباح الباكر . والسيارة تميل بنا نحو طريق
المطار . اعترض سبيلنا قطيع غنم ترعاه فتاة .. فتاة جميلة لخص وجهها وقوامها
جمال تعز بكافة أشكاله وألوانه . اهتز الشاعر وجعل يهلوس بها بقية الرحلة .
عدنا إلى الحديدية . إلى الحرارة الذائبة فى الرطوبة الخائقة . قال :
— الارتفاع فى المكان يحدث المعجزات ، كذلك الروح فإنها إذا شئت أن

ترتفع فإنها تعانق المعجزات ، ما رأيك في هذه الفكرة ؟
قلت :

— لخيرك ولخير الشعر لا تكتب إلا عن المرأة !

ودعانا القائد إلى العشاء فوق سطح مسكنه على شاطئ البحر الأحمر . لطف
الجو على شاطئ البحر . طاب السمر حول المائدة الحافلة بما لذ وطاب من طعام
وشراب . تجاوبت في الفضاء ضحكاتنا . هل سمعتم نكتة الرجل الذي . هل
تعرفون حكاية الزوجة التي ، هل وهل وها وها وها . وتنوع الحديث واختلط
جده بهزله ، وتعدد المتحدثون في وقت واحد ، وانقسموا إلى وحدات مستقلة .
— الجبليون أشداء . عندما يحكم على أحدهم بالموت يتقدم إلى السياف مطلق
اليدين على مشهد من أهله ، لو خاف أو صرخ ركبهم العار إلى الأبد ، يحنى رأسه
بشبات ، يهوى عليه السيف دون بادرة خوف من ناحيته ، ينفصل رأسه عن
جسده وكأنه رأس رجل آخر .

— رجال أشداء حقاً ، من سلاله غزت العالم ذات يوم ، وقوة مدخرة للخير

مستقبلاً !

ترى أين تلميذى القديم ، جندي المظلات ، ماذا يفعل الآن ، وماذا يفعل

غدا ؟

— وينفنون أوامر شيخ القبيلة بلا تردد ، في المعقول وفيما يجاوز أي

معقول ، حتى الموت نفسه يهجمون عليه دون مبالاة ، ويؤمنون بأنهم من طينة

غير طينة البشر ، وأن الدنيا جميعاً تحت وأنهم فوق ، كالجبال التي تؤويهم !

— ستعود فرقة من الجنود معنا على ظهر الباخرة ..

— ما أجمل أن تؤدى واجبك فى حرب ثم تعود إلى الوطن سالما !
— الإنسان يحارب منذ وجد على ظهر الأرض ، ومن خلال الحرب خلق
الحياة والحضارة !

— متى انقلبت إلى مارد فلسفى ؟
— لا فلسفة ولا دياولو ، فكرة تذهب لى وأخرى تجيء لى ..
— سبق أن قلت لأنك لم تحارب ولن تحارب .
— والحمد لله على ذلك !
— ومرة تزوج جندى دون إذن فقدم للمحاكمة وحكم عليه بالحبس سبعة
أشهر . ثم أرسل إلى مصر لتنفيذ الحكم ولكنهم أرسلوا معه زوجته اليمنية ..

* * *

— دماغى يدور ويجب أن نتبادل الرأى !
— سيتسع المجال فوق ظهر السفينة .
— العالم غريب مليء بالمتناقضات ولا معنى لشيء إذا لم نعرف لماذا نعيش !
— شربت أكثر مما ينبغى ..
— إني أشرب زجاجة كاملة وأستطيع بعد ذلك أن أحاضر إذا شئت ..
— متى تجمع محاضراتك فى كتاب ؟

* * *

ترى أين ضابط الشؤون العامة لأسأله عن جندى المظلات ؟

* * *

— وتلاقينا مع قوة معادية ولكن حجز بيننا صخرة كبيرة فى ممر جبل ،
تحصنت كل جبهة فى مكانها واستحال علينا القتال ، دخلنا معركة كلامية ، قلنا

لهم يا عبدة الإمام يا أعداء الإصلاح فقالوا لنا يا كفرة يا فجرة يا عبدة الشيوعية ،
ثم تمادينا في السب والقذف !

* * *

— لا أعرف مكانه الآن ، اكتب له خطابا وأعدك بإيصاله إليه في أى مكان
في الميدان ..

* * *

— هل جربت مواجهة الموت ؟
— الحياة كلها كفاح وليس الجندي وحده الذى يحارب ..
— ولكن ..
— سأقص عليك قصة حب عانيتها زمنا ، بطلتها فتاة متمردة وحشية ،
وسوف تقتنع بأن ما كان بينى وبينها لا يختلف عن القتال فى شيء .

* * *

هل ثمة فرصة لأكتب كلمة سريعة ؟
أخى العزيز ..

كم وددت أن أودعك قبل الرحيل . أذكرك بالحب والإكبار وأنا على وشك
العودة إلى أرض الوطن . ستعود إليه ذات يوم منتصرا راضيا بإذن الله . اهنا الآن
بأنك تحارب فى سبيل قضية عادلة ، قضية التقدم للإنسان العربى . ومهما تكن
العوائق ومهما تكن العواقب فإنك بذرت فى الأرض بذرة من طبيعتها النمو
والازدهار . أستودعك الله وإلى اللقاء .

حیات و بچی



المسرح منقسم إلى قسمين . قسم أمامي وهو حوالى ثلثي المساحة وهو مضاء واضح المعالم . في وسطه نخلة مفروسة ، وفي جانب منه ساقية صامتة ، القسم الخلفى مرتفع الدرجات على هيئة مصطبة ، تغشاها الظلمة ، وتلوح به أشباح راقدة ، نيام أو موتى . الطابع طابع تجريدى .

يرفع الستار . على المسرح فتاة جميلة تسير ذهابا وجيئة بين النخلة والساقية . ثوبها يناسب الجو التجريدى حيث يصعب تحديده على أساس جغرافى وكذلك ثياب جميع من سيظهرون على المسرح . ومع ارتفاع الستار تترامى معركة بين اثنين آتية من ناحية اليسار . شتائم وتهديدات وأصوات ضرب .

الفتاة : يا رب السماوات .. متى تختفى هذه الأصوات من الوجود .. متى تشرق شمسك على أرض ناعمة البال ، قريرة العين ؟ (تصغى إلى الأصوات بقلق متزايد ثم تقول :) ترى هل أكفر عن ذنب قديم ؟ ، أو أنه بلاء مركب فى دمي ؟ ، أو أنها أخطاء تقع فلا تلقى إرادة صادقة لإصلاحها ؟ . (يتقهقر شخص مندفعاً بعنف ، نتيجة لدفعة قوية تلقاها فى الخارج ، ثم يسقط تحت النخلة مغشى عليه . الفتاة تنحنى فوقه باهتمام وتربت على خده بخنان . يفتح عينيه . ينظر إليها ثم يغمض عينيه مرة أخرى مغمضهما)

الفتى : أوى ! (تربت على خده بخنان ، يفتح عينيه لحظات ثم يغمضهما مغمضهما) أمى ! (تربت على خده بخنان ، يفتح عينيه لحظات ثم يغمضهما مغمضهما) زوجتى !

- الفتاة : شد حيلك . (تدلك خديده . يفتح عينيه مفيقا . ينظر إليها طويلا ثم يتمم)
- الفتى : أنت !
- الفتاة : حمدا لله .. قم .. اعتمد على ذراعى .. (تقيمه .. تمسح بمنديل جبينه وتسوى له شعره .. وهو يأخذ في التماسك شيئا فشيئا) لعلك أحسن .. (الفتى لا يرد ولكنه يعاود حاله الطبيعية) تنفس بعمق فالجو اليوم طيب .
- الفتى : لا شيء طيب على الإطلاق .
- الفتاة : الجو طيب على الأقل ، هدىء خاطرك .
- الفتى : هيات أن يطيب بعد اليوم جو أو خاطر . (تشده برقة إليها في دلال) .
- الفتاة : تعال إلى ، أنا لا أعرف اليأس . (تتحد في عيني الفتى نظرة ولكنه يتراجع في حياء أمام نظراتها الحنونة)
- الفتى : لست على حال أنا معها بعطفك ، معذرة ..
- الفتاة : ليتك تقنع بصدري ملاذا لك من متاعب الدنيا .
- الفتى : ليت ذلك في الإمكان .
- الفتاة : إنه ممكن إذا أردته .
- الفتى : (متحسسا رأسه وعنقه في تألم) إنه مستحيل أردت أم لم أرد .
- الفتاة : إنها اللعنة القديمة التى تطارد التعساء .
- الفتى : الحق إنها تطارد الأحياء .
- الفتاة : وعلى الأحياء أن يحذروها ، إنى أدعوك إلى السعادة الحقيقية في الوجود .
- الفتى : حتى السعادة تنقلب أحيانا بين أيدينا ترابا وخجلا .

الفتاة : يا لك من جاحد .

الفتى : لا أنكر عهدك ، ولكنى أخشاه ، أخشاه فى لحظة اندحارى

الراهنه ، وأراه من موقفى الدامى ذا جاذبية مخيفة تعمى البصر .

الفتاة : أهذا شعورك نحو تفتح القلب وتألّق الأزهار وجنى الثمر ؟!

الفتى : بل إني أذكر مع الأسى ثقل الجنون ، وترهل العضلات واسترخاء

المهم .

الفتاة : دعنى أكرر أن لبتك تقنع بصدري ملاذا لك من متاعب الدنيا .

الفتى : يا له من جمال دافئ قهار . أقوى من الموت نفسه ، ولكن تلاشت فى

أحضاناه أحلامى .

الفتاة : إنه أنفع من أحلامك .

الفتى : سيظل الجبن أكبر منغص لصفو الرجال .

الفتاة : من عجب أن تحن إلى فظاظة الخلاء !

الفتى : أجن حقاً إلى توهج مصباح الحياة على حافة هاوية الخطر الداهم .

الفتاة : والدم والتشرد والغبار .

الفتى : بل قوة الاعتداد المسخرة للرياح .

الفتاة : ولدى زلة قدم يهال التراب على رجل من الرجال .

الفتى : والصرخات المدوية تتوارى فى أعقابها الفئران فى الجحور ، ولذة

التساؤل المفعم بالقلق أمام احتمالات الحياة والموت .

الفتاة : ووجهك الملطخ بالدماء المثير للرعب .

الفتى : ونبض القلب يزهو النصر المؤسس على الحق والكرامة .

الفتاة : أنت أنانى ، زهدت فى بعد شيع . وشاقتك رائحة الدماء .

الفتى : إني أحبك ولكنى أكره أن أتمرغ فى التراب .

الفتاة : هذا يعنى أنك لا تحبنى . (الفتى يشير إلى المصطبة المسربلة فى

الغلام حاملة الرقود من الأشباح)

- الفتى : ليكن لى قدوة فى الغابرين .
 الفتاة : لا أحب النظر نحو الموتى .
 الفتى : لكنهم أحياء ما دمنا أحياء .
 الفتاة : فراغ وراءك وفراغ أمامك ، ولا حقيقة فى الوجود سوى !
 الفتى : كم استنمت إلى هذا الكلام الأسر حتى داستنى الأقدام .
 الفتاة : لقد أشعلت غضبه بمزاحك .
 الفتى : المزاح من آداب حياتنا فكيف يكون جزائى ضربا أيما موجعا !
 الفتاة : طالما حذرتك من المغالاة فيه .
 الفتى : ولما أردت الدفاع عن نفسى خذلتنى يداى .
 الفتاة : الرجل المهذب خير عندى من الرجل القوى .
 الفتى : صدقت حتى وهنت منى القبضة .
 الفتاة : كان على أن أنتشلك من حياة التشرذ فى الخلاء .
 الفتى : وهكذا هزمنى وهو يسخر من ضعفى .
 الفتاة : لا تمزق عشرتنا بالكبرياء .
 الفتى : إنها تتمزق بالمهانة كما تتمزق بالموت .
 الفتاة : لا شىء كالموت .
 الفتى : إنه ليس شر ما فى الحياة .
 الفتاة : صدقتنى فإنه العدو الأول للحياة .
 الفتى : أيسرك أن أراضى بالهزيمة ؟
 الفتاة : ارض بأى شىء إلا الموت .
 الفتى : وأعود إلى اللعب السعيد وقلبى يحترق بنار الهزيمة ؟
 الفتاة : للزمن بلسم يشفى كل شىء إلا الموت .

الفتى : (مشيراً إلى المصطبة) تعامل أجدادنا مع الموت بعقيدة أخرى فوهبوا الخلود .

الفتاة : لقد ماتوا وشبعوا موتاً .

الفتى : (مخاطباً المصطبة وأهلها) قولوا إنكم خالدون . (صوت من المصطبة كالصدى) : إنكم خالدون .

الفتاة : لا تخاطب الفراغ كالجنانين .

الفتى : ألا تسمعين ؟

الفتاة : إنك تصرخ في الأموات تبريراً لسفك الدماء .

الفتى : يا له من صوت رهيب !

الفتاة : متى كان للتراب صوت .

الفتى : (مخاطباً المصطبة) هل تسمعون ما يقال ؟

الصوت — الصدى : (بعد قليل) هل تسمعون ما يقال ؟

الفتى : ماذا فعلتم بالموت وماذا فعل بكم ؟

الصوت — الصدى : ماذا فعلتم بالموت وماذا فعل بكم ؟

الفتى : (لا يزال متطلعاً إلى المصطبة وكأنما يخاطب نفسه) إنهم يرددون

قولى .. أجل .. ولهذا معنى عميق لا يخفى على لبيب .. وها هم

يتحركون . (يظنون رقوداً طيلة الوقت ودون حركة) .. إنهم

يهدون إلى صورة عزيزة غابرة .. ها هو القتال يحدث .. الشهداء

يسقطون .. الجنود يتسلقون جدار الحصن كالثمل .. ها قد سقط

الحصن .. وهذا هتاف النصر يدوى مخترقاً جدار المئين من السنين

(ثم ملتفتاً نحو الفتاة) .. أرايت .. أسمعت ؟

الفتاة : لا شيء يرى ولا يسمع !

الفتى : لقد زلزلنى هتاف النصر فوق جثث الشهداء .



- الفتاة : ما هي إلا هواجس رغباتك الجامحة في القتل .
- الفتى : سحقاً للخمول في خمائل الورد .
- الفتاة : يا حسرتاه على حكمة الأيام الناعمة .
- الفتى : (مشيراً إلى المصطبة) لقد لفحتني أنفاسهم المحترقة حزناً على .
- الفتاة : ليس للأموات أنفاس تحترق .
- الفتى : إذا مات الأموات أدرك الفناء كل شيء .
- الفتاة : إذا أردت الحياة حقاً فلا تنظر إلى الوراء .
- الفتى : ولكن الوراء هو الأمام !
- الفتاة : ولا تنظر إلى الأمام ..
- الفتى : (يقطب محجباً حائراً) .
- الفتاة : فلتفرق في عيني توهب خلوداً بين الظلمتين ! (قهقهة ساخرة
- وحشية تترامى من ناحية اليسار) .
- الفتى : أسمعهم استفزازة الساخر ؟!
- الفتاة : ربح هو جاء يعربد خلالها الشقاء .
- الفتى : إنه يتحداني !
- الفتاة : سأغني لك أغنية ترقص لها الحمام فاستمع لي أنا !
- الفتى : فلتطرب العصفير .
- الفتاة : فلتنهأ بك شهوة الدماء .
- الفتى : إن قهقهته الساخرة تحيل الهواء في صبري تراباً .
- الفتاة : خير ما تفعل أن تصم أذنيك .
- الفتى : ولكني خلقت بأذنين .
- الفتاة : لتسمع بهما مناجاتي الدافئة .
- الفتى : يا لها من مناجاة أجهضت همتي ،.. الوداع ..

الفتاة : لن تستغنى عنى أبدا .

الفتى : فلتكونى الأمل المؤجل حتى يطيب كل شيء .

الفتاة : لن يطيب شيء بعيدا عن ذراعى . (القهقهة الساخرة تترامى من بعيد) .

الفتى : الوداع .

الفتاة : انعم بالنوم رغم الضوضاء .

الفتى : بل أقضى على الضوضاء قبل أن أنعم بالنوم .

الفتاة : كلمة أخرى .. لا أريد أن يدركنى اليأس . (الفتى يضع أصبعيه فى أذنيه . تنظر إليه مليا ثم تمضى إلى الجهة اليمنى) . (الفتى ينظر نحو المصطبة) .

الفتى : لا يمكن أن يدلنى على حقيقة الحياة إلا شخص أدركه الموت !
الصوت — الصدى : الموت .

الفتى : ذهبت .. ولكنها لن تذهب بعيدا .. محال أو أتححر منها كلية .. ولا رغبة لى فى ذلك .. ولا قدرة لى عليه .. ولكنى أريد الحقيقة ..
الصوت — الصدى : الحقيقة .

الفتى : أفصحوا .. لا تتكلموا كما تتكلم الصخور .
الصوت — الصدى : الصخور .

الفتى : حدثونى عن الموت والحياة .
الصدى : الحياة .

الفتى : من هو البطل ؟
الصدى : البطل .

الفتى : أهو المحارب ؟
الصدى : المحارب .

الفتى : أهو المسالم ؟

الصدى : المسالم .

الفتى : اللعنة .. اللعنة .. اللعنة .. (يتحول الفتى عن المصطبة)

(صائحا) على أن أستعد .. إلى بالطبيب .. أيها الطبيب .

(يدخل الطبيب .. بنفس الثياب التجريدية .. ولكنه ذو لحية ..

ويده حقية) .

الطبيب : لا تصرخ اتقاء للمضاعفات .

الفتى : وهل تأكدت من مرضى حتى تحذرنى من المضاعفات ؟

الطبيب : إننا لا ندعى للأفراح .

الفتى : بل يبدو لى أنى مريض .

الطبيب : إننى أعمل يومين فى اليوم الواحد .

الفتى : ياه !

الطبيب : إنه الوباء .

الفتى : هل يوجد وباء ؟

الطبيب : كأنك تعيش فى قمقم .

الفتى : قمقم من الغم .

الطبيب : وهم ينتشر رغم المقاومة الفنية المنتظمة .

الفتى : لعلكم ازددتم به ثراء على ثراء .

الطبيب : نحن نترى بفضل الأمراض لا الأوبئة .

الفتى : لكن الوباء ما هو إلا مرض كبير .

الطبيب : الوباء ينتشر انتشارا أعمى فيهدد كبار رجال الدولة ولذلك فهم

يسخرون الأطباء لمقاومته فلا نفيد من ورائه خيرا يذكر .

الفتى : أمر يدعو للأسف ، ولكننا ندفع ثمن إهمالنا للبيئات الفقيرة القذرة .

- الطبيب : الوباء وفد من الخارج كالعادة دائما .
الفتى : ربما ولكنه يستفحل في البيئات الفقيرة .
الطبيب : استفحل هذه المرة في البيئات الراقية !
الفتى : ظاهرة غريبة تستحق الدراسة .
الطبيب : لكنك استدعيتنى لأمر أهم من التزود من الثقافة الصحية العامة .
الفتى : عندك حق . إنى أعتقد أنى مريض .
الطبيب : إنى مصغ إليك يا سيدى .
الفتى : لا أعراض خاصة تستحق الذكر .
الطبيب : لعلك ترغب فى إجراء كشف عام ؟
الفتى : تقريبا .
الطبيب : إما أنك تريد أو لا تريد فما معنى قولك « تقريبا » ؟
الفتى : لا مؤاخذه فهذا ما قصدته بالدقة .
الطبيب : ولم لم تذكر ما تقصد بالدقة من أول الأمر ؟
الفتى : ولا تشتد فى محاسبتى على أسلوبى فى الكلام .
الطبيب : هل يجرى كلامك على هذا النحو القلق عادة ؟
الفتى : تقريبا !
الطبيب : عدنا إلى تقريبا !
الفتى : فلنفترض أن الجواب بالإيجاب .
الطبيب : فلنفترض !.. ألا تستطيع أن تعبر عما تريد بدقة ؟
الفتى : طيب ، إنى أرغب فى إجراء كشف عام .
الطبيب : أسلوبك فى الكلام لا يخلو من دلالة مريبة .
الفتى : عدنا إلى الأسلوب .
الطبيب : إنه أول عرض .

- الفتى : عرض ؟!
- الطبيب : إنك تحاور وتداول ، ولا تقصد إلى هدفك رأسا .
- الفتى : معذرة .
- الطبيب : وهذا هو أول أعراض الوباء .
- الفتى : الوباء !
- الطبيب : أما بقية الأعراض فيمكن استنتاجها .
- الفتى : لا أفهم شيئا .
- الطبيب : غير مهم .
- الفتى : ولكنه مرضى أنا .
- الطبيب : إنه وباء فهو ملكية عامة .
- الفتى : فليكن ، علينا أن نفهمه على أى حال .
- الطبيب : بل عليك أن تتداوى منه .
- الفتى : حسن ، فلتحدثنى عن بقية الأعراض .
- الطبيب : بل عليك أن تحدثنى أنت .
- الفتى : ولكنك قلت إن بقية الأعراض يمكن استنتاجها .
- الطبيب : أتريد أن ترسم لى خطتى فى العلاج ؟
- الفتى : أنا تحت أمرك .
- الطبيب : هذا هو العرض الثانى !
- الفتى : أين هو ؟
- الطبيب : بعد المحاورة والمداورة تصدر جملة واضحة محددة وهى « أنا تحت أمرك » .
- الفتى : ولكنها مجرد مجاملة !
- الطبيب : هذا ما يخيل إليك ، أما الواقع فإنه العرض الثانى !

- الفتى : بهذه الطريقة يمكن أن نعتبر أى عبارة عرضاً من أعراض الوباء .
- الطبيب : قولك هذا يقطع بعدم ثقتك في العلم .
- الفتى : ولكنى من المتحمسين للعلم ..
- الطبيب : (يمز رأسه في شك وهو صامت)
- الفتى : (وهو يشير نحو المصطبة المسربلة بالظلام) إني من أصل عريق كان أول من أحرز في ميدان العلم نصراً .
- الطبيب : الإشارة نحو الظلام مقرونة بالمباهاة عرض ثالث من أعراض الوباء .
- الفتى : لست من هؤلاء .. إني بصفة عامة متعصب للعصر الحديث ..
- الطبيب : متعصب ؟!
- الفتى : أقصد أنني متحمس للعصر الحديث ، ولا ألتفت نحو الأسلاف إلا تحت ضغط ضرورة ملحة !
- الطبيب : وهاك عرضاً من أعراض الوباء .
- الفتى : إذن فأين يقع السلوك الصحيح ؟
- الطبيب : إنك لا تدري عنه شيئاً فيما أرى !
- الفتى : إني أجد دواراً في رأسي !
- الطبيب : الصراحة تحدث لك دواراً ؟ .. عرض خامس !
- الفتى : لعلى بالغت في التعبير .
- الطبيب : من الدوار إلى المبالغة .. عرض سادس !
- الفتى : خير ما أفعل أن ألزم الصمت .
- الطبيب : من الدوار إلى المبالغة إلى الصمت .. عرض سابع !
- الفتى : ها .. ها .. ها ..
- الطبيب : دوار ، مبالغة ، صمت ، ضحك بلا سبب .. عرض ثامن ..
- الفتى : ها .. ها .. ها .. ها .. ها ..

الطبيب : إغراق في الضحك رغم التأكد من أعراض الوباء .. عرض تاسع !
الفتى : (يخفى وجهه بين كفيه)

الطبيب : وتخفى وجهك ولكن أعراض الوباء لا تختفى .

الفتى : وماذا يمكن أن أفعل ؟

الطبيب : وهذا هو التساؤل الذى يمثل أخطر أعراض الوباء .

الفتى : الحق أنك لا تشخص مرضا ولكنك مصمم على إثبات وجود الوباء .

الطبيب : ها أنت تبدأ بالتهجم على ، ومعنى ذلك أنك تهادن من يتحرش بك
وتتحرش بمن يحسن معاملتك .. وهذا هو العرض العاشر .

الفتى : إنك تثير غضبى .

الطبيب : وتغضب حيث يجب الحلم .. العرض الحادى عشر .

الفتى : (هازئا) لولى لا بى .

الطبيب : هذيان لفظى .. العرض الثانى عشر .

الفتى : سيدى الطبيب ، ألم تعالج فى حياتك رجلا من أصحاب النفوذ ؟

الطبيب : حصل .

الفتى : وهل صارحته بما تصارحنى به الآن ؟

الطبيب : كلا .

الفتى : وكيف تصرفت معه ؟

الطبيب : تجنبت ذكر أى عرض يسىء إليه .

الفتى : ولكنك عرضت حياته للخطر ؟

الطبيب : هذا على أى حال خير من تعريض حياق للخطر !

الفتى : أليس ذلك بعرض من أعراض الوباء ؟

الطبيب : بلى !!

الفتى : إذن فأنت مصاب أيضا .

الطبيب : طبعا لم يسلم من الوباء أحد !

الفتى : ألا تتداوى من الداء ؟

الطبيب : بنفس الدواء الذى سأصفه لك .

الفتى : وهو ؟

الطبيب : إنه دواء واحد لا بديل له ، وهو أن تسير إذا سرت على يديك ، أن

تسمع بعينيك ، أن ترى بأذنك ، أن تذكر بعقلك ، وأن تعقل
بذاكرتك .

الفتى : يا له من دواء غريب وشاق !

الطبيب : ولكنه ناجح وفعال ومجرب !

الفتى : شكرا لك .

الطبيب : عفواً أن لى أن أذهب .

الفتى : مصحوبا بالسلامة . (الطبيب يتجه نحو الناحية اليسرى . صوت

القهقهة الساخرة يرتفع ، الطبيب يتوقف عن السير . يستدير
ذاهبا إلى الناحية التى جاء منها ويخفى) أن لهذا الصوت الكريه أن
يخمد ، ولا حل إلا أن أؤدبه ..

صوت من الجهة اليمنى : بل يوجد حل آخر .

(يدخل رجل عملاق بآدى الاعتداد بالنفس مبتسما بمودة)

الفتى : من أنت ؟

العملاق : صديق .

الفتى : ولكنى لا أعرفك .

العملاق : نحن فى عالم لا نعرف إلا أعداءنا .

الفتى : ولكنى لم أرك من قبل .

العملاق : ها أنت ترانى ، وفى هذا الكفاية .

الفتى : لا حول ولا قوة إلا بالله .

العملاق : تذكر هذه اللحظة جيدا فسوف تؤرخ بها السعادة في عمرك .

الفتى : وماذا تريد ؟

العملاق : أن أساعدك .

الفتى : في أى شيء ؟

العملاق : في قهر عدوك .

الفتى : ولكنى لم أطلب مساعدة أحد .

العملاق : وهذا يجعل من تقدمى إليك سلوكا جديرا حقا بالصدقة !

الفتى : ومن الذى أرسلك ؟

العملاق : قل إنها العناية الإلهية .

الفتى : هذه إجابة عامة ولا تشفى .

العملاق : إذن اعتبر أننى جئتك بحكم وظيفتى .

الفتى : وما وظيفتك ؟

العملاق : أن أقيم ميزان العدالة .

الفتى : ومن قللك هذه الوظيفة ؟

العملاق : الفرد هو الذى يختار الوظيفة التى تناسبه .

الفتى : ولكننى لم أسألك المعونة .

العملاق : ربما لأنك لم تكن تعلم بوجودى على كعب منك . وربما ..

الفتى : وربما ؟

العملاق : وربما لأنك تبالغ فى تقدير قوتك .

الفتى : هذا شأنى على أى حال .

العملاق : كلا .

الفتى : كلا ؟!

العملاق : إنه يدخل ضمن اختصاص وظيفتي ، على أن أنقذك ولو من نفسك .

الفتى : ولكن مرجع الأمر في النهاية إليّ أنا .

العملاق : ويرجع إليّ بحكم وظيفتي .

الفتى : إني أشكرك ، أرجو ألا تغالي في اختصاص وظيفتك . ثمة رجل وقع اعتدى على ، ولا مفر من أن أؤدبه بنفسى ..

العملاق : ولكنه يفوقك قوة ، ولا دافع لشره سوى ..

الفتى : لست في حاجة إلى مساعدتك .

العملاق : بل إنك في ميسس الحاجة إليها .

الفتى : أكرر الشكر ولكنني لا أعرفك ولا تربطني بك صلة حقيقية .

العملاق : إني جزء لا يتجزأ من المكان ، لي فيه رزق وصهر ، وتربط أسرتي بأجدادك أوأصر مودة قديمة .

الفتى : أجدادى ؟!.. إني أشك في ذلك .

العملاق : من أين لك هذا الشك ؟

الفتى : إني أعرف من كانوا على صلة بهم ..

العملاق : لا بد أن تفوتك معرفة البعض ، وأسرتي كانت ضمن ذلك البعض

الفتى : حتى لو صح ذلك فإنني لا أعتبره ملزماً لي بقبول مساعدتك .

العملاق : إني أذكر ذلك التاريخ باعتباره مسوغاً للقبول لا ملزماً له !

الفتى : إذن لا إلزام هناك ..

العملاق : أما الإلزام فيجىء من طبيعة وظيفتي .

الفتى : إني أرفض مبدأ الإلزام ..

العملاق : عجيب أن تقف هذا الموقف العنيد من مساعدة تهبط عليك من

السماء ..

- الفتى : أنا الذى تلقيت الضربة وأنا الذى علّى ردها .
العملاق : لن تستطيع ذلك وحدك .
الفتى : هذا لا يعينك فى شيء .
العملاق : بل هو كل شيء عندى ، هو وظيفتى فى الحياة .
الفتى : لا شأن لى بوظيفتك .
العملاق : لا تجعلنى أشك فى قواك العقلية .
الفتى : انصرف من فضلك ودعنى أنصرف كما أشاء .
العملاق : فكر .. فكر طويلا .. لا ترفض هبة العناية الإلهية .
الفتى : أنا الذى تلقيت الضربة وأنا الذى علّى ردها . (الفتاة ترجع وتتخذ مكانها بين الرجلين) (العملاق يحنى لها رأسه فترد التحية) .
العملاق : لى عظيم الشرف بلقاء ربة الدار .
الفتاة : شكرا يا سيدى .
العملاق : كنت أذكره بالصلة القديمة التى ربطت بين أسرتى وأجداده .
الفتاة : سمعت كل شيء !
العملاق : إنه ينكر تلك الصلة .
الفتاة : لا يمكن إنكار أى صلة قديمة أو حديثة .
العملاق : مرحبا بصوت الحكمة .
الفتاة : كن رفيقا به فهو غاضب .
العملاق : ألا يحق لى أن أتمسك بأداء وظيفتى ؟
الفتاة : مباركة الوظيفة التى تصون الحياة .
العملاق : مرحبا بصوت الحكمة .
الفتى : (مخاطبا الفتاة) — مؤامرة !
الفتاة : معاذ الله .

الفتى : مؤامرة .

الفتاة : افتح له صدرك .

العملاق : أشكرك يا صوت العقل .

الفتى : (للفتاة) إني أطلبك بالاحترام .

الفتاة : قلبي ملكه الاحترام والحب .

العملاق : لم تعاند محبيك ؟

الفتى : الحب قد يدفع إلى الهلاك .

الفتاة : الحب لا يتعامل إلا مع الحياة .

الفتى : إني أطلبك بالانسحاب .

العملاق : غريب أن تعامل الجمال والحكمة بهذه الفظاظة .

الفتى : (للعملاق) لا تتدخل في شئوني الخاصة .

العملاق : سمعا وطاعة .

الفتاة : إني ذاهبة ما دمت ترغب في ذلك ، ولكنني أتوسل إليك أن تفتح له

صدرك . (الفتاة تذهب) (فترة صمت يتبادل فيها الرجلان

النظرات ، العملاق باسم والفتى غاضبا)

العملاق : الجؤ أصبح أصلح للمناقشة .

الفتى : ألم تستنفذ المناقشة .

العملاق : كلا بعد ، افتح لي صدرك ، واتخذ بعد ذلك قرارك .

الفتى : (يتنهد صامتا) .

العملاق : أريد أن أساعدك .

الفتى : خبرني صراحة عما تريد ثمتنا لذلك ؟

العملاق : إني صديق ولست بتاجر .

الفتى : حدثني عما تريد .

العملاق : لا شيء ألبتة .

الفتى : ألبتة ؟

العملاق : إلا ما تتطلبه ظروف العمل طبعاً .

الفتى : ظروف العمل ؟

العملاق : لكى أؤدب عدوك فلا بد من استدراجه إلى هنا .

الفتى : إلى مكافئ هذا ؟

العملاق : نعم .

الفتى : لا يجوز أن يدنس مقامى بقدمه .

العملاق : لا تعط المكان أهمية أكثر مما يستحق .

الفتى : (مشيراً إلى المصطبة) إنه مقامى مذ كان مقاما لهؤلاء .

العملاق : ولا تعط للأموات أهمية أكثر مما يستحقون .

الفتى : إذن هذا هو رأيك عن الأجداد ؟

العملاق : إن باطن الأرض ملئ بالعظام وهياها أن تعرف أين عظام أجدادك

بينها .

الفتى : هذا رأى من لا أصل له .

العملاق : لا تفضض .. ما أردته هو أن أبين لك خطئى فى العمل .

الفتى : ولم لا تذهب إليه حيث يفهقه ؟

العملاق : إنى أعرف ما أريد .

الفتى : سأجاريك فى أفكارك فهل إذا وافقت على رأيك تشرع فى العمل ؟

العملاق : ولكن ليس هذا بكل شيء .

الفتى : ثمة شروط أخرى ؟

العملاق : لا تردد كلمة « شروط » فما أبغضها فى مقام الصداقة .

الفتى : طيب .. ماذا تريد أيضاً ؟

العملاق : في فترة التأهب للمعركة أحتاج لرعاية خاصة .
الفتى : مثال ذلك ؟

العملاق : تقدم لي الخمر والشراب والترفيه الضروري .
الفتى : جميل ، ولكن يخيل إلي أن مطالبك لم تنته بعد ؟
العملاق : ما أجمل أن تدعو الفتاة الجليلة لمجالستنا !
الفتى : فتاتي ؟

العملاق : إنها قلب كبير يتسع للجميع ..

الفتى : ولعله يتسع أيضا لعدونا المشترك ؟
العملاق : أعني أنني في حاجة إلى الحنان قبل المعركة .
الفتى : وماذا أيضا ؟

العملاق : بما أنني سأكون يدك عند الحاجة فمن الإنصاف ألا تتورط في فعل
قبل مشاورتي ..

الفتى : منطوق سديد !

العملاق : ولا أن تصادق شخصا قبل موافقتي فقد يكون لي عدوا .

الفتى : واحد وواحد يساويان اثنين .

العملاق : ولا أن تعادى شخصا قبل الرجوع إليّ فقد يكون لي صديقا .

الفتى : من يجادل في ذلك ؟

العملاق : هل نبدأ ؟

الفتى : أود أن أسألك سؤالا ، هل يمكن أن يفعل بي عدوى أكثر من ذلك ؟

العملاق : (مستكبرا) ولكن الفعل يتغير معناه بتغير فاعله .

الفتى : فاعله ؟!

العملاق : قبله من زوجك غير قبله من بنت هوى ، وصفعة من والدك غير

صفعة من غريب !

الفتى : وأنت تعتبر نفسك الوالد والزوجة لى ؟

العملاق : بدأنا نتفاهم فيما أعتقد .

الفتى : (غاضبا) اغرب عن وجهى .

العملاق : ماذا جرى لك ؟

الفتى : اذهب .. اذهب بلا تردد .

العملاق : أين أذهب ؟

الفتى : ابعد عن مقامى .

العملاق : ولكنه مقامى أنا أيضا .

الفتى : ماذا قلت ؟

العملاق : يا سيدى ، مضى وقت طويل ونحن نتبادل الحديث ، وقت يعطينى

الحق فى الإقامة ، وبالإضافة إلى ذلك نشأت علاقة إنسانية صميمة

مع فتاتك الحكيمة ، بل مع هؤلاء الأجداد أنفسهم ..

الفتى : أنت بلطجى ..

العملاق : فليسأحكك الله .

الفتى : اذهب بعيدا ، لا أريد مساعدتك ، وسألقى عدوى وحدى ..

العملاق : عليك فى هذه الحال أن تقا تل اثنين !

الفتى : كيف ؟

العملاق : إنك تناصبنى العدا ء وسأضطر إلى الدفاع عن نفسى ..

الفتى : تهاجمنى لأننى أرفض مساعدتك ؟

العملاق : لأنك تريد أن تطردنى من مقامى وتعطل وظيفتى الأساسية فى

الحياة .

الفتى : لا تستهن بى ، لست عملاقا مثلك ، ولكننى مصمم على منازلة

الموت نفسه .

- العملاق : ما دمت تريد الموت فلتمت .
الفتى : سأموت إذا مت وأنا أقاتل .
العملاق : إذن فلتقاتل ولتمت . (تعود الفتاة مسرعة)
الفتاة : أردت أن تفتح صدرك للتفاهم لا للموت .
الفتى : إنه شر من الآخر .
العملاق : إنه أحق .
الفتى : إنه من النوع الآخر ولكنه شر منه .
الفتاة : يا للأسف .
الفتى : لا منفذ إلى حياة طيبة مع وجودهما .
الفتاة : متى أسمع كلمة جميلة تتردد ؟
الفتى : عندما يخفيا نهما وأمثالهما .
الفتاة : كلام قديم معاد .
الفتى : ولكنه حق .
الفتاة : متى أسمع كلمة جميلة تتردد ؟
العملاق : إنى أردد هذه الكلمة المنشودة ولا من سميع .
الفتاة : (للعملاق) ألا يمكن أن تقيم ميزان العدالة بلا شروط ؟
العملاق : إنى أبغض كلمة « شروط » .
الفتاة : ألا يمكن أن تقيم ميزان العدالة دون أن تطالب بشيء ؟
العملاق : لن يكون هذا من العدل فى شيء ..
الفتاة : متى أسمع كلمة جميلة تتردد .. (صوت القهقهة الهازئة يترامى من بعيد) (العملاق ينصت إلى الصوت باهتمام ودعشة)
العملاق : رباه .. إنى أعرف هذا الصوت .
الفتاة : إنه صوت عدوه .

العملاق : عدوه !

الفتاة : نعم .

العملاق : يا لعجائب المصادفات !

الفتاة : هذا هو الرجل الذى قصدت بتقديم مساعدتك القضاء عليه .

العملاق : ها .. ها .. ها .

الفتاة : ماذا يضحك ؟

العملاق : إنه قريبى من ناحية الأم !

الفتاة : قريبك ؟!

العملاق : نعم .. يا لذكريات الطفولة السعيدة التى لا تنسى .

الفتى : ظننتك تعرف العدو الذى جئت متطوعا لضربه .

العملاق : ها .. ها .. ها .

الفتى : ألا زلت عند رأيك فى مساعدتك ؟

العملاق : ولكنك رفضت مساعدتى !

الفتى : هبنى قبلتها فهل تقدمها ؟

العملاق : مع كافة الشروط التى اشترطتها ؟

الفتى : لكنك تبغض كلمة « شروط » ؟

العملاق : نعم أم لا ؟

الفتى : نعم .

العملاق : فى هذه الحال ألعب دور رسول السلام بينكما .

الفتى : رسول السلام ؟

العملاق : إكراما لهذه الفتاة الحكيمة ، ولك .

الفتى : وتعهداتك السابقة ؟

العملاق : للقرى حقوق ، وإنى لا أوفىها حقها الكامل بموقفى هذا ..

الفتى : ولكنه هو المعتدى ؟

العملاق : ولو !

الفتى : وهو فى الأصل قاطع طرق ليس إلا ؟

العملاق : ولو !

الفتى : إنه وحش ذميم .

العملاق : إنك لا تراه على حقيقته .

الفتى : أ لم تسمع قهقهته الساخرة ؟

العملاق : هذه هى طريقته فى المزاح ، يا له من شاب خفيف الروح حقاً !

الفتى : ولكنى أعرفه حق المعرفة ، من خلال المعاملة والجوار والصراع عرفته .

العملاق : صدقنى إنه لا يكشف عن مكنون كنوزه إلا لمن يحبه ويفهمه .

الفتى : بل لا تلين عريكته إلا لمن يشكمه بالتأديب والضرب .

العملاق : أحمد الله على أنك لم تتمكن من ضربه .

الفتى : ولم ؟

العملاق : كنت سأهرع إلى نجدة .

الفتى : ها أنت تهددنى .

العملاق : للقرابة حقوق .

الفتى : تجلبت الحقيقة ، فما أنت إلا بلطجى كقريبك .

العملاق : يا له من تفكير خلىق بأن يقود إلى الهلاك .

الفتى : لا تضيع وقتى هباء .

العملاق : تصرف بوقتك كما تشاء .

الفتى : سأسوى حسائى بنفسى .

العملاق : أنت تعلم أن هذا الكلام لا معنى له ، وقد وضحت لك أهداف

(تحت المظلة)

وظيفتى ..

الفتى : اللعنة !

العملاق : إني صديقك أردت أم لم ترد ، وإني قريه قبلت ذلك أم لم تقبله ، وأنا أكبر منكما سنا وأعظم قوة ، فواجبى أن أجمع بين ثلاثتنا بعهد صداقة دائمة جديرة بهذا المكان الذى يؤاخى الأحياء والأموات أنفسهم .

الفتى : كلام طيب ونية لثيمة وفعل غشوم ..

العملاق : (مخاطبا الفتاة) .. تكلمى أنت .

الفتاة : لم يعد عندى من جديد أقوله .

الفتى : اعترفى بأننى على حق .

الفتاة : أعترف بأنه لا يهمنى فى هذا الوجود إلا الحب .

العملاق : كم أنك حكيمة !

الفتى : كم أنك أنانية .

الفتاة : الحب عطاء بلا حدود ولا نهاية .

الفتى : الوحش يأخذ ولكنه لا يعرف العطاء .

الفتاة : ليتك تؤمن بالحب .

الفتى : لا حياة للحب بين الوحوش .

الفتاة : الحب أقوى قوة فى الوجود بيد أنه سلاح لا يسلس إلا لمن يؤمن به .

الفتى : للوحوش لغة أخرى .

الفتاة : أخشى أن تنقلب وحشا مثلهم .

الفتى : الكرامة أهم من الحياة نفسها .

الفتاة : الفضائل الحقيقية ثمار لا تنبت إلا فوق شجرة الحب ..

العملاق : (مخاطبا الفتى) .. من المؤسف أنك تحب الموت أكثر مما تحب

فتاتك الجميلة الحكيمة .

الفتى : الموت أحب إلى من الخضوع لإرادتك . (القهقهة الساخرة متراعى من بعيد)

العملاق : يا له من فتى ضحكوك ، يحب المزاح بقدر ما يحب الحياة الآمنة .

الفتى : إنك لقيم بقدر ما أنت قوى .

العملاق : أمامك عملاقان ، ووراءك حياة طيبة ، فارجع إلى الوراء .

الفتى : إلى الأمام .

العملاق : (للفتاة) أقترح أن ندعه لنفسه ليفكر بهدوء فإن الجدل يغريه بالعناد

والمكابرة . (العملاق والفتاة يخرجان من بابين متقاربين في الناحية

اليتى) .. (الفتى يفكر قليلا .. ينظر ناحية المصطبة المسربلة في

الظلام) .

الفتى : آن لكم أن تنطقوا .

الصدى : تنطقوا . (الفتى يلوح بيده غاضبا .. يذهب ويحيى متفكرا ..

يدخل رجل أعشى يتحسس طريقه بعكاز ، يتصنت مائلا برأسه نحو

الفتى)

الشحاذ : هل يوجد أحد هنا ؟

الفتى : نعم .

الشحاذ : أنت الذى ناديتى ؟

الفتى : كلا .

الشحاذ : لكنه صوتك وأذنى لا تخطئ .

الفتى : خبرنى عما تريد .

الشحاذ : ماذا تريد أنت ؟

الفتى : أليست شحاذاً ؟

الشحاذ : بلى .

الفتى : لعلك تريد إحسانا ؟

الشحاذ : رزقت اليوم بما فيه الكفاية فماذا تريد أنت ؟

الفتى : لا أريد شيئا .

الشحاذ : كذب !

الفتى : شحاذ ووقع .

الشحاذ : لم تشتمنى ؟

الفتى : كيف تجرؤ على رمي بالكذب ؟

الشحاذ : لأنك كذاب ! (الفتى يرفع يده ليضربه ولكنه يتراجع أمام

عجزه)

الفتى : أذهب قبل أن أكسر رأسك .

الشحاذ : لا أذهب حتى أعرف لماذا ناديتنى وماذا تريد منى .

الفتى : اذهب أحسن لك .

الشحاذ : ليس قبل أن أعرف ماذا تريد .

الفتى : (ساخرا) وهل عندك ما تعطيه ؟

الشحاذ : اطلب ما تشاء .

الفتى : (ضاحكا رغما عنه) إني مدين لك بأول ضحكة في يومى .

الشحاذ : هذا قليل من كثير مما عندى .

الفتى : يخيل إلى أنك غنى .

الشحاذ : جدا .

الفتى : ماذا تملك ؟

الشحاذ : عالم الظلام الذى لا نهاية له .

الفتى : أنت خفيف الروح رغم سلاطة لسانك ، وكان ينبغي أن تجد ملجأ

يؤوبك .

الشحاذ : التحقت ذات يوم بملجأ .

الفتى : ولم تركته ؟

الشحاذ : رفت !

الفتى : (ضاحكا) أسمع أول مرة عن رفت الشحاذين !

الشحاذ : كان ناظر الملجأ فظا غليظا ولصا لا حياء له .

الفتى : وتوقع أن تسبحوا بحمده على أى حال ؟

الشحاذ : ولكن بعضنا تمرد وكنت على رأس التمردين !

الفتى : وفضلت أن تهيم على وجهك بلا مأوى ؟

الشحاذ : نعم .

الفتى : ولكن أليس الملجأ بكل عيوبه أفضل من التسول والتشرد ؟

الشحاذ : الحرية أفضل من الأمن نفسه !

الفتى : يخيل إلى أنك شحاذ مثقف !!

الشحاذ : أعرف أشياء كثيرة .

الفتى : مثل ماذا ؟

الشحاذ : أن أرى بأذى .

الفتى : وماذا أيضا ؟

الشحاذ : وأن أسير على يدي !

الفتى : أنت ترى بأذنيك وتسير على يدك !

الشحاذ : وصادفني في تجوالى بعض الرسميين فقادوني مرة أخرى إلى الملجأ .

الفتى : إلى الوحش ؟

الشحاذا : كلا ، كان قد خلفه ناظر جديد عادل وأمين ورحيم ..

الفتى : وكيف تركته بعد ذلك ؟

الشحاذا : هربت !

الفتى : غير معقول .

الشحاذا : كان عادلا وأميناً ورحيماً ولكنه مغرم بالنظام لدرجة الهوس ، ويطبقه

بدقة فلكية ، ولا يقبل مراجعة ..

الفتى : ولكنك نعمت بالغذاء والكساء والراحة والنظافة ..

الشحاذا : الأكل بميعاد والشرب بميعاد و « ولا مؤاخنة » بميعاد والنوم بميعاد ،

فكدت أن أجن ..

الفتى : وتمردت مرة أخرى ؟

الشحاذا : حتى التمرد حرمت منه فلم يطاوعنى ضميرى على التمرد على رجل

عادل أمين رحيم .

الفتى : كان عليك أن ترضى ..

الشحاذا : حتى التمرد حرمت منه !

الفتى : التمرد ليس خيراً فى ذاته .

الشحاذا : ولكنه خير من أن تكون حجراً .

الفتى : وهكذا هربت ؟

الشحاذا : هكذا هربت .

الفتى : إلى التراب والحشرات واللقمة والعفنة !

الشحاذا : إلى سعادتي الحقيقية .

الفتى : حديثك مثير وعجيب .

الشحاذ : فتك بعافية . (الشحاذ يتحرك)

الفتى : انتظر .. (الشحاذ يستمر في سيره) ألا تريد أن تسمعنى ؟ (يمضى

الشحاذ حتى يختفى) (يعود العملاق .. تعود الفتاة)

الفتاة : قلبى طيلة الوقت معك .

العملاق : لعلك اقتنعت برأى .

الفتى : أيها السيد الذى يحب الشر ، ويجب الخير أحيانا لحساب الشر . أيتها

السيدة التى تحب الخير ، وتحب الشر أحيانا لحساب الخير . إليكما

رأى النهاية . سأصون كرامتى حتى الموت .

الفتاة : (تخفى وجهها بين يديها وستظل كذلك إلى ما قبل النهاية) .

العملاق : شعار الوباء الذى فتك بملايين الحمقى ..

الفتى : ينابيع الحياة الحقة مهددة بالجفاف ، أشواق القلب الخالدة يساومها

الضياح ، سحقا للوحشة التى تذبل فيها معانى الأشياء ، إني

ذاهب .. (القهقهة الساخرة ترتفع) (الفتى يتحول نحوها فى

تصميم ويتقدم . العملاق يثب نحوه . الفتى يدفعه . العملاق

يقبض على كفيه ويدفع به نحو المصطبة . الفتى يتدفع حتى يغيب فى

الظلمة — الفتى يرتد كأنه كرة ارتطمت بجدار منقلبا على وجهه ثم

يقف مترنحا . وكأن حركته أيقظت الرقود وشدتهم من رقادهم .

يتدحرج أولهم حتى يصل إلى مقدم المسرح وينهض فى تناقل كمن

يقوم من نوم . يتبعه آخر مكررا نفس الحركة . ويتابع كثيرون .

رجالا ونساء مكررين نفس الحركات حتى يكثف بهم المسرح .

العملاق يتزحزح رويدا رويدا حتى يغيب في المدخل المفضى إلى
القهقهة الساخرة . تم يقظة الجميع . تنتصب قاماتهم . يرتسم
العزم في وجوههم . يجرى ذلك في تمثيل صامت . يسير الفتى نحو
ناحية عدوه وهو يضرب الأرض ضربات مسموعة منتظمة .
يضمون خلفه في عزم صلب حتى يختفوا جميعا . ضربات أقدامهم ما
زالت تترامى)

الفتاة : (يرفع يديها عن وجهها .. تصغى بحزن .. وترمى بنظرها إلى
بعيد) .

البرقة



(حجرة انتظار في بيت ولي الله)

(حجرة ذات طابع عتيق . في الصدر كونصول . باب إلى اليمن
وآخر إلى اليسار - تصطف بجوانبها كبات تفصل بينها كراسي .
ثمة حصر مزركشة معلقة على الجدران في مواضع محددة) (يدخل
فتى وفتاة . يتفحصان الحجرة باستطلاع من يراها لأول مرة ، ثم
يقفان في الوسط)

الفتى : البيت صامت كأنه قبر .

الفتاة : صفق لتشعرهم بوجودك .

الفتى : إنه يكره ذلك ، ما زلت أذكر طبعه .

(صمت قصير)

الفتاة : بيتكم قديم ، والحواري المفضية إليه شقت فيما يبدو من عهد نوح .

الفتى : لا تنسى أصلك وأنت تتكلمين عن الحواري كسائحة .

الفتاة : تأدب ، المفروض أننا مهذبون .

(صمت قصير)

الفتى : لم دعاني يا ترى ؟

الفتاة : هو أبوك مهما يكن من أمر .

الفتى : ظننت أن الماضي لن يعود .

الفتاة : الحاضر يمضي والماضي يعود ، ولا ينبغي لرجل مذهب أن يأس ،

فأى ذنب يغفر ما دام المذهب رجلا .

الفتى : ألم تحلمي يوما بأن يدعوك أبوك ليغفر لك ؟

الفتاة : لو رآنى ساعة احتضاره لغالب الموت حتى يفتك بى . (الفتى يتسم
من خلال ثوالى من الصمت)

الفتى : ترى لماذا دعانى بعد ذلك الفراق الطويل ؟

الفتاة : إنك وحيدى وللقلب حنينه ، ومن يدرى فلعلك ..

الفتى : لعل ؟

الفتاة : لعلك تذهب مكرما بثروة لم تخطر لك على بال .

الفتى : طردنى يافعا ولا ملين فى جيبى .

الفتاة : ماذا كنت تتوقع جزاء لسلوكك المشين ؟

الفتى : تشردت وجعت ولولا ..

الفتاة : ولولا فجورك لمت جوعا .

الفتى : اقطعى لسانك يا بنت الأبالسة .

الفتاة : ولأنك رجل فكل ذنب مغفور لك .

الفتى : ولأنك امرأة فكل ذنب مرجعه إليك .

الفتاة : أنت صعلوك ولكن تخافه الشياطين .

الفتى : فلتأدب ولو ساعة من الزمان .

الفتاة : حتى تضحك على الرجل .

الفتى : العبى دور الزوجة بإتقان .

الفتاة : كان عليك أن تحبى وحدك وتتركنى فى سلام .

الفتى : لعن أتقدم إليه مصحوبا بزوجتى خير من الحضور وحدى كرجل

. أعزب محوط بشبهات العزاب .

الفتاة : لعله يعرف عنك أكثر مما تتصور .

الفتى : لو صح ذلك لما دعانى بإعلان فى الجرائد .

الفتاة : ولكنه ولى من أولياء الله فكيف لم يعرف أنك صاحب خمار وأنت

مغامر !؟

الفتى : على أى حال فإنه لم يدخل السجن فهو خير من أيك المرحوم .
 الفتاة : تدفعنى إلى استعمال حذائى فى هذه الحجرة العتيقة المباركة .
 الفتى : استعمليه ، وسأرد بكسر رأسك ، ونقدم بذلك الدليل على صدق
 علاقتنا الزوجية .

(صمت)

الفتاة : آه لو يتحقق حلم الثروة !
 الفتى : وتتحول الخمارة الصغيرة إلى ملهى ليلي عالمي .
 الفتاة : والمغامر الهاوى إلى قواد دولي ! (يكور لها قبضة يده مهددا فترجع
 خطوة وهى تضحك دون إحداث صوت)
 الفتاة : الحق أن أباك ذو سمعة طيبة كرائحة الورد .
 الفتى : أجل .
 الفتاة : ما سألنا أحدا عن بيته إلا ولهج بالثناء عليه .
 الفتى : أناس هذه الأحياء طيبون !
 الفتاة : ولكنهم يؤكدون خوارقه .
 الفتى : إنهم يرون فى الحاوى معجزة .
 الفتاة : وينوهون بالطمأنينة التى يزرعها فى القلب .
 الفتى : جميع هؤلاء يبيعون إلى هنا ويجودون بنقودهم عن طيب خاطر .
 الفتاة : ربما لأنهم يأخذون ما هو أقيم مما يعطون .
 الفتى : إن قلبك لا يخلو من موطن للخرافة رغم اكتنازه بالشر الباهر .
 الفتاة : وأنت ، ألا تذكر يوم تأزمت بالمغص الكلوى ؟
 الفتى : كفى عن الثرثرة ، الرجل مليونير ما فى ذلك من شك .
 الفتاة : لندع الله أن يكون ذلك صحيحا .

- الفتى : هنا .. هنا ثروة طائلة !
- الفتاة : هنا ؟
- الفتى : أولياء الله لا يتعاملون مع البنوك .
- الفتاة : وعند حلول الأجل يمكن استخلاص التركة بعيدا عن قبضة الضرائب .
- الفتى : ولكن ثمة خطرا أفظع من الضرائب .
- الفتاة : ماذا تعنى ؟
- الفتى : أعنى من يقومون بخدمته .
- الفتاة : من يخدم أولياء الله ؟
- الفتى : الشياطين !
- الفتاة : هل تعنى ما تقول ؟
- الفتى : أعنى شياطين الأرض .
- الفتاة : من حسن الحظ أنك شيطان وبوسعك أن تتعامل مع الشياطين ، هل لك امرأة أب ؟
- الفتى : ماتت من زمن بعيد .
- الفتاة : أهو طاعن في السن ؟
- الفتى : جدا .
- الفتاة : هذا يبشر بالخير !
- الفتى : لا تعلمى ، ماتت أجيال وهو حى يمارس عمله .
- الفتاة : لم تعد أعصانى تتحمل الصبر أكثر من ذلك ، عليك أن تقابله .
- الفتى : بل علينا أن ننتظر ، إنى أعرف طبيعه . (صمت . يمشيان ذهابا وجيئة) (يفتح الباب إلى اليسار . يدخل غلام حاملا مبخرة . غلام جميل يلبس جلبابا وطاقية ومركوبا . يدور فى الحجرة حارقا

البخور دون أن يلتفت إلى الفتى والفتاة ودون أن ينبس بكلمة .
 يقف الفتى والفتاة جنباً لجنب وهما يتابعانه بعينيهما (يا غلام .
 (الغلام يكف عن الدوران ويقف قبالتها) هل أنت من يقوم على
 خدمة الشيخ ؟

- الغلام : الناس جميعاً يقومون على خدمته .
 الفتى : وماذا تفعل أنت ؟
 الغلام : إني خادم البيت .
 الفتى : أنا ابن مولاك .
 الغلام : أعرف ذلك يا سيدى .
 الفتى : وكيف عرفتى ؟ (الغلام لا يجيب) لم لا تجيب ؟
 الغلام : لقد أجبت يا سيدى .
 الفتى : (باسمها) طيب .. لقد جئت ملبياً دعوته .
 الغلام : أعرف ذلك يا سيدى .
 الفتى : ألا تدري متى يدعونى إلى لقائه ؟
 الغلام : لقد كلفنى مولاى أن أخبرك ..
 الفتى : (مقاطعاً) إني أسألك متى يلقانى .
 الغلام : لقد ذهب .
 الفتى : أين ؟ .. ومتى ؟
 الغلام : غادر البيت عقب صلاة الفجر .
 الفتى : ومتى يعود ؟
 الغلام : لن يعود .
 الفتى : أنت تهذى يا غلام .
 الغلام : ساعلك الله يا سيدى .

- الفتى : ولم لن يعود ؟
- الغلام : (محنيا رأسه من الحزن) لقد ذهب إلى لقاء ربه .
- الفتاة : (جزعة) ماذا تعنى يا شاطر ؟
- الغلام : قال إنه يشعر بدنو الأجل ثم ذهب .
- الفتى : ولم لم يبق في فراشه ؟
- الغلام : نذر من قديم أن يلقي ربه في الخلاء .
- الفتى : ولكنك تعرف مكانه ؟
- الغلام : كلا .
- الفتى : ولماذا دعانى ؟
- الغلام : دعائك لتعود إلى بيتك القديم .
- الفتى : وهل حملك رسالة إلى ؟
- الغلام : قال : دنا الأجل ، أن لى أن أدعو ابنى الضال لعله يصلح لأن يرث
- التركة .
- الفتى : التركة ؟!
- الغلام : أمرنى أن أسلمك التركة لعلك تثوب إلى رشك .
- الفتى : الله .. أعنى ليمد الله في عمره .
- الفتاة : وئين التركة يا شاطر ؟
- الغلام : قال سيجىء غارقا في الضلال ساحبا معه قرينة سوء .
- (صمت مع تبادل نظرات)
- الفتاة : هذا يعنى أنها أيضا فى حاجة إلى نصيب من تركته .
- الفتى : ومنى تسلمنا التركة ؟ (الغلام يشير إلى حصيرة معلقة على الحائط
- إلى يمين الكونفول)
- الغلام : التركة فى خزانة وراء الحصيرة .. هاك المفتاح يا سيدى .

(يتاول الفتى المفتاح ويمضى إلى الحصيرة . يهم الغلام بمغادرة
الحجرة . الفتاة تهرع إليه فتقبض على يده)

الفتاة : ابق حتى تسلم التركية . (الفتى يزيح الحصيرة . يفتح الخزانة .
يأخذ في إخراج كتب صفراء . ويقرأ بعض العناوين وهو يخرجها
ويرصها فوق الكنية)

الفتى : الحق .. مدارج الروح .. سلام القلب . (يستمر في إخراج
الكتب التي تتراكم فوق الكنية ويتهاوى بعضها على الأرض)
الفتى : أين التركية ؟

الفتاة : (للغلام) أنت سرقتها !

الغلام : ساعحك الله .

الفتى : (مواصلاً إخراج الكتب) أين التركية ؟

الغلام : كان المفتاح معك .

الغلام : أعطانيه قبل أن يغادر البيت . (الفتى يواصل إخراج الكتب ثم
يصيح بفرح جنوني)

الفتى : التركية ! (يخرج رزماً من الأوراق المالية ويرصها فوق خوان)

الفتاة : ثروة طائلة .

الفتى : ما أكرمك يا أبى وما أبرك !

الغلام : إنه يوصيك بألا تنفق منها مليماً واحداً قبل أن تستوعب ما في هذه
الكتب .

الفتاة : الأوفق أن نبدأ باستيعاب هذه النقود .

الغلام : تلك كانت وصيته .

- الفتى : شكرا يا غلام ، يمكنك أن تنصرف إذا شئت .
 الغلام : والتركة ؟
 الفتى : هل ثمة تركة أخرى ؟
 الغلام : (مشيرا إلى الكتب) إنما أعني هذه التركة .
 الفتى : ستنفذ الوصية بأمانة . (الفتاة في سيرها تدوس على بعض الكتب)
 الغلام : ارفعى قدمك .
 الفتاة : تفضل بسلام وكف عن إلقاء الأوامر .
 الغلام : فلأعيدها إلى الخزانة إذا لم تكن بكما من حاجة إليها .
 الفتى : خير ما تفعل أيها الغلام الأمين . (الغلام يعيد الكتب إلى الخزانة .
 يحملها باحترام وهو يكي صامتا . ولما ينتهى يقول بنبرة حزينة)
 الغلام : إني ذاهب .
 الفتى : مصحوبا بالسلامة . (ثم مستدركا) انتظر ، أنت غلام طيب ،
 تحب أن تشتغل عندي ؟
 الغلام : أى شغلة يا سيدى ؟
 الفتى : أدربك لتعمل جرسونا ماهرا .
 الغلام : فى مقهى .
 الفتى : خمارة ، وهى أربح للجرسون من عشر مقاه .
 الغلام : إني ذاهب يا سيدى .
 الفتاة : مع السلامة . (الغلام يذهب) ألا ترى أن نفتشه قبل أن يرحل ؟
 الفتى : لو كان لصا لما أخبرنا عن التركة .
 الفتاة : علينا أن نجد حقبة لنضع فيها النقود .
 الفتى : سنجد حقبة أو بقعة فى هذا البيت العتيق .

الفتاة : وعليك أن تفكر في استغلاله .
الفتى : الأفضل بيعه ، إنه قديم حقا ولكنه يدر ذهابا لو بيع أرضا .
الفتاة : واشتر بالثمن عمارة ، ولتبع الخمارة أيضا لنعيش أحرارا كأبناء
النوات .

الفتى : أفكار طائشة ، سوف أنشئ ملهى ليليا يضاهى الأوبرج ..
(يظهر رجل عند الباب الأيمن . يلبس جلبابا ومعطفا وهو ذو قامة
ضخمة ، وطابع رسمي كاتخبرين . يتقدم خطوات حتى يصير على
مبعدة قصيرة من الفتى والفتاة اللذين يطالعانه بدهشة . يجيل في
المكان نظرة فاحصة ، ويرى النقود المكدسة ثم يعود لينظر إلى
الفتى والفتاة)

الفتى : من حضرتك ؟
الرجل : هل أنت ابن ولى الله ؟
الفتى : نعم ولكن من حضرتك ؟
الرجل : مخبر من قوات الشرطة .
الفتى : أكنت على موعد مع الشيخ ؟
الرجل : الشيخ يرقد الآن إلى جوار ربه .
الفتى : كيف عرفت ذلك ؟
الرجل : أسلم الروح في الخلاء ، فيما وراء مسكنى ، في الموضع الذى كان
يتعبد فيه .

الفتى : وأين جثمانه ؟
الرجل : فى المثوى الذى سئمضى إليه جميعا ، لم يعد فى حاجة إلى عنايتك ،
ويبدو أنك مشغول عنه بما هو أهم عندك .
الفتى : وماذا تريد حضرتك ؟

الرجل : جئت لأذهب بك إلى القسم .

الفتى : لماذا ؟

الرجل : أنت متهم بقتل أهلك .

الفتى : دعابة ولكنها ثقيلة .

الفتاة : إنه لم يره منذ عمر مديد .

الرجل : أنت متهم بقتل أهلك .

الفتى : كف عن ترديد هذا السخف .

الرجل : شهادته وهو يحتضر ، وأنا أعرفه منذ قديم ، صرح لى قبل صعود

روحه بأنك قتلته !

الفتى : محض افتراء وهذيان .

الرجل : الميت لا يكذب ، وهو ولى من أولياء الله .

الفتى : لعلك لم تسمعه بوضوح أو لم تفهم ما يريد قوله .

الرجل : قال « إني أموت مطعوناً بيد ابنى الوحيد » .

الفتاة : كان يعرب عن حزنه لفراق ابنه الطويل له .

الفتى : هل وجدت فى جسده طعنة واحدة ؟

الرجل : لترك ذلك إلى التحقيق .

الفتى : أى تحقيق يا رجل ؟ إنى لم أره منذ عشرات السنين .

الرجل : وكيف سولت لك نفسك أن تنهب أمواله قبل أن تراه ؟

الفتى : المال ميراثى الشرعى .

الرجل : هل علمت بوفاته ؟

الفتى : كلا .

الرجل : فكيف تمد يدك إلى ماله وهى حى فى ظنك ؟

الفتى : وهب لى قبل مغادرته البيت كما أخبرنى غلامه .

الرجل : أين غلامه ؟

الفتاة : ذهب .

الرجل : استدعه ليدلى بأقواله .

الفتى : لا أدرى أين ذهب .

الرجل : هلم معى إلى القسم .

الفتى : لا جريمة هناك ألبتة .

الرجل : قتلت أباك وسرقت الدولة .

الفتى : الدولة ؟

الرجل : ألا تعلم أنه لا يجوز التصرف فى هذا المال حتى تأخذ الدولة حصتها منه ؟

الفتى : لم يكن فى نيتى أن أتصرف فى مليم قبل أن تأخذ الدولة حصتها كاملة والله على ما أقول شهيد !

الرجل : براعتك فى التنكيت تفوق براعتك فى القتل والنهب .

الفتى : أوكد لك أن التحقق سيسفر عن براءتى .

الرجل : ولكن سيسبق ذلك القبض عليك والتحفظ على المال .

الفتاة : أهكذا تعامل شخصا يوم وفاة أبيه ؟

الفتى : الشيخ الطيب الذى طالما ثبت القلوب بالطمأنينة !

الرجل : إنك رجل شرير .

الفتى : أنت متحامل وسىء الظن .

الرجل : كلفت بمهام كثيرة فى مواطن الشبهات فعرفت الكثيرين من أمثالك .

الفتى : أنا تاجر شريف .

الرجل : هلم معى ولا تدفعنى إلى الضحك فى بيت ميت .

الفتاة : كن لطيفا ودعه فى حاله .

- الرجل : إنك تدافعين عنه كأنك بعيدة عن التهمة !
الفتاة : أنا ؟ !
الرجل : أنت شريكته في الجريمتين .
الفتى : أنا برىء (يتناول رزمة من النقود ويضعها في يد الرجل) وهذا المال مالى .
الرجل : أترشونى يا رجل مرتكباً بذلك جريمة ثالثة ؟
الفتى : معاذ الله ، ولكننى أؤدى حق الدولة على .
الرجل : حق الدولة يمثل ربع التركة . (الفتى يعطيه رزمة أخرى)
الفتى : إليك رزمة أخرى دون تعرض لمناقشة المقدار المستحق .
الرجل : والقضية وتكاليفها ؟ .. والتحفظ على المال وتعرضه للضياع ؟
الفتى : أعتقد أننى أعطيت ما فيه الكفاية .
الرجل : أتعاب المحاماة ؟ .. الرسوم ؟ .. سجنك ؟ .. تعرض عملك الذى ترتزق منه للخسران ؟ (الفتى يعطيه رزمة ثالثة)
الفتى : تذكر أننى أعطيتك ثروة .
الرجل : لعل هذا يكفى بالنسبة لك .. (صمت وتبادل نظرات حائرة)
الرجل : ولكن هذه السيدة لم تدفع مليما بعد ؟
الفتاة : لى زوجته .
الرجل : قلت إننى عملت طويلا فى مواطن السوء فلا تحاولى الضحك على ذقنى .
الفتى : لقد أعطيت فدية لكلينا .
الرجل : بل فدية لك وحدك !
الفتى : ماذا تريد ؟
الرجل : الأتعاب الخاصة بالسيدة . (يعطيه رزمة رابعة)

الفتى : هاك رزمة رابعة .

الرجل : كن كريما كسائر القتلة واللصوص .

الفتى : أتريد أن تستولى على نصف التركة ؟

الرجل : الأمر يتوقف على مدى تقديرك لحريتك . (يقطب الفتى في قهر ثم

يسلمه رزمة جديدة)

الفتى : تفضل مصحوبا بالسلامة . (الرجل يدير ظهره ليذهب . الفتى

يسل من ملابسه مطواة فيفتح نعلها ويهجم على الرجل . الرجل

حذر وكان يتوقع حركة غادرة فيضادى من الطعنة ويقبض على

معصمه فيلويه ثم يلكمه فيسقط على الأرض . يهجم بكمرسى

فيجلسه عليه ويخرج من ملابسه جبلا ويكبله بمهارة قبل أن يفيق من

اللكمة ، وهو يهدد الفتاة بأنها إذا ندت عنها حركة أو صوت

فسوف يساقان إلى القسم . ثم يهجم بكمرسى آخر ويأمر الفتاة

بالجلوس مهددا ويكبلها بجمل آخر . يتجه نحو النقود على الخوان

فيستولى عليها ثم يلفها في الحصيرة . يلقي عليهما نظرة ثم يذهب .

(الفتى يفيق من أثر اللكمة . ينظر فيما حوله . يتذكر ما وقع .

يحاول تخليص نفسه ولكن عبثا)

الفتى : ذهب ؟

الفتاة : بعد أن استولى على النقود كلها ..

الفتى : (غاضبا) لم لم تصوتى ؟ .. كان يجب أن تصوتى بأعلى صوتك .

الفتاة : خفت أن يرجع فيضربنا أو يقتلنا . (يحاول تخليص نفسه مرة ثانية

دون فائدة)

الفتى : سأقتله ولو اختفى في بلاد الواق .

الفتاة : تهورك هو المستول عما حل بنا ، لم حاولت الهجوم عليه ؟



- الفتى : ليس من مبادئ أن أسمح لإنسان باستغفالي .
 الفتاة : ها هو قد ذهب بالثروة كلها .
 الفتى : سيكون التنكيل به هو هدفى الأول فى الحياة .
 الفتاة : وقد تحقق هدفك ولكن الحلم السعيد تبدد .
 الفتى : سأقبض على عنقه عاجلا أو آجلا .
 الفتاة : ولا شاهد أو دليل لدينا عما حصل .
 الفتى : المهم الآن أن نتحرر من قيدنا .
 الفتاة : نحن مقيدان فى بيت مغلق النوافذ والأبواب .
 الفتى : ويعز على أن أتصور أن الثروة حقا ضاعت .
 الفتاة : هى الحقيقة الأليمة ، وربما تقتله ولكنك لن تسترد مليما من ثروتك
 الفتى : لم يعث بى أحد من قبل .
 الفتاة : ها قد عبث بك كأنك لا شيء .
 الفتى : أين المفر ؟ .. إنه يعمل فى دائرة هذا القسم .
 الفتاة : إذا كان حقا مخبرا .
 الفتى : ولم لا يكون مخبرا ؟
 الفتاة : كان يجب أن تطالبه بإبراز بطاقةه الشخصية .
 الفتى : أعترف بأننى لم أحسن التفكير ولا التدبير .
 الفتاة : أنت مغرور ، تتوهم أنك إله ثم تقع كالرطل ..
 الفتى : كيف أصدق ما حصل ؟
 الفتاة : قلبى يحدثنى بأنه ليس مخبرا .
 الفتى : هو مجرم محترف على أى حال .
 الفتاة : ويخيل إلى .. ربما لم يكن إنسانا أيضا !
 الفتى : ماذا تعنين ؟

- الفتاة : أعنى أننا فى بيت ولى : وهو وكر للأرواح والشياطين .
- الفتى : أنت حمقاء ، لا يسرق النقود إلا إنسان عاقل .
- الفتاة : تذكر كيف اقتحم علينا المكان وكيف ذهب .
- الفتى : جاء كما يجىء المجرم وذهب بما يذهب به المجرمون .
- الفتاة : أنت لا تحسن الرؤيا عند الانفعال .
- الفتى : أنت حمقاء ، هذه حقيقة مفروغ منها .
- الفتاة : لنفكر فى حالنا ، نحن مقيدان بطريقة جهنمية ، البيت محاط بفناء واسع يعزله عن الحارة فلن يسمع صوتنا أحد ، الجو هنا لا أرتاح إليه . فثمة روح ميت لعله لم يدفن بعد ، وثمة أرواح كثيرة لا علم لنا بها ولا سيطرة لنا عليها .
- الفتى : يا مجنونة ، يا مخرفة ، ما هذا الهذيان ؟
- الفتاة : أنا خائفة .
- الفتى : عهدتك دائما عريضة ساخرة فكيف خاتلك جرأتك الداعرة ؟
- الفتاة : إنه بيت مهجور ألا تدرك ذلك ؟، جثة أليك الآن فى المشرحة وستدفن كجثة رجل مجهول ، ولم ينبس النخب — إذا كان حقا مخبرا — بكلمة ، وسيظل البيت مغلقا مهجورا زمنا غير قصير ولكنه يكفى لقتلنا جوعا وعطشا ، وهناك الأرواح .
- الفتى : الأرواح !
- الفتاة : أنا خائفة ..
- الفتى : كيف قيدنا بهذا الإحكام ؟.. لقد جاء مبيتا النية على فعل ما فعل .
- الفتاة : وقد يرجع للإجهاد علينا .
- الفتى : فليرجع . (صمت تتخلله محاولة منه يائسة لفك قيده ولكن دون جدوى)

- الفتاة : كأننا في حلم .
 الفتى : ولكنه أسخف من الحقيقة .
 الفتاة : أحيانا يكاد يغلبني الضحك .
 الفتى : أضحكى إن استطعت .
 الفتاة : حتى حياتنا المألوفة بين المغامرين والمنافسين والأعداء أخف وطأة
 من هذا السجن في بيت أبيك .
 الفتى : ليرحمه الله .
 الفتاة : ادعه أن يتقذنا .
 الفتى : (صاخرا) أبانا الذى فى المشرحة .. أنقذ أبك الوحيد .
 الفتاة : ماذا كان رأيك فى أبيك ؟
 الفتى : كان دجالا كوحيده .
 الفتاة : حدثونا فى كل موضع عن كراماته .
 الفتى : حارة مخبولة مسطولة .
 الفتاة : لكن الطمأنينة التى بثها فى القلوب حقيقية .
 الفتى : ردى إلى ثروتى وأنا أغرقك فى بحر من الطمأنينة .
 الفتاة : لم نكن فقراء ، ولكننا لم نعرف الطمأنينة .
 الفتى : وما سبيل الطمأنينة إلى خمارة هى ملتقى للمغامرين ، واقعة بين
 عشرات من الخمارات المنافسة ، فى حى مكتظ بالأعداء ، ووراء
 ذلك كله إحساس ثابت بالمطاردة ١٩ .. كنا سنرتفع بالثروة فوق
 ذلك كله . (دقيقة صمت)
 الفتاة : سيجىء الظلام ونحن مكبلون بالحبال فى هذا البيت المسكون .
 الفتى : لا فرق بين النور والظلام .
 الفتاة : كيف نخرج من هذا المأزق ؟
 الفتى : اصرخى .. صوتك أحد من الرصاصه .

- الفتاة : لن يسمعنا أحد .
الفتى : علينا أن نتنظر حتى يجيء إنقاذ من حيث لا نتنظر أو يجيء الموت .
(صمت تتخلله محاولات فاشلة لفك القيود)
الفتاة : لم دعاك أبوك ؟
الفتى : مات سره معه .
الفتاة : ماذا ظننت ؟
الفتى : قلت لعله حنين قلب عجوز .
الفتاة : لم تقل كل الحق .
الفتى : وحلمت بثروة !
الفتاة : وقد وهبك ثروة .
الفتى : وضاعت .
الفتاة : ولكنه أراد أن ترث عمله .
الفتى : فكرة سخيفة .
الفتاة : كان يجب أن تجاريه ولو في الظاهر .
الفتى : لم يكن ليغير من الأمر شيئا .
الفتاة : ربما لم يكن حدث الذى حدث .
الفتى : أراهن على أنك فقدت عقلك .
الفتاة : هل حاول أن يلقنك سره وأنت صغير ؟
الفتى : نعم .
الفتاة : ولكنك عصيته ؟
الفتى : لو أطمعته ما صادفتى في طريقك أبدا .
الفتاة : (تضحك .. ولا تبس) .
الفتى : حاول معي كثيرا ، لم أفهم كلمة من كلماته ، واتخذت من سلوكي

المشين سبيلا لتحديه حتى طردنى ..

الفتاة : واحترفت المغامرة بدلا من الطمأنينة

الفتى : ورثت عنه الدجل لأستثمره في مجاله الطبيعي .

الفتاة : لم أسمع أحدا يثنى عليك مثله .

الفتى : إني أعاشر مغامرين وكان يعاشر مغفلين .

الفتاة : رأسى يدور .

الفتى : الحياة الحققة نقيض الراحة ، والرجوع إلى الخرافة تفكير مضحك ،

لعله ينقصنا شيء ولكن لا بد من مواصلة حياتنا ، ماذا تريدن ؟

الفتاة : أن أخرج من هنا سالمة .

الفتى : ستخرج عاجلا أو آجلا .

الفتاة : عما قليل سيجيء الظلام .

الفتى : فليجيء الظلام .

الفتاة : أنت المسئول عما وقع .

الفتى : أنت جبانة .

الفتاة : وأنت وغد .

الفتى : فلتنسل بتبادل الشتائم حتى تنكشف عنا هذه الغمة .

الفتاة : أو حتى يحل بنا الموت .

الفتى : أو حتى يحل بنا الموت . (الفتاة تبكى من القهر . وهو يضحك

ضحكة عصبية)

الفتاة : إنه يؤدبك .

الفتى : من ؟

الفتاة : أبوك .

الفتى : لم يستطع أن يؤدبنى وهو حى ، وهو أعجز عن ذلك وهو ميت .

- الفتاة : بين حدث وحدث توجد أسباب خفية .
- الفتى : بين حدث وحدث لا يوجد شيء .
- الفتاة : وها قد وقعتنا في الفخ .
- الفتى : فخ لم ينصب أحد ولكننا وقعتنا بسوء تصرفنا . (النور ينخفض منذرا باقتراب المساء . لحظات من الصمت ومحاولات فاشلة لفك القيد)
- الفتاة : بدأ الليل يهبط ..
- الفتى : ليس في وسع شيء أن يمنعه .
- الفتاة : كان في وسعنا على الأقل ..
- الفتى : (مقاطعا في تهكم) كان يا ما كان .
- الفتاة : أكره الظلام ، أكره الأغلال ، وسوف أجن .
- الفتى : جرى الجنون فهو أكرم من الشعوذة على أى حال .
- الفتاة : يا لك من وغد قاس كأنك لم تنعم عمرا بحبى .
- الفتى : عودى إلى توازنك لتفاهم كما تفاهمنا دائما .
- الفتاة : حتى حبك ما هو إلا حب مغامر ، نوبة من نوبات الأعصاب بلا قاعدة ثابتة .
- الفتى : لم يكن ثمة فردوس في الماضي ، ولن يكون ثمة فردوس في المستقبل ، علينا أن نتقبل الحياة كما هي .
- الفتاة : الظلام يتأدى في الاقتراب .
- الفتى : فليأت الظلام .
- الفتاة : إنك تدارى خوفك باللعب بالألفاظ .
- الفتى : اللعنة .. في هذا الوقت من اليوم يبدأ النشاط في الخمار .
- الفتاة : يا لها من نهاية رخيصة ! (يستمر انخفاض النور حتى يحوى الظلام

الحجرة ويختفي الفتى والفتاة . الفتاة تصرخ مستغيثة ثم يسود الصمت) .

الفتاة : ألا تحفظ تلاوة ندفع بها الشياطين بعيدا ؟

الفتى : لا أحفظ شيئا .

الفتاة : إني خائفة .

الفتى : لا يوجد هنا سبب حقيقى يبرر الخوف .

الفتاة : ولكنى خائفة .

الفتى : أنا قريب منك .

الفتاة : ولكنى لا أراك .

الفتى : فلنغن أغنية بذيفة لنهزأ بالظلام . (الفتاة تصرخ . صمت يتخلله

بكاء خافت . ضوء يتسرب إلى الحجرة آتيا من شراعة الباب إلى

اليسار)

الفتاة : ألا ترى ؟.. نور فى الداخل ، يوجد شخص ، البيت مسكون !

الفتى : (بصوت مرتفع) من بالداخل ؟

الفتاة : مفاصلى سابت .

الفتى : من بالداخل ؟ (يفتح الباب . يظهر الغلام ويده مصباح . يتقدم

ثم يتوقف عندما يرى الفتى والفتاة) أنت !.. أكنت بالداخل طيلة

الوقت ؟

الغلام : ظننت أنكما ذهبتا .

الفتاة : ألا ترانا مكبلين بالحبال ؟

الغلام : ولم فعلتما ذلك بنفسكما ؟

الفتاة : هل تسخر منا يا غلام !

الفتى : أكنت موجودا بالداخل ؟.. أعنى ألم تغادر البيت ؟

- الغلام : رجعت مع المساء لأشعل المصابيح .
الفتى : لماذا ؟
الغلام : إكراما لروح الشيخ يوم وفاته .
الفتى : ضع المصباح وتقدم لحل عقدتنا . (الغلام يمضى إلى الكونصول
فيضع المصباح ويتجه راجعا نحو الباب) . يا غلام . (الغلام
يتوقف) تعال .
الغلام : ماذا تريد يا سيدى ؟
الفتى : كيف لا تدري ماذا نريد ؟
الغلام : أمرنى الشيخ قبل ذهابه بألا أقدم لك أية مساعدة إذا أهملت تركته .
الفتى : ولكنه غير معقول أن تتركنا على هذه الحال .
الغلام : لا أستطيع أن أخالف لمولاي أمرا .
الفتاة : لا يمكن أن تعنى ما تقول ، إنك غلام طيب ونبل ..
الفتى : وانا ابن مولاك يا شاطر ولا يرضيك أن تتركنا فى هذا المأزق .
الغلام : لن أعصى لمولاي أمرا .
الفتى : مولاك لم يتصور أننا سنقع فى هذه الورطة .
الغلام : ساحك الله .
الفتاة : لص أئيم نهب ثروة مولاك وكبلنا بالحبال .
الغلام : على أن أذهب .
الفتى : لا تغضب مولاك فى قبره .
الغلام : مولاي ارتفع إلى السماء .
الفتى : لا تغضب مولاك فى سمائه .
الغلام : ما دمت لا أعصيه فلن يغضب .
الفتى : أعتقد أنه يرضيه أن نترك هكذا بدون مساعدة ؟

- الغلام : لا أدري .
الفتى : أوكد لك أن ذلك سيحزنه غاية الحزن .
الغلام : لا أدري .
الفتى : أقدم ولا تخف .
الغلام : لن أعصى لمولاي أمرا .
الفتاة : من أجل خاطري ، لا يمكن أن تمتنع عن مساعدة امرأة .
الغلام : إني ذاهب .
الفتى : انتظر ،.. ألا ترى ، إني أريد تركة أى الحقيقية .
الغلام : أنت تعلم بمكانها .
الفتى : ولكنى لا أستطيع الانتقال إليها .
الغلام : سبق أن نبذتها .
الفتى : أنا نادم على ذلك !
الغلام : لن أعصى لمولاي أمرا . (الغلام يستأنف السير)
الفتاة : على الأقل بلغ الأمر إلى الشرطة . (الغلام يواصل السير دون مبالاة) .
الفتى : هل ستبلغ الشرطة ؟
الغلام : كلا . (الغلام يخفى ثم يعلق الباب)
الفتى : ملعون ابن ملعون .. (الفتاة تعاود البكاء)
الفتى : كفى .. كفى وإلا ..
الفتاة : قضى علينا بالهلاك .
الفتى : لقد رجع الغلام ، وربما رجع مرة أخرى ، ولعل غيره يجيء .
(صمت قصير ثم يواصل حديثه) يخيل إلى أن العجوز استدرجنى إلى بيته لينكلنى . الطيبة كانت حرفه لا طبيعته ، وآى ذلك أننى

منحدر من صلبه ، غير معقول أن تكون أُمى مسئولة وحدها عن
دمى العريد ، وليبت ندائه وأنا في غفلة من مكره فتابع
الأخطاء ..

الفتاة : كفاك قذفا فالبيت مسكون !
الفتى : مسكون بأرواح أسرتنا العريقة في الشر .
الفتاة : ليس الغلام غلاما ولا الخبر مخبرا .. وسوف تقع كوارث ليست في
الحسبان .
الفتى : فلتقع الكوارث بغير حساب . (صمت .. ثم تنزل الستار)

* * *

ترفع الستار . ضوء النهار يملأ الغرفة رغم أن المصباح ما زال
مشتعلا . الفتى والفتاة نائمان ورأسهما مطروحان على مسندى
الكرسيين . يسمع صوت الباب الخارجى وهو يفتح ثم وهو
يغلق . يدخل رجل ضخم أنيق الملبس ولكننا نعرف فيه الخبر في
ملبس جديد وهيئة جديدة يتبعه سكرتير وضابط من الشرطة .
الفتى والفتاة يستيقظان . يبدو عليهما الإرهاق . ينظران إلى
القادمين بذهول فلا يعرفان حقيقة الشخص الفخم .

الضابط : من أنتما ؟ .. ومن فعل بكما ذلك ؟
الفتى : من حضرتك ؟
الضابط : ضابط النقطة .
الفتاة : أنقذنا من فضلك . (الضابط يحل وثاقهما . يقفان وهما
يتأوهان . يحركان أعضاءهما ليستعيدا توازنهما)
الضابط : من أنتما ؟
الفتى : أنا ابن صاحب البيت أعنى ولى الله المتوفى .

(تحت المظلة)

- الفتاة : وأنا الزوجة .
- الضابط : ماذا حدث لكما ؟
- الفتى : هاجمنا مجرم غدرا ثم سرقنا وذهب .
- الضابط : سأفتح لكما محضر تحقيق بعد قليل .
- الفتى : هل أبلغك الغلام عنا ؟
- الضابط : أى غلام ؟
- الفتى : غلام الشيخ المتوفى .
- الضابط : كلا ، لقد جئت فى صحبة المهندس لمعاينة البيت الذى يرغب فى شرائه ظنا منا بأنه بيت خال ولا وريث له ! (الفتى والفتاة ينتبهان لأول مرة للمهندس فخلوح فى وجهيهما الدهشة والانزعاج . يتبادلان النظرات ثم يحدقان فى المهندس بذهول)
- الضابط : مالك ؟
- المهندس : لماذا تنظران إلى هكذا ؟
- الفتى : أنت !
- الفتاة : هو .. جسمه وصوته ووجهه .
- المهندس : ماذا تعنيان ؟
- الفتى : أنت دون غيرك ، أيها المجرم ! (ينقض عليه ولكن الضابط والسكرتير يحولان بينهما . المهندس يتراجع دهشا مستكرا)
- الضابط : أى مجرم تعنى ؟ .. المهندس أكبر مقاول فى الجمهورية .
- الفتى : هو المخبر .. هو اللص .. هو الذى سرقنا .. (المهندس والسكرتير والضابط يضحكون)
- الضابط : اضبط لسانك .
- السكرتير : يا لها من نكتة !

- الفتاة : هو المخبر .
- الفتى : هو المجرم .
- الضابط : كفى هذيانا !
- المهندس : ترفق بهما يا حضرة الضابط ، تذكر كيف قضيا ليلتهما في هذا البيت .
- الفتى : لا تحاولي خداعي .
- الضابط : إنك تهين رجلا ولا كل الرجال ، رجل أدى لوطنه أجل الخدمات في ميدان الهندسة . (الفتى والفتاة يتبادلان النظرات الحائرة)
- الفتى : خبرني يا حضرة الضابط هل عندك مخبر يشبهه ؟
- الضابط : كلا على وجه اليقين .
- المهندس : تمالك نفسك من فضلك ، لقد عانيت ليلة غاية في السوء ، وغير بعيد أن المجرم الذي اعتدى عليكما يماثلني في بعض الصفات والخصائص ، وأنت نفسك تماثل المرحوم أباك في بعض ملامحه رغم تناقض منهجكما في الحياة فيما يبدو لي ، وسوف يقبض الضابط على المجرم ويرد إليك مالك ، هل فقدت مالا كثيرا ؟
- الفتى : أنت أدري بمقداره .
- الضابط : رجع إلى الهلوسة مرة أخرى !
- الفتى : أؤكد لك أن هذا الرجل هو المجرم الذي اعتدى علينا .
- الضابط : كف عن هذيانك ، من صالحك أن تكف عنه .
- السكرتير : ثمة أحقاد غريبة تستقر في نفوس الشباب ، فإذا تعرض أحدهم لهزة نفسية استمد من حقه الدفين آراء هدامة وراح يرمى بها كبار ذوي النشاط الناجح من الرجال الممتازين في المجتمع .
- الضابط : هل أنت من هؤلاء الشبان ؟
- الفتى : إني ضحية وقد حللت بنفسك وثاقي .

الضابط : ولكنك لم تسترد عقلك بعد .

المهندس : يجب أن تسترد عقلك سريعا لأتمكن من إنجاز مهمتى .

(صمت قصير)

الفتاة : وما مهمتك ؟

المهندس : إنى أرغب فى شراء هذا البيت القديم لأقيم مكانه مصنعا للأجهزة الإلكترونية .

الفتاة : أ لم تحاول الاتفاق مع صاحبه قبل وفاته ؟

المهندس : حاولت وعرضت عليه بيتا جديدا فى مطلع الحى ولكن كان لكل منا لغة يستعصى على الآخر فهمها !

الفتى : إذن فأنت تعرف البيت وكنت تعرف صاحبه ؟

المهندس : وكان أبى رحمه الله من مريديه أيضا !

الفتى : أنت إذن .. (الفتاة تجذبه من ذراعه مانعة إياه من تكلمة كلامه ، وتنحى به جانبا)

الفتاة : تمالك نفسك .

الفتى : لكنه هو عينه .

الفتاة : لندع ذلك للتحقيق ، المهم الآن بيع البيت .

الفتى : سيشتري بمالى .

الفتاة : لا يجوز أن تخرج من المولد بلا حصص .

الفتى : الجبن الأحمر نفسه لا يستطيع خداعى !

الفتاة : انس شطارتك الآن وأجل مشروعاتك . (يعودان إلى الجماعة)

اغفر له تهوره يا سيدى المهندس إكراما لذكرى أبيه الطيب !

المهندس : ليرحمه الله رحمة واسعة .

الفتى : أكنت تؤمن به ؟

المهندس : كنت أحبه .

الفتى : هل شهدت احتضاره ؟

المهندس : لكننى مشيت فى جنازته ، أين كنت أنت ؟

الفتى : كنت موثقاً بحال المجرم الأثيم .

المهندس : حضرة الضابط كفيل باسترداد ثروتك الضائعة ، وما عليك الآن

إلا أن تتقبل وضعك بالطمأنينة التى بشر بها أبوك .

الفتى : ولكنك لم تؤمن به ؟

المهندس : (ضاحكاً) كان يقول لى « الطمأنينة هى هدف النفس البشرية »

فأقول له « بل التقدم يا مولانا ولو بالجهد والقلق » .

الفتى : ولو بالاعتداء والنهب !

الفتاة : لنعد إلى مشروع المصنع .

المهندس : ثبت الآن أن للبيت وريثاً ، وعليه فلا بد من انتظار الإجراءات

الخاصة بإثبات الوراثة :

الفتاة : إنه بيت كبير وذو موضع ممتاز على مشارف الصحراء ، ولا تنس

أثاثه القديم النادر !

المهندس : لا حاجة لى إلى الأثاث .

الفتاة : والكتب التى صنعت المعجزات !

المهندس : لدى ما أحتاج من كتب ومعجزات !

الفتاة : أظن أن لنا أن نتكلم عن الثمن .

المهندس : لن أبخسكم حقكم ، وستكلم عن ذلك فى حينه . (المهندس

يستأذن فى الانصراف . وقبل أن يذهب يلتفت إلى الفتى

ويسأله)

المهندس : وأنت .. ما مهنتك ؟

الفتى : صاحب محارة .

المهندس : (ضاحكا) لست مقطوع الصلة بأبيك ، فالناس يقصدون

الخمارة طلبا للطمأنينة أيضا . (المهندس وسكوتيره يذهبان)

(يقترب الضابط من الفتى والفتاة قائلا)

الضابط : آن لنا أن نبدأ التحقيق .

ستار

الزجاجة



(حجرة جلوس . فى الوسط مدفأة حائط مشتعلة . إلى اليمين من المدفأة باب حجرة النوم وإلى اليسار باب حجرة المكتب . فى نهاية الجانب الأيمن لحجرة الجلوس باب هو باب الشقة . إلى اليسار يوجد بار وتليفزيون . رجل يجلس على مقعد كبير أمام المدفأة ، يرتدى روبا . ويطالع فى كتاب) .

(جرس الباب الخارجى يرن بغثة رنينا متواصلا) .

(يقوم الرجل إلى الباب ، يفتحه ، تندفع إلى الداخل امرأة جميلة مرتدية معطفا ويدها حقيبة . تندفع وكأنها تجرى ثم تقف وهى تلهث . الرجل ينظر إليها بدهشة ودون أن يغلّق الباب . واضح من نظراته أنه لا يعرفها ولم يكن ينتظرها) .

الرجل : (بتردد وارتابك) ولا مؤاخذه .. حضرتك ؟

المرأة : (بلهفة) أغلق الباب ، من فضلك أغلق الباب .

(الرجل يغلق الباب بذهول)

الرجل : وحدك ؟

المرأة : نعم . (يقفان وهما يتبادلان النظرات) إنى مرهقة ، تسمح لى

بالجلوس ؟

الرجل : تفضلى . (يجلسان على مقعدين متقاربين أمام المدفأة . تسند المرأة

رأسها إلى يدها فى إعياء . يعلو صدرها وينخفض بشكل محسوس .

الرجل يتضحصها بدهشة ، ويدو — رغم غرابة الموقف — أن

محاسنها أثرت فيه بعض الشيء) أنا وحدى ، ذهبت الخادمة عقب

إعداد العشاء . ولكنى سأجئك بكوب ماء . (يقوم إلى البار فيملاً



كوبا من دورق ثم يقدمه إليها . المرأة تشرب نصفه ثم تضعه على
خوان بين المقعدين)

المرأة : آسفة جدا لإزعاجك .

الرجل : أنا في خدمتك ..

المرأة : شكرا .

الرجل : يلزمك شيء ؟

المرأة : أكرر الأسف ، الواقع أنني لا أدري ماذا أقول .

(صمت)

المرأة : سلوكي يتطلب تفسيراً ولكني لا أدري ماذا أقول .

الرجل : استردي أنفاسك أولاً .

المرأة : ماذا أقول ؟ ، مهما يكن فأني أتوسل إليك أن تكرمني .

الرجل : وهل في ذلك شك ؟

المرأة : أعني أن تعاملني معاملة تليق بامرأة في أشد حاجة إلى ..

الرجل : إلى ؟

المرأة : الحماية !

الرجل : ماذا يهددك ؟ ..

(صمت)

الرجل : (مستدركا) لكنني لم أتشرف بعد ؟

المرأة : لا يهم هذا على الإطلاق .

الرجل : ولكنه ضروري فيما أعتقد .

المرأة : كلا ، لن يقدم ولن يؤخر !

الرجل : لن أضايقك ، ولكن ثمة سؤال آخر ، هل قصدتني بالذات ؟ .. هل

تعرفينني ؟

- المرأة : بابلك أول باب فتح لى ، هذا كل ما هنالك ..
الرجل : هل طرقت أكثر من باب ؟
المرأة : نعم .
الرجل : ماذا يهددك ؟
المرأة : أكرمنى بألا تخبر أى طارق عنى !
الرجل : (بقلق) هل يتوقع مجيئ من يتعقبك ؟
المرأة : نعم .
الرجل : رجل أم امرأة ؟
المرأة : رجل !
الرجل : (بعد تردد) زوجك ؟
المرأة : كلا .
الرجل : صديق ؟ .. قريب ؟
المرأة : ألا تكرم بحمايتى دون تحقيق ؟
الرجل : ولكن ..
المرأة : (مقاطعة) لعلك تعمل حساب أهل بيتك ؟
الرجل : لا يوجد فى البيت سوى .
المرأة : ولكن عما قليل سترجع زوجتك ؟
الرجل : لست متزوجا .
المرأة : تنتظر ولا شك أحدا من يقيم معك ؟
الرجل : إني أقيم هنا بمفردى .
المرأة : عظيم ، ستكون المهمة سهلة لو تكلمت بالموافقة .
الرجل : ولكن يلزمنى بصيص نور .
المرأة : لن يمسك سوء !

- الرجل : ولكنى أود أن أعرف المسئولية التى سأتحملها !
المرأة : لن تمضى ساعات حتى أغادر مسكنك إلى الأبد كأنى شئ لم يكن .
الرجل : (مداريا ارتباكاه بابتسامة) ستظلين شيئا لا يمكن نسيانه .
المرأة : غزل أم تحقيق ؟
الرجل : كنت أفضل أن يكون غزلا خالصا .

(صمت)

- الرجل : إذا شرفتنى وقتائم ذهبت دون أن يعلم أحد فلا حرج ، ولكن إذا جاء أحدهم يتعقبك فيلزمنى بصيص نور قبل أن أنكر وجودك .
المرأة : لن تقع عليك مسئولية ما .
الرجل : بل قد أجر إلى متاعب لا تخطر ببال !
المرأة : لا تهول .
الرجل : لا تتركينى فى ظلام .

(صمت)

- الرجل : أرجوك ، لا تضطرينى إلى ..
المرأة : إلى تسليمى لأول طارق !
الرجل : أرجوك أن تفهمى موقعى جيدا .
المرأة : إنى أتعلق بأمل وحيد ، ببقية من الشهامة البطولية القديمة .
الرجل : من المؤسف أن عهد الفروسية والملاحم قد ولى ..
المرأة : فى حالة اليأس يفزع القلب إلى زمن الأساطير !
الرجل : أنا يا سيدتى رجل لا أسطورة ..

(صمت)

- الرجل : فكرى من فضلك وأجيبى ..
المرأة : لكنى عاجزة تماما .

- الرجل : قبل أن تفوت الفرصة ؟
المرأة : كن كريما إلى النهاية .
الرجل : (غاضبا) إني أشم رائحة مقلقة للأعصاب .
المرأة : أى رائحة ؟
الرجل : جريمة ما !
المرأة : لا تدفعنى إلى الانتحار !
الرجل : ماذا فعلت ؟ (جرس الباب يرن . المرأة تقف فزعمة . تهرع إلى باب حجرة النوم . تدخل ثم تغلق الباب من الداخل الرجل يحاول فتح الباب فلا يستطيع . الجرس يرن مرة أخرى) افتحى .
المرأة : كن كريما .
الرجل : لا تجربنى إلى مأزق .
المرأة : كن رحيما .
الرجل : سأصرف كما ينبغي لى .
المرأة : إذا اعترفت بوجودى هنا رميت بنفسى من النافذة .
الرجل : أنت مجنونة !
المرأة : أنا عاقلة جدا .
الرجل : إنك تجازينى خير جزاء .
المرأة : إنى آسفة ولكننى مضطرة !
الرجل : انتظرى .. لا تتعجلى .
(يذهب إلى الباب لاعنا متسخطا . يفتح الباب . يدخل رجل
صاحكا ثم يرد الباب)
الصديق : كنت نائما ؟
الرجل : أنت عليك اللعنة !

الصديق : يا له من استقبال . (يتجهان نحو المدفأة) ماذا حدث في العمارة ؟
الرجل : لا شيء !

الصديق : وأنا قادم إلى زيارتك وجدت الشرطة تحاصر العمارة . لم أستطع
المرور إلا بعد س و ج .

الرجل : حقا !.. ماذا حدث ؟

الصديق : لم أفهم شيئا ، لم يرد على أسئلتى أحد ، ولكن ثمة حادث أو جريمة ،
والأمر المؤكد أنهم يبحثون عن امرأة هاربة .

الرجل : أين ؟

الصديق : في مكان ما بالعمارة ، العمارة محتلة بالقوات ، ألم تشعر بشيء ؟
الرجل : أبدا .

(يجلسان . الصديق يجلس في مكان المرأة . يتشمم الجو بدهشة)

الصديق : رائحة امرأة !

الرجل : ترى أى جريمة وأى امرأة ؟

الصديق : لا تشغل بالك ، ستعرف كل شيء صباح الغد ، ولكنى أقول إنه
توجد رائحة امرأة .

الرجل : رائحة امرأة ؟

الصديق : رائحة زكية ، هل عندك حبوبة ؟

الرجل : كلا .

الصديق : وهذه الرائحة ؟

الرجل : كان ثمة صديقة تزورنى ..

الصديق : مبارك عليك ، ولكن مالك ؟

الرجل : على خير ما يرام .

الصديق : كلا ، لست كعادتك ..

الرجل : لعله البرد .

الصديق : (مشيراً إلى المدفأة) إنك تنعم بفردوس في هذا الشتاء القاسي .

(صمت)

الصديق : أهي من أعرفهن ؟

الرجل : من تعني ؟

الصديق : المرأة التي كانت هنا .

الرجل : كلا .

الصديق : ولم انصرفت مبكرة ؟

الرجل : يكفى تحقيق واحد في العمارة .

الصديق : ذكرتني ، ترى ماذا حدث ؟

الرجل : أجل ماذا حدث ؟

الصديق : إنك تعرف عن فيتنام أكثر مما تعرف عن شقة مجاورة في عمارة حديثة .

الرجل : أى جريمة ؟ .. وأين اختفت المرأة ؟

الصديق : لا تشغل بالك ، الجرائم وجبات يومية .

الرجل : والمرأة ؟

الصديق : قاتلة .. شريكة في جريمة قتل .. سر جريمة ما .

الرجل : وأين يمكن أن تختفى ؟

الصديق : لعلهم عثروا عليها ، إلا إذا كانت أصلاً من سكان العمارة .

الرجل : فكرة .

الصديق : أو تكون لجأت إلى شقة ما .

الرجل : لا أحد في اعتقادي إلا إذا كان له ضلع في الحكاية . (الرجل يقوم ،

يتعد إلى جناح الحجرة البعيدة عن حجرة النوم . يشير إلى صاحبه

أن يتبعه فيلحق به) (هامسا) أنا واقع في مشكلة .

الصديق : أى مشكلة ؟ (جرس الباب يون) هل تنتظر أحدا ؟ (الرجل

يمضى إلى الباب بعد تردد . يفتح)

صوت من الخارج : تسمح لى بالدخول ؟

الرجل : تفضل .

(يدخل ضابط . يقدم نفسه)

الضابط : نحن نبحت عن امرأة هاربة فى العمارة .

(الرجل يتظاهر بالدهشة ويتساءل)

الرجل : أية امرأة ؟

الضابط : امرأة هاربة ، ويهم الأمن العام القبض عليها .

الرجل : لم يلجأ إلى شقتى أحد .

الضابط : حضرتك رب الأسرة ؟

الرجل : إنى أقم بمفردى هنا ، (ثم مشيراً إلى صديقه) هذا صديق زائر .

الضابط : تسمح بالبطاقة الشخصية . (الرجل يذهب إلى حجرة المكتب ثم

يعود بالبطاقة . الضابط يقرأها بعناية . ثم يقدم له ورقة مكتوبة

ويقول) هذ إقرار بأن المرأة لم تلجأ إلى شقتك هذا المساء ، وقعه

بإمضاءك ، وأود أن أذكرك بخطورة الأمر إذا ثبت ما يخالفه .

(الرجل يوقع الإقرار . الضابط يتاوله . وينصرف . الرجل يغلق

الباب . يعود إلى صديقه حيث كان يقف فى وسط الحجرة)

الصديق : الظاهر أن الجريمة أخطر مما تتصور .

الرجل : ليست إلا إجراءات روتينية .

الصديق : لا تشغل بالك ، كنت تتحدث عن مشكلة .

الرجل : مشكلة ؟!

الصديق : الضابط شتت عقلك .

الرجل : ربما .

الصديق : لنعد إلى مشكلتك .

(صمت)

الصديق : ألا تريد أن تحدثني عن مشكلتك ؟

الرجل : جد ما هو أهم .

الصديق : لا تشغل بالك بهوم لا تخصك .

الرجل : أليس من الجائز أن تستصدر الشرطة أمرا بالتفتيش العام إذا لم تعثر على

المرأة ؟

الصديق : جائز .

الرجل : وقد يفتشون شقتي !

الصديق : إنه احتمال ضعيف على أى حال .

الرجل : ولكنه جائز .

الصديق : عندك فرصة للتخلص من الأشياء المخرجة .

الرجل : كيف ؟

الصديق : النافذة .

الرجل : العمارة محاصرة .

الصديق : النار .

الرجل : ليست جميع الأشياء قابلة للاحتراق .

الصديق : أنت مجنون ، طالما حذرتك ، ولكن احتمال التفتيش احتمال ضعيف ،

إنها امرأة وليست إبرة وسيعثرون عليها عاجلا ..

الرجل : تستطيع أن تقدم لى خدمة .

الصديق : اسمع ، أنت تعلم أنه لا شأن لى بهذه الأمور الخطرة ، دع صداقتنا فى

(تحت المظلة)

المنطقة البريئة .

الرجل : نحن في زمن الخوف من الشرطة ، أما شهامة الأساطير فقد ولى
زمانها !

الصديق : الخوف من شيء حقيقي ، أما الأساطير !

(صمت)

الصديق : أود أن أطمئن عليك .

الرجل : دون أن تقدم خدمة ما .

الصديق : كلانا يعرف الحدود التي يتحرك فيها الآخر .

الرجل : إني في حاجة إلى الانفراد بنفسى وكل ما أطلبه منك أن توافيني بأية
معلومات جديدة بالتليفون .

الصديق : بمجرد عودتى إلى مسكنى ..

(يتصافحان . يوصله حتى الباب الخارجى . يفتح الباب ثم يعود

مسرعاً إلى باب حجرة النوم) .

الرجل : سيدنى .. تعالى .. لا أحد بالشقة سوى . (تفتح الباب . تخرج .

يقفان وجهها لوجه) إنك تلقين يأسك فوق رأسى .

المرأة : جئت باندفاع لا اختيار فيه ثم وقعت فى فخ .

الرجل : سيعودون للتفتيش .

المرأة : لا تهتم بى فإنى أعرف كيف أتصرف .

الرجل : إنى لا أهتم إلا بنفسى فى الواقع .

المرأة : هذا حقك وإنى آسفة لحد الموت .

الرجل : إنك تخلفين لى مشاكل ومضاعفات .

المرأة : لم تعد بيدى حيلة .

الرجل : لم تبحث الشرطة عنك ؟

(صمت)

- الرجل : لم تبحث الشرطة عنك ؟
المرأة : إنهم يبحثون عن كثيرين ... !
الرجل : شركائك ؟
المرأة : وغيرهم ..
الرجل : (محمدا) ماذا تعنين ؟
المرأة : (باسمه) سمعت ما دار بينك وبين صديقك .
(صمت وهو ينظر إليها غاضبا)
الرجل : تهددينى ؟
المرأة : ربما كنا فى الهوى سوا .
الرجل : افتراء .
المرأة : آسفة .
الرجل : أنا رجل محترم .
المرأة : وأنا امرأة محترمة .
الرجل : هذا يتوقف على مضمون الاحترام عند كلينا .
المرأة : بمعنى آخر فكلانا غير محترم .
الرجل : هل نغضى الوقت فى جدل و سمر ؟
المرأة : إني آسفة وحزينة .
الرجل : فاتنى أن أعترف للضابط بالحقيقة .
المرأة : لِمَ لم تفعل ؟
الرجل : أعترف بأننى لم أحسن التصرف .
المرأة : بل أحسنت التصرف وإلا لأثرت الشبهة فى وجود علاقة بينك وبين المرأة المتحررة .

- الرجل : كانت الحقيقة ستظهر على أى حال .
- المرأة : ربما ، ولكن بعد تفتيش غير مرغوب فيه ، ترى ماذا تحوى شقتك الأنيقة من أسرار خطيرة ؟
- الرجل : سخريتك تقطع بأنك معتادة للإجرام .
- المرأة : أو غاية من اليأس .
- الرجل : ماذا ارتكبت ؟
- المرأة : محض فعل مألوف فى التاريخ ولكن الشرطة تصفه بأنه جريمة ، وأنت ؟
- الرجل : لا أسمح بالتحقيق معى ، ولكن خبرينى أى جريمة ارتكبت ؟
- المرأة : ما أهمية ذلك ؟.. أى تحسن يمكن أن يضيفه إلى موقفنا ؟
- الرجل : هل عرفوا شخصك ؟
- المرأة : محتمل جدا .
- الرجل : ليس مؤكدا ؟
- المرأة : لا يوجد فى هذه الليلة شئ مؤكد .
- الرجل : جربى أن تغادرى شقتى بوصفك امرأة أخرى .
- المرأة : لن يدعونى أمر دون تحقيق ، وغالبا يوجد مخبر فى الطريقة الخارجية ، وسيجرونك للتحقيق ، وسوف تنكشف الحقيقة .
- الرجل : أية حقيقة ؟
- المرأة : حقيقتى وحقيقتك .
- الرجل : (غاضبا) لا تدفعينى للخروج عن حدود اللياقة .
- المرأة : معذرة .
- الرجل : أنت تؤجلين الخطر ليس إلا .
- المرأة : لا حيلة لى .

- الرجل : لو كنت مكانك !..
المرأة : لو كنت مكانى ؟..
الرجل : لسلمت نفسى إلى الشرطة ..
المرأة : هذا حل طبيعى ومعقول لمشكلتك ..
الرجل : ولمشكلتك أيضا ما داموا سيجيئون فى النهاية حتما .
المرأة : ليس حتما !
الرجل : (غاضبا) ولكنك تراهنين بحياتى !
المرأة : أمر مؤسف حقا ولكننى أفضل الانتحار على التسليم ..
الرجل : افعلى بنفسك ما تشائين ولكن بعيدا عنى ..
المرأة : ليته ممكن !
الرجل : أى قدر قذفتى بك .
المرأة : هو الذى رمانى إليك .

(تضحك ضحكة عصبية)

- الرجل : تمزحين كما لو كنت فى حفل استقبال .
المرأة : إذا انقطع الأمل فعلينا أن نعاشر اليأس معاشرة حسنة .
الرجل : ولكن الأمل لم ينقطع بعد .
المرأة : حقا ؟
الرجل : أستطيع أن أطردك .
المرأة : سأحاول الانتحار كآخر وسيلة دفاع فى يدى ...
الرجل : تهددينى ؟
المرأة : موقف مؤسف مخجل ولكننى لم أخلفه بإرادتى .
الرجل : أنت مجرمة بالسليقة .
المرأة : (باسمة) لعلنا من سليقة واحدة .

الرجل : (ثائرا) لتنشق الأرض وتبلعك .

المرأة : أول مرة يعاملنى رجل بهذه المعاملة .

(الرجل ينقض عليها فاقتدا أعصابه ليشدها ناحية الباب . هي تقاوم يأس . يقوم بينهما شد وجذب .

يختل توازنه فيقعان على ديوان ويستمر الصراع بينهما . وبلا استمرار لا تكاد تختلف حركاتهما عن مبادلات العشق . ويتغير مذاق الصراع وحدته . ويخلق جو جديد لم يكن فى الحسبان فستغله الأعصاب المتوترة اليائسة . وإذا به يضمها بين ذراعيه وينال عليها تقيلا .

ينخفض الضوء رويدا حتى يسود الظلام .

ثم يعود رويدا رويدا حتى يبلغ حاله الأولى .

الآن كلاهما يجلس على مقعد كما كانا أول الأمر .

هي تنظر إلى السقف وهو يرنو إلى نيران المدفأة)

الرجل : ترى ماذا يحدث فى الخارج الآن ؟ (صمت) ترى ماذا يحدث فى الخارج ؟

المرأة : كما يحدث فى الداخل .

الرجل : ماذا تعنين ؟؟

المرأة : جرائم ترتكب باهتمام وجنس يمارس بلا اهتمام .

الرجل : وبلا حب ؟

المرأة : لحظات عناق تنتزع من بين الكلمات ولى الأذرع .

(صمت)

الرجل : والعمل ؟

المرأة : هل تحاول طردى مرة أخرى ؟

(صمت)

- الرجل : وما جريمته ؟
المرأة : وما جريمته ؟
الرجل : من حقى أن أسألك وليس ذلك من حقك .
المرأة : من واجبى ألا أتكلم .
الرجل : لست على أى حال من الشرطة .
المرأة : على سكوتى تتوقف سلامة آخرين .
الرجل : تعريف نقود ؟.. مخدرات ؟.. دعارة ؟.. سياسة ؟
المرأة : جميعها ظاهرات اجتماعية .

(صمت)

- الرجل : متزوجة ؟
المرأة : لا أجيب على هذا السؤال بعد ما كان .
الرجل : هل كانت أول مرة تخونينه ؟
المرأة : ألا ترى أننى أفضل الموت على الخيانة ؟
الرجل : إذن سلمت حبا وكرامة ؟
المرأة : حالة هستيرية ليس إلا .
الرجل : نادمة ؟
المرأة : لا وقت للندم .
الرجل : هبى دعوتك مرة أخرى ؟
المرأة : مرت فترة كافية لبلوغ سن الرشد .
الرجل : هل نفترق كغريبين ؟
المرأة : كما التقينا !
الرجل : لا شئ يجمعنا ؟

- المرأة : الجريمة هي ما يجمعنا . (صمت) هل أنت أعزب ؟
الرجل : نعم .
المرأة : لم لم تتزوج ؟
الرجل : لم أطعن في السن بعد .
المرأة : ومتى تطعن في السن ؟
الرجل : لعل أنتظر أن تجرني امرأة إلى الزواج ، ولكن ألا ترين أننا نسمر كأننا نستمتع بسهرة طيبة ؟
المرأة : هو خير من الصمت .
الرجل : الأغلال تقترب من أعناقنا .
المرأة : لا تذكرني بذنبي حيالك .
الرجل : ثمّة فرصة لتجربة الحظ .
المرأة : وهي ؟
الرجل : أن تخاطري بالذهاب .
المرأة : لو كان الأمر يتعلق بي وحدي لفعلت .
الرجل : تدوسيني في طريقك بلا رحمة .
المرأة : كما داسني آخرون .
الرجل : مالي أنا وذلك كله !
(يمتلكه غضب مبالغت . ينهض قائما بعنف . يقبض على ساعدها ليشدها ولكنها تخلص ساعدها بهدوء)
المرأة : كلا .. لا يتكرر شيء واحد مرتين بطريقة واحدة .
الرجل : أنت .. أنت .. (جرس التليفون يرن . ينتقل إليه حيث يوجد على حامل قرب البار) آلو .
..... :
الرجل : تأخرت .. أين كنت ؟

:

الرجل : ماذا تقول ؟

:

الرجل : غير معقول ، ألم تعرف السبب ؟

:

الرجل : شيء عجيب حقا .

:

الرجل : بخير كما تركتني .

:

الرجل : لست وحدي .. أقصد أنني منفرد بهمومي !

:

الرجل : أبدا أبدا .. وحدي كما تركتني .

:

الرجل : أنت مجنون .. أى أفكار جنونية تساورك ؟

:

الرجل : لا موجب لإساءة الظن ، إلى اللقاء .. (يضع السماعة ثم يعود إلى

مقعده . يتبادل مع المرأة نظرات حائرة) إنه الصديق الذى كان

هنا .

المرأة : وماذا قال لك ؟

الرجل : ماذا حصل للعالم ؟.. الشوارع المحيطة بنا غاصة بالجنود !.. من

أنت ؟!

المرأة : لست إلا امرأة سيئة الحظ كما ترى ..

الرجل : بيدك حل هذا اللغز .

- المرأة : يستوى لدينا أن يضرب الخصار حول العمارة أو حول الحي كله .
الرجل : ولكن لا يجمعهم بهذه القوة إلا شيء خطير .
المرأة : لست هذا الشيء .
الرجل : لعلك الخيط الذى يوصل إليه .
المرأة : جنبنا مناقشة عقيمة .
الرجل : لن أسمح لك بالقضاء على .
المرأة : ضيعت فرصة الاعتراف بالحقيقة وهى غلطتك .
الرجل : لن أضيع بسبب غلطة .
المرأة : لماذا تعود إلى الغضب ولم يجد جديد على الموقف ؟
الرجل : الهلاك بات أقرب مما تصور .
المرأة : نحن مقامرون ، والمقامر العاقل يجب أن يوطن نفسه على الهلاك .
الرجل : أنت امرأة مقامرة .
المرأة : وأنت أيضا ، لا سبيل إلى النكران .
الرجل : لم أتوقع أبدا أن أضيع بمثل هذه الطريقة السخيفة .
المرأة : جميع طرق الضياع سخيفة .
الرجل : أود أن أقتلك ولو اضطرت إلى قتل نفسى .
المرأة : هاك طريقة سخيفة أخرى .
الرجل : كل هذا وأنا لا أعرف من أنت ولا أدرك شيئا مما يقع حولي .
المرأة : لا أهمية للتفاصيل ، حسبك أن تعرف أننا مطاردون ، وأن حولنا وفوقنا وتحتنا أعداء مصممون ! (صمت) (وهى تبسم متوددة)
لا تضخم سوء الحظ بالغضب . (صمت) عندى اقتراح . (ينظر نحوها بامتناع ودون أن ينبس) نحن فى حاجة إلى ترفيه .
الرجل : ترفيه ؟!

المرأة : لم لا ؟ .. إنهم يسألون المحكوم عليه بالإعدام عن رغبته الأخيرة .
الرجل : أنت مجنونة .

المرأة : لنشرب كأسين .

الرجل : وما حولنا وفوقنا وتحتنا ؟

المرأة : أنا أعتبر نفسي منتهية ، وأعترف لك بكل أمانة أن جانباً مني راضٍ كل الرضا ، ويخيل إليّ أنك تماثلني إلى حد كبير ، وأماننا وقت غير محدود ، فإما أن نقضيه في تبادل السباب وإما أن نرفه عن أنفسنا ، ما رأيك ؟

الرجل : كيف تتحمل أعصابك الترفيه وهي تتوقع الموت بين لحظة وأخرى ؟

المرأة : هي حال الإنسان بصفة عامة مع فارق بسيط هو أننا أعظم وعيا بالنهاية . (صمت) فلنجرب .. (المرأة تقوم إلى البار فتجىء بزجاجة وكأسين . تملأ الكأسين . ترفع إحداهما إلى فم الرجل وتمسك بالأخرى) صحة لقائنا دون تعارف سابق . (تشرب وتدفع بالشراب إلى فيه فيقبله بفتور . ثم تملأ الكأسين مرة ثانية) صحة افتراقنا القريب بعد تعارف عميق ! (تشرب . تنظر إليه بتوسل حتى يشرب كأسه أيضاً . ثم تملأ الكأسين للمرة الثالثة) صحة أسباب الهلاك التي لا حصر لها . (تشرب . يشرب . تملأ الكأسين للمرة الرابعة) صحة الأحلام التي تقود إلى الهلاك . (تشرب . يشرب . تنبسط أساريرهما بتأثير الخمر . يملأ هو الكأسين للمرة الخامسة) صحة الجنس الذي يمارس وسط العنف والشجار . (تشرب . يشرب . يتأكد أثر الخمر . يملأ الكأسين للمرة السادسة) .

الرجل : صحة الشرطة عدوة الأحلام . (تشرب . يشرب . يتأكد أثر

الحمر . يملأ الكأسين للمرة السابعة (

المرأة : صحة أول من اخترع حروف الهجاء . (تشرب . يشرب . يتضح

أثر السكر في الحركة والصوت . يملأ الكأسين للمرة الثامنة)

الرجل : صحة أول رجل اخترع آلة للزينة . (تشرب . يشرب . يملأ

الكأسين للمرة التاسعة)

المرأة : صحة أول من كتب رسالة غرامية . (تشرب . يشرب . يملأ

الكأسين للمرة العاشرة)

الرجل : صحة الحلقة المفقودة .

المرأة : صحة المخبر الواقف بالطريقة خارج الشقة .

الرجل : صحتك .

المرأة : صحتك .

(يفرقان في الضحك . يقفان وهما يترنحان)

الرجل : لننس العمر الذى عشناه فینتهى كل شيء .

المرأة : انتهى كل شيء .

الرجل : ولكنى لن أنسى أول أمنية داعبت فؤادى وأنا طفل .

المرأة : ما هى ؟

الرجل : أن أكون يباع كسكسى !

(يفرقان في الضحك)

المرأة : لنستمتع بشيء من الفن ..

الرجل : فكرة . (يذهب إلى التلفزيون . يديره . يظهر موقف من فيلم

رعاة بقريشدد فيه تبادل إطلاق النار . المرأة تصرخ متراجعة محتجة

فيطفىء الرجل التلفزيون) هلمى نرقص . (يرقصان بلا

موسيقى . يعتمد ضمها إلى صدره . يقبلها من آن لآن . يتوقف

عن الرقص ويرفعها بين يديه ليحضى بها ولكن توازنه يخل فيسقطان
وهما يضحك. كان . ينطرحان جنباً لجنب وهما يضحكان . وهو يقبلها
كلما سكت عن الضحك . لا مقاومة من ناحيتها ولكنها تزحف
قليلاً وتمد يدها فتأول سماعة التليفون . تطلب رقماً ، وفي أثناء
الحديث يتابعها الرجل بانتباه قليل لشدة سكره ولا يكف عن
تقليها)

المرأة :

آلو .

..... :

المرأة :

مساء الخير ، أنت قلق طبعاً ، آسفة .:

..... :

المرأة :

شربت كأسين تحت ظروف اضطرارية .

..... :

المرأة :

لا وقت للإجابة ، ليس الظرف مناسباً ، ستعرف كل شيء من

الصحف ..

..... :

المرأة :

لا تنتظرنى .. ولكن ثق من إخلاصى .. حتى آخر لحظة ..

أستودعك الله ..

(تعلق السكة)

الرجل :

تخونينى جهاراً ؟

المرأة :

الماضى يستحق أن نودعه .

الرجل :

عفريتة ..

المرأة :

سأكون لك إلى الأبد !

الرجل :

حتى الموت .

المرأة : حتى الموت .

الرجل : ولو امتد بنا العمر ساعة كاملة ؟

المرأة : ولو امتد ساعة وربعا ! (جرس الباب يرن . ينظران نحو الباب

بأنزعاج رغم سكرهما . ينهضان بصعوبة وتعثر . تمضى نحو المقعد

حيث تركت حقيبتها) سيجلدوننى جثة هامدة منتصرة .

الرجل : لن أفتح الباب .

المرأة : سيكسرونه .

الرجل : فلتنفق على الاعتراف بأننا زوجان .

المرأة : قلت للضابط خلاف ذلك .

الرجل : نعرف بأننا تزوجنا عقب ذهابه !

المرأة : هذه فترة كافية لموتنا أما الزواج فيستغرق عاما على الأقل .

(الجرس يرن متقطعا ولكن فى إصرار)

(الرجل يلتفت نحو الباب موليا المرأة ظهره .

المرأة تتناول من الحقيبة أنبوبة . تستخرج منها حبة . تزدردنها

ببقية كأسها . تترنخ ثم تسقط فوق الديوان منكفئة على وجهها ،

جثة هامدة . الرجل لم ينتبه إلى ما حدث . يتردد بين الوقوف وبين

الذهاب إلى الباب . ينظر وراءه فيرى المرأة منكفئة على وجهها)

الرجل : غلبك السكر ؟ .. نعم ؟ (يتأملها دون مبالاة بجرس الباب) يالك

من شابة جميلة حقا ! .. (الجرس يرن) أضعنا فى الخصام وقتا لا

يعوض .. (الجرس يرن) استريحى .. تخاصمنا كغرباء على حين

تجمعنا طبيعة واحدة . (يقترب منها ، يميل فوقها كأنما ليقبلها وإذا

بصوت صديقة يتادى من وراء الباب صائحا : افتح ، يمضى

مسرعا نحو الباب فيفتحه ضاحكا . الصديق يدخل ويغلق الباب

وراءه) سييت ركبنا عليك اللعنة .

الصديق : من المرأة التي عندك ؟

الرجل : الغيرة رجعت بك رغم الحصار .. يا لك من أحمق ما فكرت في خيانتك قط .

(الصديق ينظر إلى المرأة ويضحك عاليا)

الصديق : بعض الظن إثم .

الرجل : أنت أحمق .

الصديق : متى جاءت هذه الحبوبة ؟

الرجل : كانت هنا من قبل زيارتك الأولى .

الصديق : ولم أخفيها عنى ؟

الرجل : إنها المرأة التي تبحث عنها الشرطة .

الصديق : كم كأسا شربت ؟

الرجل : لم أفكر في حصرها .

الصديق : وهل الحبوبة نائمة ؟

الرجل : من السكر والتعب .. ولكن ما حال الحصار ؟

الصديق : القيامة قائمة ..

الرجل : وحييتى نائمة ..

الصديق : إنها جميلة .. من هي ؟

الرجل : المرأة التي قامت القيامة من أجلها .

الصديق : أنت سكران .

الرجل : السكران لا يكذب .

(صمت)

الصديق : لو صبح هذا ..

الرجل : تعاهدنا على الحب إلى الأبد .

الصديق : كنت تعرفها ؟

الرجل : عرفتها منذ ساعة هجرية !

الصديق : وما جريمتها ؟

الرجل : جريمة قامت لها القيامة .

الصديق : قتل .. مؤامرة .. ؟

الرجل : سألتها فاعترفت لى بحبها ..

الصديق : لعنة الله على البار الأمريكانى .. خبرنى من هى ؟

الرجل : امرأة .

الصديق : اسمها ، أسرتها ، مهنتها ؟ ..

الرجل : لا اسم ولا أسرة ولا مهنة لها .

الصديق : ألا تعرف عنها أى شىء ؟

الرجل : عرفنا أهم شىء وهو أننا سنموت بعد ساعة أو ساعتين !

الصديق : إنك مضجر ولا خير فيك .

الرجل : نحن ننتظر الشرطة فلا تفسد علينا ساعة الانتظار .

الصديق : لا سبيل إلى التفاهم معك ، سأذهب ، أستودعك الله ..

الرجل : مع ألف سلامة . (يتحرك الرجل للذهاب . جرس الباب يرن

ونينا متواصلا) أخيرا ..

الصديق : (فى اضطراب) ماذا أنت فاعل ؟

الرجل : سأفتح الباب قبل أن يحطموه ..

(أصوات من الخارج تصبح « افتح .. افتح » . الرجل يذهب

إلى الباب . يفتحه . تدفع إلى الداخل قوة من الشرطة المسلحة

على رأسها ضابط غير الضابط الأول)

الضابط : أين الحجرة المظلة على الطريق العمومي ؟
(الرجل يشير إلى حجرة النوم . الضابط والقوة يهرعون إلى
الحجرة ويخفون داخلها)

الصديق : ما معنى هذا ؟
الرجل : على اللعنة إن كنت أفهم حرفا مما يقع حولى .
الصديق : يستحسن أن توقف المرأة ، أى نوم هذا ؟
الرجل : رد فعل طبيعى للإنهاك والاضطراب والسكر ، دعها تنعم بآخر
هدوء يتاح لها فى حياتها !

(فجأة تترامى من الحجرة أصوات طلقات نارية كثيرة ، تستمر
وتتزايد . الرجلان ينحطان على ركبتيهما بحركة قاسية وهما فى
غاية من الذعر)

الصديق : إنها معركة ..
الرجل : إنها معركة بكل معنى الكلمة ...
الصديق : هل العدو فى الطريق ؟
الرجل : ولكنك رأيت الطريق محاصرا !
الصديق : لعله فى العمارة القائمة على الجانب الآخر .
الرجل : لا أفهم شيئا ..
الصديق : يجب أن تغادر الشقة فورا قبل أن نصرع بالرصاص .

(الصديق يزحف على أربع حتى يغادر الشقة . الضابط يظهر فى
باب الحجرة . يرى المرأة لأول مرة)

الضابط : هل أصيبت السيدة ؟
الرجل : كلا .. إنها .. إنها مريضة ..
الضابط : الشقة معرضة للخطر .. غادرها بلا تردد .

(الضابط يرجع إلى الحجرة . الضرب في تصاعد مستمر .
رصاصة تصيب المصباح الكهربائي فيسود الظلام . شبح الرجل
يزحف نحو المرأة . يهزها ليوقفها)

الرجل : استيقظى .. يجب أن تستيقظى .. (يهزها بشيء من الشدة)
سأحملك بين يدي وأمرى لله .. (يحملها بين يديه ويمضى بها نحو
الباب بعثر ومشقة وبطء) لم يجئوا للقبض عليك ولا للتفتيش ..
لقد نجوت يا حبيبتى .. ونجوت أنا أيضا .. نجونا معا . سيمسى
اليأس في خبر كان .. نجوت ونجوت .. وستكونين لى إلى الأبد .
(يغادر الشقة بحمله . الضرب مستمر)

مسرح المناقشة



(حجرة الإدارة بمسرح . فى الجانب الأوسط من الحجرة يوجد مكتب . أمام المكتب مقعدان كبيران متقابلان . إلى اليسار مكتبة ، وباب مغلق يؤدى إلى الخارج . فى الجانب الأيمن كبة ومقعدان وخوان . على الكبة يجلس الممثل والمثلة . على المقعدان يجلس المخرج والناقد . الجميع فى أواسط العمر مع تفاوت) .

- المخرج : يجب أن نفتح الموسم بعمل باهر .
 الممثلة : (متنهدة) الحق أن الفن جمال وعذاب .
 الممثل : (ناظرا فى ساعة يده) متى يحضر الأستاذ ؟
 الناقد : إنه فى الطريق إلينا .
 المخرج : كثرت المسارح واشتدت المنافسة بينها لدرجة الوحشية .
 الممثل : وعلينا يقع عبء المحافظة على القمة .
 الممثلة : هذا ما قصدته بالعذاب .
 الناقد : ترى هل انتهى الأستاذ من كتابة المسرحية ؟
 المخرج : لا أظن ، ولكنه سيحدثنا عن الفكرة العامة .
 الممثلة : لن يبدأ الموسم قبل أشهر .
 (يفتح الباب إلى اليسار ويدخل السكرتير)
 السكرتير : الأستاذ .

(يدخل المؤلف . يخرج السكرتير ويطلق الباب . المؤلف متقدم فى السن ولكنه من النوع الذى يتعذر تحديد سنه . وهو أنيق المظهر وبإحدى الصحة والعافية رغم تقدمه فى السن . ينهض المخرج

والناقد والممثل لمصافحته . يذهب لمصافحة المثلة في مجلسها .
يمضى إلى المكتب فيقف مستندا إلى مقدمته . ينتقل المخرج والناقد
إلى المقعدين المتقابلين أمام المكتب . يعود الممثل إلى مجلسه إلى
جانبا المثلة (

- الناقد : (للمؤلف) صحتك عال .
المؤلف : شكرا .
المخرج : الجو فطيع ولكن ضاحيتك مرتفعة الموقع ومعتدلة الجو .
المؤلف : التفكير من شأنه أن يرفع الحرارة .
الناقد : إلى أى حد يمكن أن نقول إن عملك اكتمل ؟
المؤلف : سينتهى على أى حال فى موعده .
الناقد : إذا أردنا أن نحدد روايتك الجديدة فأى اسم يمكن أن نطلقه عليها ؟
المؤلف : إنك ناقد لا تخلو من داء النقد فى غرامهم بالأسماء ، أنا لا تهمنى
الأسماء ، إنما أبدأ من انفعال معين ثم أترك الاسترسال لوحى القلم .
الناقد : ولكن المسرحية بناء ، ولا يسع البناء أن يضرب فى الأساس ضربة
واحدة ما لم تكن الصورة النهائية متبلورة بشكل ما !
الممثل : (فى شيء من العصبية) سنصل فى نقاش غير محدود ، أريد أن
أطمئن إلى وجود بطولة حقيقية .
الممثلة : وأضيف إلى قول زميلى أن خير دور تمثله المرأة هو الحب . (ثم
موجهة الحديث إلى المخرج) تكلم فأنت المخرج ..
المخرج : لكل رواية أسلوب خاص لإخراجها .
الممثلة : ولكن الحب ضرورة لا غنى عنها .
المخرج : إنه ضرورة حقا ولكن لا يمكن فرضه على المؤلف .
المؤلف : هذا كرم منك إذا تذكرنا محاولتك السابقة للوثوب فوق رأسى .

- المخرج : (ضاحكا) أنت تؤلف وأنا أفسر ، فأنت حر في تأليفك وأنا حر في تفسيرى .
- المؤلف : ولكنى أعرف ما أريد قوله .
- المخرج : بل إنى أعتبر ذلك من اختصاصى .
- الناقد : الأمر يتوقف على نوع العمل ، ثمة عمل لا يختلف فى تفسيره أحد ، وآخر تتعدد فى تفسيره وجهات النظر .
- الممثل : ما يهمنى حقا هو دور البطولة ، أريد أن أكون بطلا لا مهرجا .
- المخرج : ولكن المهرج يمكن أن يكون بطلا أيضا .
- الممثل : إنى أرفض ذلك كل الرفض .
- المخرج : ثمة زمن يخلق الأبطال وآخر يخلق المهرجين .
- الممثل : مهرجون لا أبطال .
- المخرج : المسألة نسبية .
- الممثلة : سنضل فى متاهة الآراء ، حددوا أفكاركم .
- الممثل : حسن ، أريد بطولة بالمعنى التقليدى .
- الممثلة : وأريد أن ألعب دور حب لا ينسى .
- الناقد : ويلزمنى الوضوح الذى يمكننى من نقد العمل وتقديمه .
- المخرج : أطالب بالحرية الكاملة للتفسير .
- المؤلف : ماذا يبقى لى أنا ؟
- الممثل : أن تحقق لنا مطالبنا الفنية العادلة فى صيغة ناجحة تستحوذ على إعجاب الجمهور .
- المؤلف : إنكم بحاجة إلى سكرتير لا إلى مؤلف .
- الممثلة : بل نريد تفاهما وتعاوننا .
- (المؤلف يغادر موقفه متمشيا حتى منتصف الحجرة وهو مقطب ثم

يعود إلى موقفه مستندا إلى مقدم المكتب)

المؤلف : إني أحب الصراحة ، والحق أقول لكم إنه لا وجود لكم قبل أن توجد
الفكرة التى تنجزونها .

الممثل : (فى حدة) بل نحن موجودون قبل أى فكرة .

المؤلف : إذا لم توجد القصة فأنتم مجرد أشخاص لا معنى فنى لهم .

الناقد : ألا يؤثر فى خيالك وأنت تؤلف أشخاص الممثلين مثلا ؟

المؤلف : كلا ، إني أستغرق فى عملية الخلق فحسب ، ثم يختار العمل بعد ذلك
ممثليه ومخرجه !

الناقد : هذا فرض مثالى ، ولكن الواقع أن المؤلف إنما يتعامل مع زمان ومكان
وجمهور وممثلين وممثلات ومخرجين ونقاد أيضا !

المؤلف : (ضاحكا فى سخرية) يا لها من أفكار غريبة عن عملية الخلق !

الناقد : لا يمكن أن تترك لخيالك العنان ما دمت مرتبطا بمسرح ما وجمهور ما
وإمكانيات فنية محدودة .

المؤلف : أو فى كلمة واحدة هى فبركة بلا زيادة .

الناقد : إنها محاولة صادقة للتوفيق بين خيالك الخلاق والضرورات بفبركة لا
محيص عنها لتقول فى النهاية ما تريد قوله وما يتطلبه الزمان والمكان مما
يود الناس أن تقوله !

المؤلف : (بلهجة مزدرية) أصدق وصف للفن التجارى .

الناقد : الفن معاملة ، والمعاملة نوع من التجارة ، والنجاح وجه من وجوه
المعاملة .

المؤلف : هذا يعنى أنكم المؤلف لا أنا .

الناقد : التأليف جماعى وإن بدا فرديا .

- الممثل : لذلك أطالب ببطولة تقليدية وهو طلب عادل .
- الممثلة : وأطالب بالحب وهو مطلب طبيعي .
- المخرج : وأطالب بالحرية ليتم لعملك الكمال المنشود .
- المؤلف : (غاضبا) تمرد سخيف مضحك ، ولولاى لما كنتم شيئا مذكورا .
- الناقد : (بلطف) ولولانا ما كنت مؤلفا على الإطلاق .
- المؤلف : أستطيع أن أكتب مسرحية لنفسى !
- الناقد : محض كلام ، كيف يثبت أنها مسرحية إذا لم يقيض لها مخرج وممثلون وجمهور ونقاد ؟!
- المؤلف : (غاضبا) إن مهتئ الخلق لا الجدل ، الجدل مهنة العاجزين عن الخلق .
- الممثلة : إنى أكره الجدل وأخاف عواقبه ، وسوف ينتهى بنا إلى خصام مرير بدلا من عرض مسرحى رائع .
- الممثل : ولكن لا خير فى مصالحة تجيء على حسابنا .
- المؤلف : من الضرورى أن أكتب مسرحيتى بلا قيد أو شرط .
- الناقد : لا يجوز أن تهمل الاعتبارات التى عدتها .
- المؤلف : إنى ملزم باحترام الخلق الفنى وحده .
- الممثل : والبطولة ؟
- الممثلة : والحب ؟
- المخرج : بعض الهدوء ، إنه لم يحدثنا بعد عن قصته ! (صمت) أستاذنا العزيز ، حدثنا عن قصتك .
- المؤلف : إنها مجرد مشروع وخطوط عامة .
- المخرج : ليكن .
- المؤلف : إنها قصة رجل وامرأة .



الممثل : ثمة مجال لبطولة .

الممثلة : * ومكان أرجح للحب .

المؤلف : يلتقيان في غابة .

الناقد : غابة ؟

المؤلف : يلتقيان في غابة .

الناقد : ولم غابة ؟

المؤلف : (محمداً) أنا حر .

المخرج : أنا الحر .

الناقد : أخشى أن ترجع بنا إلى عهد الرومانسية البائد ؟

الممثلة : هو مكان طريف على أى حال ، والعري فيه لا يمكن أن يتهم بالافتعال .

الناقد : اللقاء اليوم في الشارع ، في البص ، في ملهى ليلي .

المخرج : ربما أراد من الغابة أن تهيب له جواً موحشاً حافلاً بأخطار الإنسان والحيوان .

الناقد : المدينة أحفل بكل ذلك من أى غابة .

المؤلف : (ضارباً الأرض بقدمه) يلتقيان في غابة .

الممثلة : بعض الحلم حتى يتم صورته .

المؤلف : في الغابة أخطار لا حصر لها فهما يبحثان عن مأوى يحميهما .

الممثل : ليس في ذلك شيء من البطولة ..

الممثلة : ولكنه مجال طيب للحب .

الممثل : لا حب بلا بطولة .

الممثلة : الحب في ذاته بطولة .

الممثل : ليست هي ما أبحث عنه .

المخرج : إنه يريد أن يقاتل ، يقاتل الوحوش ، يقاتل المجهول .
الممثل : أحسنت .

المخرج : ومن ثم يوجد الصراع وهو أساس الدراما .

الممثل : أما مجرد البحث عن مأوى !

الممثلة : لعله يكتب قصة حب ؟

الممثل : الحب لا يكفي وحده موضوعا لمسرحية .

المخرج : وأى مجال يترك لحررتى فى مسرحية بحث عن مأوى ؟

المؤلف : أنا لا أعترف بحريتك المزعومة .

المخرج : أنا أفسر فأنا حر .

المؤلف : هل تستطيع بحريتك أن تغير النهاية ؟

المخرج : صدقنى فإن حرية المخرج هى زينة العرض المسرحى .

المؤلف : هل تستطيع أن تغير النهاية ؟

المخرج : لم نحدثنا عن النهاية .

المؤلف : يجدان مأوى على درجة من الأمان .

الممثلة : أراهن على أن الحب سيبدأ دوره الخالد .

المؤلف : يحصنانه ضد أهوال لا حصر لها ولا عد .

الممثلة : أكمل .. إنى منتظرة ..

المؤلف : يمضيان أوقات الراحة فى عناق حار .

الممثلة : (تقف من الانفعال وتنقل إلى جنب المؤلف) ألم أقل لكم ؟ ..

المؤلف : وفى لحظة من لحظات العناق الحار يسقطان جثتين هامدتين !

(صمت)

(يتبادلان النظرات . تمضى الممثلة إلى المكبة على اليسار وتستد

إليها مغمضة العينين)

الناقد : جثتين هامدتين ؟!

المؤلف : نعم .

الناقد : وهى النهاية ؟

المؤلف : ماذا تتوقع بعد ذلك ؟

الناقد : ولكن ما أسباب الموت ؟

المؤلف : أى سبب تفترضه ، لنقل إنه العناق نفسه !

الممثلة : (متقدمة خطوات) الحق أنى لم أفهم شيئاً .

المخرج : وماذا عن الأخطار المحدقة بهما ؟

المؤلف : لم أتم دراستى لها بعد ، ولكن يمكن القول بأنهما قد ينجحان فى

تحصين مأواهما .

الناقد : ستكون نهاية متشائمة .

الممثل : وبلا بطولة تخفف من وقعها .

الممثلة : دور الحب غنى ، ولكن النهاية .. ؟

المخرج : من حسن الحظ أنه لم ينته من دراسته ، وأنه لا بد أن تسبق النهاية

سلسلة من صراعات شائقة ..

المؤلف : (متهمكماً) ربما تكون حراً فى كيفية الوصول إلى النهاية التى اختارها

ولكن لا حرية لك فى تغييرها .

المخرج : (فى شبه ثورة) يمكن أن أسدل الستار عند لحظة من لحظات

النصر .

المؤلف : فى تلك الحال لن يزعم أحد بأن الرواية روائية .

الممثل : (وهو يهيب واقفاً) أنا البطل ، أنا الجمهور ، وإنى أرفض الأدوار

الهابطة !

المؤلف : قدر لسانك قبل النطق موضعه من اللباقة .

الممثل : إني ممثل قديم ، لعبت أدوارا خالدة ، صارعت القدر ، صارعت الأبطال ، صارعت المجتمع ، اليوم يراد مني أن ألعب دور الهارب ، وأن أموت مستهلكا في عناق حار ، خبرني بالله أى نوع من الدراما تكون ، تراجيديا ؟ ملهاة ؟

الناقد : أجل .. النوع المسرحي غير واضح .

المؤلف : أنا أقدم مسرحيات لأسماء .

الناقد : ولكنها تنكبت سبيل الجلال الحق .

المؤلف : الجلال الحق ، ما زلت تخون إلى القدر والأبطال الخرافين وأسطورة المجتمع ، ولكن القدر لم يعد إلا موضوعة بالية ، والبطولة الخرافية مرهقة ، وهل يتمخض المجتمع إلا عن لعبة يعث بها أطفال شربون لم تحسن تربيتهم ؟! ، إني أعرف على تماما .

الممثل : إني أرفض مسرحيتك .

المثلة : لكنها ما زالت قصة حب .

الممثل : إنك مخطئة يا عزيزتي ، تصوري أن نلتقي في غابة وأن نلوذ بمأوى ! ، لا مجال للمناجاة أو الحب الحقيقي ، ستكون أعصابنا متوترة طوال الوقت . الحب لا ينمو في هذا الجو ، مجرد عناق عصبي ، يروح عن نفسه بالشهوة ، ثم تقع جثتين ، ستكونين طيلة الوقت محدقة في فرع ، مرتعشة الأطراف ، مضطربة الأمعاء ، دميعة الوجه ، مجرد لبوة نائرة ثم جثة هامدة .

المثلة : كلا .. كلا ..

الممثل : ولن يبقى لنا من الحوار إلا كلمات متشنجة ، واستغاثات معرودة « وهذيان طويل عن الأخطار المحدقة بنا ، ثم تقع جثتين هامدتين !

المؤلف : (محملا) لست إلا ممثلا فلا تجاوز حدك .

- الممثل : (فى غضب وعجرفة) أنا المسرح .. أنا الجمهور ..
المؤلف : لست إلا مثلاً .
الممثل : (وغضبه فى تصاعد) وما أنت ؟! .. كم من الجمهور رأوك ؟! .. وكم
ممن يرونك يعرفون من أنت !
المؤلف : يالها من وقاحة !
(الممثل يرمى المؤلف بنظرة متوعدة . المثلة تقترب منه بسرعة
فضع يدها على ذراعه ملاطفة)
المثلة : لا يليق بكما الخصام .
الناقد : ترى هل تحل بمسرحنا اللعنة ؟!
المؤلف : ليلتزم كل بحدوده .
المخرج : الحلم والهدوء ، لا تدفعونى إلى اليأس .
المثلة : عليك بالتماسك وإلا فشلنا وأعرض عنا الجمهور .
الممثل : إن من يسلبنى مجدى إنما يسلبنى كرامتى وحياتى .
المؤلف : لكل زمان مجده الخاص به .
الممثل : العبث ببطولتى التى عشقها الجمهور محاولة لقتلى .
المؤلف : مجدك الحق أن تلعب دورك بمهارة أيا كان دورك .
الممثل : ولو كان الهرب والموت بين أحضان امرأة ؟
المؤلف : ولو كان .
الممثل : سينصرف عنكم الجمهور ولن ينفع الندم .
المؤلف : الجمهور يود أن يرى نفسه .
الممثل : لا كما هى ولكن كما يجب أن تكون .
المؤلف : على أساس من واقعها الحقيقى .
الممثل : أهذه هى الكلمة الأخيرة فى البطولة ؟

- المؤلف : لا يمكن التنبؤ بالمرحلية التالية .
- الممثل : إذا تجهمني زمانى فعلى أن أعترل .
- المؤلف : (متهمكما) ها أنت تفكر فى الهروب فى حياتك رغم ثورتك عليها فوق خشبة المسرح .
- الممثل : إنى أرفض مسرحيتك .
- الناقد : (للمؤلف) فكرتها طيبة ولكن أعد النظر فى النهاية .
- المؤلف : (بكبرياء) كلام لا يليق أن يوجه إلى مؤلف .
- الناقد : هل نسيت تاريخك القديم ؟.. هل نسيت روائعك ؟
- المؤلف : آخر مسرحية خير ما ألقت حتى اليوم .
- الممثل : حتى هذه المسرحية الشاذة ؟
- المؤلف : ستكون خير ما ألقت حتى اليوم .
- الممثل : (صائحا فى غضب وموجها كلامه للجميع) إنه يضمحل وهو لا يدرى .
- المؤلف : (فى غضب) لست أهلا لمناقشتى . (الممثل يرميه بنظرة غاضبة متوعدة مرة أخرى ولكن المثلة تأخذه من ذراعه إلى مجلسها السابق فوق الكنية) (صمت) (محادثا نفسه) تعب وعذاب وها هى النهاية ، من يدري بمتاعب الخلق إلا من يعانیه ؟ ، ثم لا يكفيه ذلك فتتمرد عليه مخلوقاته ، وأبى تمرد ! ، تعيب خلقه ، تعيبه بكل جهل وقحة ، تذكره بعمله القديم كأنه عاجز عن تكرار نفسه ، تهمه بالكسل وهى الخامة العاجزة عن تفهم الجديد ، وتبين مزاياه ، هل يكمل الخلق إذا جاء على هوى المخلوق ؟ ، وقد تدرجت معهم من البسيط إلى المعقد وها هم ينعنون البسيط بالجلال والمعقد بالتفاهة ، عقول قاصرة فكيف يمكن أن يتموا الرحلة الطويلة معى ؟ !

الممثل : (مخاطبا نفسه أيضا تجنبيا للخصام) الخلق شيء عظيم أما الغرور فلا
عظمة له ، لسنا مخلوقات ولكننا شركاء ، هو يعرف ذلك وإن أنكره
حين الغضب ، المسرحية لا تحيا وحدها ، يلزمها مخرج وممثلون
ونقاد وجمهور ، ما قيمة النصر بغير هؤلاء ؟ ، هل تبقى الرواية هي
هي إذا تغير الممثلون ؟ ، هل تبقى هي هي إذا تغير المخرج ؟ الحق أننا
خالقون أيضا ، وهو مخلوق لنا بمعنى من المعاني ، وجميعنا معذبون
بالخلق ، والجزاء ليس عادلا ، إننا نعيش فترة ثم نختفى كالفقاعات ،
أما كلماته فتبقى على مدى الأيام ..

(صمت)

الناقد : نريد أن نصفى الجو ، وبالا احترام المتبادل نصفيه لا بالتفاخر .
الممثل : (آتيا بحركة تدل على الحسرة) إني أبكى الأيام السعيدة الماضية ،
أخاف ألا تعود مرة أخرى ، كنت أخطر على خشبة المسرح رمزا
للإنسان في ذروة نبلة ونضاله ، وعلى المسرح كانت تتواجه قوى
الخير والشر وبينهما تقوم الإرادة الحرة المتوثبة ، والخير لم يكن يهزم
وإن حاقت به هزيمة والشر لا ينتصر وإن أحرز نصرا ، ذلك أن خشبة
المسرح لم تكن تخلو من إله عادل .

الممثلة : (تتأثر فتقوم تمشى وهي تتكلم) أجل ، المرأة كانت وحيا ، الحب
كان ديننا ، النور يهزم جيوش الظلام بنصله اللامع ، الأمومة
مقدسة ، الوفاء مقدس . الرذيلة شيطان ، لا شيء هو ولعب .

الممثل : أين الآلهة ؟ ، أين البطولة ؟ ، أين الحب ؟ ، أين الأمل ؟ ، لم تبق إلا
غابة مليئة بالوحوش ، وآدميان هاربان لائذان بكهف ، لم يبق إلا
الخوف والتوجس والمستيريا والموت ، أى دور هذا ؟ ! (الممثل
يقف منفلا ثم يهتف بصوت مرتفع) إني أرفض مسرحيتك .

- المؤلف : لا تتخط حدودك .
 الممثل : لم أتخط حدودى .
 المؤلف : لا تعلم كالمراهقين .
 الممثل : لا تتخط حدود اللياقة .

(صمت)

- المؤلف : هذا هو مشروع روايتى الجديدة ، وإنى مقتنع به .
 الممثل : إنى أرفضها .
 الممثلة : (بصوت منخفض) على العين والرأس ولكن ..
 المخرج : عملى يبدأ بعد انتهاء عملك .
 الناقد : لا أدرى هل ييكى المشاهد أو يضحك ؟
 المؤلف : لم يكن أحد يجادلنى فيما مضى .
 الممثل : كان العمل رائعا .
 المؤلف : المؤلف الحق يطالب بالطاعة والإعجاب .
 الممثل : (متهمكا) الطاعة والإعجاب !؟
 المؤلف : (منفعل بالغضب) وإلا هدمت المسرح على من فيه .
 الممثل : إنى أشهدكم على ما يقول .
 المؤلف : من حقى أن أقول ما أعتقد .
 الممثل : تحت شرط ألا تمس كرامة الآخرين .
 المؤلف : لقد خلقت منكم نجوما وكواكب ولن يعجزنى أن أخلق غيركم .
 الممثل : الحق أننا نحن الذين خلقناك .
 المؤلف : لو تخليت عنك لتسولت حتى الموت .
 الممثل : لولاي لما نجحت لك رواية واحدة ولبت مؤلفا ناشئا ! (الممثل يتقدم إلى الممثلة فيأخذ بيدها متجها في تحد إلى المؤلف) هل نسيت

فضل هذه الفنانة ؟، أو حسبت أن الجمهور يتدفق علينا من أجلك ؟!

المخرج : (للمؤلف ممثضا) وأنا يا أستاذ ؟، هل نسيت عروضي الرائعة ؟
الناقد : (للمؤلف أيضا) ساحك الله ، وقلمي الذي كرسه للإشادة بعقريتك ؟، إن الناس لا تثني عليك إلا بكلماتي ..

الممثل : (غاضبا) نحن الذين خلقناك .

المؤلف : سأعهد بعملى إلى آخرين ، اغربوا عن وجهى .

الناقد : لكل مسرح رجاله ، ونحن رجال هذا المسرح .

المؤلف : إذن لن تقدم به مسرحيات بعد اليوم .

المخرج : سيغلقه الظلام ويدركه العدم .

المؤلف : لن أتصور جوعا ، إنى رجل لم تغره الحياة الدنيا مثلكم ، ولكنكم ستسولون فى مجرى عام .

الممثل : ولكن لن تخلق ، وهو ألعن من التسول .

المؤلف : حسن ، فليمض كل إلى سبيله .

(صمت)

الناقد : لقد حلت اللعنة بمسرحنا .

الممثلة : قلبى يتمزق .

المؤلف : أنتم المسئولون عن ذلك .

الممثل : أنت وحدك المسئول .

المخرج : مسرح عريق فى القدم والنجاح .

الممثلة : يئس من اللحاق به الأعداء .

المؤلف : وبطرت نعمته أصحابه .

الناقد : لا أصدق ، لن يهون أمره على أحد منا (ثم موجهها الخطاب

للمؤلف) وأنت على وجه الخصوص ، ليست أول مرة يعصف بك الغضب ..

المؤلف : (مشيراً إلى الممثل) جاوز حدود اللياقة باستهانة لا تغتفر .

الناقد : ما تزال قابلة للغفران .

المخرج : لن يدرك مسرحنا العدم ولو اضطررنا إلى إعادة تقديم الروايات القديمة .

المؤلف : هذا هو الإفلاس ، ولن يخفى على أحد .

(صمت)

الناقد : لنكن إيجابيين في حوارنا ، أصغوا إلى ، يمكن استخلاص عنصر صراع بطولى من مجرى الرواية .

الممثلة : (بلهفة) كيف ؟

الناقد : الرواية ما زالت مشروعا ، وقد قال الأستاذ إن الرجل والمرأة سيلوذان بكهف ، أليس كذلك ؟

الممثلة : بلى .

الناقد : إنه كهف كبير ، لاذبه كثيرون .. (ينظرون إلى المؤلف مستطلعين

فلا يعترض) لدينا كهف وسط غابة مليئة بالوحوش والأخطار المجهولة ، وهو في الوقت نفسه مكتظ بالناس ، ثمة فرصة لقيام صراع ما بين بطلنا وبين أحد أو أكثر من الآخرين ..

الممثل : صراع سخيف ؟! غير بطولى ، إذا كانت الأخطار تحدى بالكهف من كل جانب ، فكيف يجوز أن يقوم صراع بينهم ؟!

الممثلة : وكيف يطيب الحب في مثل ذلك الجو ؟!

الناقد : قد يكون صراعا غير منطقي ولكنه ممكن إذا قيس بمقاييس الطبيعة البشرية ، وبخاصة إذا توفرت أسبابه ..

- الممثلة : أسبابه ؟
- الناقد : المرأة ، عدم وفرة الماء والغذاء ..
- الممثل : الصراع الحق هو ما قام بين البطل والوحوش ، أو بينه وبين المجهول .
- (ينظرون جميعا إلى المؤلف مستظلعين)
- المؤلف : (بفتور) ثمة مجال لصراع في الداخل وآخر في الخارج .
- الناقد : يسعدني أن نعود إلى المناقشة ..
- المؤلف : لم أفرغ من عملي بعد .
- الناقد : المناقشة تفتح الأبواب .
- المؤلف : ولكنها تفسح المجال لل رغبات الشخصية التي لا تمت إلى الفن بصلة .
- الممثل : رغباتي فنية وليست شخصية .
- الممثلة : (في رقة متناهية) النهاية مهمة جدا .
- المؤلف : المؤلف يكتب مسرحيات متتابعة ، لكل مسرحية شخصيتها المستقلة ، ولكنها في مجموعها مسرحية كبرى ذات نهايات متكاملة .
- الممثل : ما يهمنا الآن هي مسرحية الافتتاح .
- المؤلف : لم أفرغ من عملي بعد .
- الممثلة : ليكون صراع من أى نوع كان ولكن يجب أن ينتهى بانتصار الحب .
- الخارج : كيف يمكن استخلاص إيقاع غرامى من ضجيج الغابة الموحشة ؟!
- الممثلة : (بحدة) إذن الأفضل ألا يكون للمرأة دور !
- الممثل : ما أجمل أن ينتهى الصراع في الداخل إلى القضاء على أسبابه ، ومن ثم يتجهون جميعا نحو الخارج ..
- الناقد : وماذا يقع في الخارج ؟
- الممثل : صراع جديد فنصر جديد .

- الممثلة : وحب طيلة الوقت !
- الناقد : حلم جميل ولكن الجمهور لم يعد يستسلم للأحلام طويلا ..
- المخرج : ثمة مشروع مضاد وهو أن يقضى الصراع على اللامنين بالكهف ثم تقتحمه الوحوش فتلتهم الأحياء والجثث ..
- الناقد : كئيب أكثر مما تحمله الأعصاب ..
- المخرج : لم يبق إلا أن يستمر الصراع بالداخل والتهديد في الخارج !
- النقاد : نهاية مفتوحة تدعو للبلبله ..
- الممثلة : (محتجة) تتكلمون عن الصراع ولا تذكرون الحب بكلمة .
- المخرج : أيا كان الحال فسوف تتخلله لحظات حب وغناء ورقص ..
- الناقد : ولكن هل يتفق ذلك مع مرارة الصراع ؟
- المخرج : هكذا تمضى الحياة ، وبذلك نرضى جميع الأذواق .
- (ينظرون إلى المؤلف مستظلمين)
- المؤلف : لم أفرغ من عملي بعد .
- الناقد : ما رأيك في الاقتراحات التي عرضت ؟
- المؤلف : لا رأى لى الآن .
- الناقد : ولكننا استعرضنا كافة الاقتراحات المحتملة .
- المؤلف : لا حصر للاحتتمالات الممكنة .
- الممثل : عدنا على الأقل بصراع بطولى من أى نوع كان ؟
- الممثلة : ويجب يستحق هذا الاسم ؟
- المؤلف : لا أعد بشيء .
- الممثل : ولكنك حر وبوسعك أن تعد وأن تقى بما تعد .
- المؤلف : لا نتحدث عنى بخير أو شر .
- الناقد : حذار أن يعاودنا الخصام .

المخرج : نحن فى حاجة إلى استراحة قصيرة ، بنا إلى البوفيه لتناول بعض المرطبات .

(ويذهب الناقد والمخرج والممثل . الممثلة تقف ولكنها لا تبرح مكانها . المؤلف يغادر موقفه عند المكتب ليمشى ذهاباً وجيئة . ثم يعود إلى موقفه مستنداً إلى مكتبه ، والممثلة تتابعه بعينها طوال الوقت)

المؤلف : (كأنما يسأل نفسه) هل حقاً حلت اللعنة بمسرحنا ؟

الممثلة : لن تحمل بنا إلا إذا قررت أنت ذلك .

المؤلف : ولكنه بمعنى ما مسرحى ، إنه جزء من نفسى لا يتجزأ .

الممثلة : ونحن عناصره التى لا يقوم إلا بها .

المؤلف : عمل واحد وهدف واحد .

الممثلة : بالحق نطقت .

المؤلف : فيم الخلاف إذن ؟

الممثلة : لا خلاف حقيقى ولكنه الخوف ، لقد أفسدت المنافسة المريعة أعصابنا . .

المؤلف : بالتالى ضقت بهم ذرعا .

الممثلة : ليتسع لهم صدرك . (صمت) هل يضايقك وجودى ؟

المؤلف : بل يسعدنى .

الممثلة : (فى شيء من التردد) أود أن أدخل إليك بعض الوقت .

المؤلف : بكل سرور ، فرصة طيبة .

الممثلة : لاقيمة لأكلشبهات المجاملة لمن يتطلع للعاطفة الحقيقية ! (ينظر إليها

فى تساؤل ودهشة) لم الآن ؟ ، لم أختار هذه اللحظة لأفضى إليك

بأسرار قديمة ؟ ، ربما لأننى شعرت لأول مرة بأنك تهددنا حقاً

بالفراق الأبدي ..

- المؤلف : أعترف بأننى ضقت بالعناء والمكابرة .
الممثلة : عدنى بالألا تقرر الفراق مهما يكن من عنادهم ومكابرتهم .
المؤلف : كيف يمكن أن أعد بذلك ؟
الممثلة : عدنى بلا قيد أو شرط ؟
المؤلف : بلا قيد أو شرط ؟
الممثلة : بلا قيد أو شرط .
المؤلف : إني أشكر لك عواطفك ولكنه طلب غير عادل .
الممثلة : لأنه مسرحك ، لأنه مسرحنا ، لأننا أسرتك ، ولأننى ..
المؤلف : ولأنك ؟
الممثلة : ولأننى .. ولأننى .. ولأننى لولاك ما عرفت طريقى إلى المسرح .
المؤلف : حقا ؟!
الممثلة : نعم .
المؤلف : لم تحدثينى عن ذلك من قبل .
الممثلة : لم أحدثك عن نفسى قط . (صمت يتبادلان نظرات صامتة) ألا
تذكر أيام زمان ؟
المؤلف : بلى ، حينما كنت طفلة ..
الممثلة : حينما كنت فتاة صغيرة لا طفلة ..
المؤلف : كنت ألحك في الطريق أحيانا .
الممثلة : أكنت ترائى حقا ؟
المؤلف : من حى واحد كنا ، إني أذكر تلك الأيام .
الممثلة : اعتقدت أنك لم تترنى قط .
المؤلف : في الشرفة رأيتك وأمام باب البيت .

الممثلة : وقلت لنفسي إما أنه إله أو أنه صخر .

المؤلف : صخر ؟؟

الممثلة : ذلك أنك لم تعرف سهر الليالي ولا الوسائد المبللة بالدموع .

(يتبادلان نظرة طويلة ، هي تلقيا إليه بثبات ، وهو بدهشة)

وصممت على أن أكبر نفسي لعل ألقت نظرك . انتعلت حذاء

بكعب عال ، غيرت التسريحة ، ضيقت أعلى الفستان لأبرز

صدرى ، ولكنك لم ترى ..

المؤلف : (باسما) آسف جدا ، كنت صغيرة وكنت كبيرا .

الممثلة : المسألة أنك لم تحبني .. (صمت) ولجبت أحجبت المسرح ،

أحجبت مسرحك ، غيرت مجرى حياتي رغم معارضة أهلي

الشديدة ..

المؤلف : إنى أعبط نفسي على الخدمة التي قدمتها للمسرح دون تخطيط .

الممثلة : ومضى حبي ينمو بلا حدود ، ولما تخرجت في المعهد اتصلت بك

تليفونيا ، طالبة ناشئة تعرض نفسها على المؤلف الكبير ..

المؤلف : متى كان ذلك ؟ ، إنى لا أذكره ..

الممثلة : طبعاً فهو حديث يتكرر يوميا عشرات المرات .

المؤلف : أكرر الأسف .

الممثلة : وسد سكرتيرك الطريق في وجهي ، ومن ناحية أخرى لم تكن تبرح

ضاحيتك أغلب الوقت ، ولا تزور المسرح إلا في أوقات نادرة وفي

ظروف مجهولة لي ، وهكذا وجدت بابك مغلقا بعد طريق طويل

شقته بالجهد والعناء والصبر .

المؤلف : حكاية مؤسفة حقاً .

الممثلة : ما مضى قد مضى .

- المؤلف : ولكنك عرفت بالإصرار طريقك إلى مسرحنا .
الممثلة : سلمت بتوجيه السكرتير فذهبت إلى المخرج .
المؤلف : وسيلة ناجعة فيما يبدو .
الممثلة : قابلته واقترحت عليه أن يختبرني في مكتبه ولكنه ..
المؤلف : ولكنه ؟
الممثلة : اعتذر بضيق الوقت وكثرة الأعمال ثم دعاني إلى مسكنه الخلوي !
(المؤلف يتسم . الممثلة تقطب) غادرت متحدية ، وغالبت
ترددى حبالك حتى غلبته ، فكبت لك رسالة مطوية اعترفت لك
فيها بحبي الذي أسرني منذ صباى . (صمت) لا تتذكر شيئا ؟
المؤلف : الحق .
الممثلة : (مقاطعة) الحق أنك تتلقى مئات الرسائل مثلها !
المؤلف : لم تكن لي ثقة كبيرة في الرسائل .
الممثلة : ذهبت إلى المسكن الخلوي . (صمت) كثيرا ما يدفع الحب الخائب
إلى المساكن الخلوية .
المؤلف : الحياة سلسلة من التجارب المتناقضة .
الممثلة : هكذا انضمت إلى مسرحك .
المؤلف : مهما يكن من أمر فقد كسب بك نجمة لامعة .
الممثلة : وعندما قدمت لك لأول مرة وضع لي أنك لا تتذكرني .
المؤلف : ولكن سرعان ما تذكرتك .
الممثلة : وثبت لدى أن حبك سراب مستحيل فلذت بصمت الكبرياء .
(صمت) ودفعني حبك المستحيل من بيت خلوي إلى بيت
خلوي .
المؤلف : الحق أنك اشتهرت في الوسط بكثرة العشق !

- الممثلة : على حين أنى لم أعرف من الحب إلا حبك !
المؤلف : فنانة كبيرة وقلب كبير .
الممثلة : تصورنى الرسوم الكاريكاتورية امرأة شهوانية بينا أننى أعاف فى أعماق الشهوة والفساد .
المؤلف : إنى أصدقك .
الممثلة : ولكننى أعبر من خلال علاقاتى العابرة بالآخرين عن تشوفى الخالد إليك .
المؤلف : إنى أحترم عاطفتك وأفهم سلوكك .
الممثلة : ولكنك لا تحبنى ؟
المؤلف : أحبك بقدر ما يستطيع شخص فى سننى أن يحب امرأة فى سنك .
الممثلة : إنك من الذين يتعذر تقدير أعمارهم حتى قيل عنك إنك فى سياحاتك الموسمية حول العالم تجدد شبابك وتنفق فى ذلك عن سعة ؟
(المؤلف يفرق فى الضحك وهى لا تحول عنه عينها)
المؤلف : هل تؤمنين بالأساطير ؟
الممثلة : نعم .
المؤلف : أعترف أن حبك سيجدد شبابى .
الممثلة : إنك تتكلم من بعيد ، ولا أملك فلا حق لى عليك ، ولكن لِمَ لم تتزوج ؟
المؤلف : لم يكن الزواج من أهدافى أبدا .
الممثلة : عدو للمرأة !؟
المؤلف : لعلنى لم أتزوج لشدة حبنى للمرأة .
الممثلة : لا خبرة لى بالمغالطات اللفظية .

المؤلف : أعترف بأننى شئء غير مهضوم من وجهة نظر الطبيعة البشرية .
الممثلة : على كل حال ما مضى قد مضى ، وما يهمنى الآن هو ألا تفكر فى هجر مسرحنا . (صمت) طالما أنت على رأسه فأنى أشعر بأنى أعمل فى بيتى وبأن حياتى رغم تمزقها وضياعاها لم تفقد كل معنى لها ، وبأنى إذا كنت أخفقت فى أن أكون خليلتك أو زوجك فأنى على الأقل نجمة مسرحياتك .

المؤلف : النجمة التى ساقى إلى الملايين .
الممثلة : ولا تنس أن الحب هو الدور الذى خلدنى .
المؤلف : وشارك فى تخليد أعمالى .
الممثلة : وإننى أشعر وأنا أقوم به بأننى أمارس حبك الكبير الذى استحالى على خارج المسرح .
المؤلف : إنى مدين لك بالكثير .
الممثلة : عدنى إذن ألا تهجرنا مهما يكن من أمر . (صمت) ألا تريد أن تعدنى ؟

المؤلف : بدا التفاهم اليوم مستحيلا .
الممثلة : إنهم يحبونك أيضا ، صدقنى إنهم يحبونك أيضا ، المسألة أنهم خائفون ، المنافسة مرة ومزلزلة للأعصاب ، وهم من طول ما مارسوا البغضاء فى نزاعهم مع المسارح المحيطة بنا انطبعت البغضاء فى أسارىهم وسلوكهم ونوازعهم ، كأنما قد فقدوا القدرة على الحب ، ألفوا التحدى والوقاحة والتهور ، تصوروا فى غضبهم أنه يمكن أن يوجد هذا المسرح بدونك ، محض خيال مريض ، تخيلوه بأخيلة هزيلة مريضة ، ولو ضننت عليهم بوجودك لتقوضت الجدران فوق رؤوسهم ، وتلاشت فرص الندم .

المؤلف : لا أوافق على أن أكرر نفسى بحال .

الممثلة : سيدى .. هل حقا لم يبق للفن إلا غابة وكهف ورجل وامرأة يموتان
فى حومة هذيان ؟

المؤلف : إننى أعرف ما أصنع .

الممثلة : ولكننا لم نعرفه بعد .

المؤلف : علينا أن نواجه الحقائق ، هذه مواجهة وليست هروبا .

الممثلة : هبنى قدرا من الحب ليستقيم دورى ، ووفر له نصيبا من البطولة !

المؤلف : ممثل متعجرف !.. أهو آخر عشاقك ؟

الممثلة : نعم .

المؤلف : أيعاملك ببطولة ؟

الممثلة : (ضاحكة فى امتعاض) معاملته لى تتم وراء جدران لا أمام الجمهور .

المؤلف : إنه برمجى نساء كما هو معروف .

الممثلة : ربما ..

المؤلف : لماذا ارتضىته عاشقا ؟

الممثلة : ليس أسوأ من غيره .

المؤلف : إنه لا يمارس البطولة إلا فوق خشبة المسرح .

الممثلة : والحب الحقيقى أين يمارس إلا فوق خشبة مسرحك !

المؤلف : إنهم يكرهون مشروعى الجديد لأنه يعكس بصدق خبايا نفوسهم .

الممثلة : كنت رفيقا بهم فى الزمان الأول .

المؤلف : كانت دنيا أخرى ، وكانوا ناشئين مبتدئين .

الممثلة : أولهم بعض الاحترام الذى نعموا به قديما .

المؤلف : أعترف لك بأننى أعاملهم دائما باحترام .

الممثلة : حقا ؟

المؤلف : وروايتى الجديدة أكبر دليل على ذلك !

الممثلة : لا أفهمك يا حبيبي .

المؤلف : عليك أن تنهينى يا حبيبتى .

الممثلة : ما أحلى هذا الحديث ، تحدث كما لو كنا حبيين حقا .

المؤلف : نحن كذلك .

الممثلة : حقا ؟

المؤلف : كل بطريقته .

الممثلة : ليس للحب إلا طريقة واحدة .

المؤلف : بل له طرق كثيرة .

الممثلة : وما طريقتك في الحب ؟

المؤلف : العمل .

(تقترب منه خطوة ، تمنع فيه النظر)

الممثلة : ألم تحب بطريقي البسيطة ؟

المؤلف : ربما ، ولكن بعيدا عن الوسط الفنى .

الممثلة : (متنهدة) تصور أننى لم أدخل الوسط الفنى إلا سعيا وراء حبك .

(صمت) والآن هل تعدنى ؟

المؤلف : أرجو أن تسير الأمور سيرا حسنا .

الممثلة : شكرا .

المؤلف : عفوا .

الممثلة : (بعد تردد) أود أن أقبلك ولو قبلة واحدة .

(الممثلة تقترب منه . يتعانقان متبادلين قبلة طويلة . فى ذات

اللحظة يدخل الممثل وفى أعقابهم المخرج والناقد . المؤلف والممثلة

يفترقان فى كثير من الارتباك . الممثل يذهل لحظة . ثم يحاول

الهجوم على المؤلف ولكن المخرج والناقد يحولان دون ذلك)

- الممثل : (صائحا) داعرة محترفة وعجوز منحل .. سأحطم رأسك ..
 الممثلة : اخرس .. لا تتكلم بغير فهم .
 الناقد : ما رأيناه لا يجوز أن نسيء فهمه ، ما هو إلا عناق أبوى !
 الممثل : أبوى !!.. أنت لا تعرف شيئا عن تدهور الشيوخ !
 المؤلف : تأدب ..
 الممثل : سأحطم رأسك ، لن تفلت من قبضتى ..
 الممثلة : اخرس ، قلت لك ألا تتكلم بغير فهم .
 الممثل : إنى خير من يفهمك يا خنزيرة !
 الممثلة : ما أنت إلا حيوان غبى .
 الممثل : لا زلت بغيا تنتقلين من فراش إلى فراش .
 الممثلة : تأدب وإلا أسكتك بالحذاء .
 الممثل : ولكنك تنتقلين هذه المرة إلى نعش ..
 الممثلة : (للآخرين) أسكتوا هذا الحيوان الأعمى .
 الناقد : (ضاربا جبينه بيده) لقد حلت بمسرحنا اللعنة .
 الممثلة : (بصوت مرتفع) لن نحل بمسرحنا اللعنة .
 المخرج : سوء فهم واضح ، واضح البراءة .
 الناقد : (مخاطبا المؤلف) بوسعك أن تحسم سوء الظن بكلمة .
 (المؤلف يلزم الصمت فى كبرياء)
 المخرج : (للممثلة) لديك بلا شك ما تدافعين به عن نفسك .
 الممثلة : إنى أرفض أن أقف موقف الاتهام .
 الممثل : لقد رأيناها متلبسين !
 المخرج : يجب أن نخجل من نفسك .
 الناقد : حتى إن سوء الظن أمر مخجل .

المخرج : (للمؤلف) تكلم يا أستاذ (ثم للممثلة) تكلمى أنت ، علينا أن ننتهى من سوء التفاهم ونصفيه بسرعة لنستأنف مناقشة المشروع الجديد .

الممثل : (للمخرج) يا للغرابة ، إنك تتكلم عن أعمق العلاقات البشرية كما لو كانت عبث أطفال ..

المخرج : (للممثل) لقد وجدتني ذات يوم في مثل موقفك ، وكانت حيال خيانة حقيقية لا مجرد سوء تفاهم برىء ، وكان غريمى وقذاك صديقنا الناقد ، كيف تصرفت ؟ ، كظمت غضبى وواصلت تدريباتى للمسرحية الجديدة .

الممثل : أنت جبان .

المخرج : أنت حيوان .

(الممثل يوجه لكمة لرأس المخرج . المخرج يترنخ واضعا يده على موضع الضربة . يمضى إلى الكبة ويرتمى عليها . يسند رأسه إلى مسندها ويمد ساقيه في إعياء .

الممثلة تثور وتلطم الممثل على خده فيعميه الغضب ويوجه لكمة إلى رأسها فتقع إلى جانب المخرج . الناقد يسرع إلى إحلاسها ، ويهجم على الممثل . يتبادلان الضرب حتى يسقطا متابعين . يقومان مترنحين ويلوذ كل منهما بمقعد حول الكبة .

الأربعة جالسون متقاربين وفي حالة إعياء شديد تقارب الإغماء . وطيلة الوقت لزم المؤلف موقفه وهو يراقب ما يحدث ببرود)

(صمت)

(يفتح الباب فيدخل السكرتير ، يتجه نحو المؤلف دون أن يتبه إلى الآخرين)

السكرتير : مندوب مجلة إيزيس .

(يدخل مندوب المجلة . السكرتير يغادر الحجرة .

المندوب يمضي إلى المؤلف فيصافحه . يتحول إلى الجالسين ولكنه

يتوقف في ذهول . يردد بصره بينهم وبين المؤلف . يتراجع إلى

قريب من المؤلف)

المندوب : آسف على مجيئي دون موعد سابق .

المؤلف : إنها مفاجأة ولكنها سارة .

المندوب : (مشيرا إلى الجالسين) ماذا حصل لهم ؟

المؤلف : فرغوا التوهم من تدريبات الرواية الجديدة .

المندوب : حقا !.. مجرد تدريبات ؟!

المؤلف : مجرد تدريبات .

المندوب : إنها رواية عنيفة فيما أرى ؟

المؤلف : لا تخلو من عنف .

المندوب : إنى أرى آثار كدمات : وألمس إعياء واضحا على وجوههم ، كأنما

هى رواية من روايات رعاة البقر !

المؤلف : لا تخلو من حيوانات .

المندوب : حتى فنانتنا الكبيرة تطرح رأسها فى شبه إغماء ، أنه لأمر غير

معقول .

المؤلف : لا تخلو من جنون .

المندوب : إن عرض مسرحية بذاك العنف شهورا متواصلة يجب أن يعد

معجزة !

المؤلف : وهى لا تخلو من معجزات .

المندوب : (مشيرا إلى الممثلة) هل أصيبت وهى تدافع عن شرفها ؟

المؤلف : أصيبت وهى تدافع عن شرف البطل .
المندوب : ولكن المعتاد أن البطل ينود عن شرف الآخرين بالإضافة إلى شرفه
هو ؟

المؤلف : هى لا تخلو من طرافة وجدة !
المندوب : لعل المسرحية تميل إلى التشاؤم ؟
المؤلف : لا تخلو من تشاؤم .
المندوب : ولكن موقف البطلة بدعو للتفاؤل فيما أعتقد ؟
المؤلف : لا يخلو من تفاؤل .
المندوب : كيف تجمع مسرحية بين التشاؤم والتفاؤل وهما نقيضان ؟
المؤلف : لا تخلو من تناقض .
المندوب : معذرة يا عميد المؤلفين ألا يعتبر ذلك ضعفا ؟
المؤلف : لا تخلو من ضعف .
المندوب : ولم لم تبلغ بها الكمال المعهود منك ؟
المؤلف : الكمال للموت وحده .

(المندوب يضحك عاليا . ثم يعقب ذلك صمت)

المندوب : جميع المسارح تتساءل عن عرضكم القادم ، وقد بلغت المنافسة بينها
ذروة المرارة ، المؤامرات تدبر فى الظلام ، المرتزقة يستأجرون
لإحداث الشغب ، ألا يمكن أن يسود السلام بين المسارح ؟
(صمت) كثيرون من العقلاء يعتقدون عليك الآمال بوصفك
عميد المؤلفين لتقوم بخطوة حاسمة فى هذا السبيل ؟

المؤلف : لا وقت عندى إلا للعمل .
المندوب : هلا كرست لذلك يوم راحتك الأسبوعى ؟
المؤلف : يوم الراحة للراحة .

المندوب : إنهم يحلمون بأن تجمع المسارح في وحدة متعاونة يسودها السلام
الذى يسود مسرحك !!

المؤلف : لن أجد في سنى هذه من يمكنه التفاهم معى ..

(المندوب يتسم وهو يشد على ذراع المؤلف إعجابا وتقديرا)

المندوب : أعلم أنك لا تحب الحديث عن رواية جديدة قبل عرضها ولكن لدى
بعض أسئلة تقليدية يتابعها الجمهور عادة بشغف . (المؤلف يهز

رأسه بالموافقة صامتا) كم من الوقت استغرقت في كتابتها ؟

المؤلف : (حاسرا كم الجاكمة عن معصمه اليسرى) أنا لا أستعمل
الساعات .

المندوب : ثم استلهمت فكرتها العامة ؟

المؤلف : شرعت في كتابتها عقب تفكير طويل في المفص .

المندوب : (ضاحكا) هل يمكن إرجاعها إلى تجربة شخصية مرت بك في
حياتك العامرة ؟

المؤلف : ربما أمكن إرجاعها إلى علاقة قديمة قد قامت بينى وبين مطرب
أخرس .

المندوب : مطرب أخرس ؟

المؤلف : نعم .

المندوب : وكيف أمكنك معرفة تطريه ؟

المؤلف : هذا ما ستجيب عنه المسرحية ..

(المندوب يضحك عاليا . يصافح المؤلف . يذهب . المؤلف

يلقى نظرة على الجالسين . يسوى ربطة عنقه . ومندبل جيب
الصدر تأهبا للذهاب .

المثلة تنظر نحوه . تقاوم ضعفها فتحدل في جلستها)

المثلة

: انتظر . (تدلك رأسها . تقوم بصعوبة . تمضى إلى أقرب المقعدين
المتقابلين أمام المكتب لتحمد عليه) متى نجتمع لنقرأ النص
الجديد ؟ (صمت) لا تهجرنا . (صمت) لقد وعدت بألا
تهجرنا . (صمت) (مشيرة إلى الجالسين) ما وقع بيننا ليس
الأول من نوعه ولن يكون الأخير . (صمت) سوف تعود المياه
إلى مجاريها . (صمت) (مشيرة إلى الممثل) سيكون أول من
يعتذر ، إني خير من يعرفه . (صمت) (يتبادلان نظرة طويلة .
هى متطلعة فى لفة وهو لا ينم وجهه عن شيء . فيتصافحان ثم
يمضى على مهل إلى الخارج ويرد الباب وراءه . المثلة تتابعه بعينها
ثم تظل رائية إلى الباب)

المحبة



(بقعة صحراوية خالية . تقوم في وسطها هضبة صخرية .
أمام الهضبة يتمشى شاب جيئة وذهابا وهو ينظر في ساعته من آن
لآن . الوقت أصيل . الشاب أنيق بدرجة ملحوظة . والجو
يوحى بأنه ينتظر موعدا غراميا .

يترامى من الخارج وقع أقدام ثقيلة . الشاب يرهف السمع في
قلق ، وباقتراب الأقدام يتجههم وجهه ويتوقف عن المشى فيلزم
مكانه أمام الهضبة .

يدخل رجل في الخمسين ، مهمل الهندام ، ولكنه قوى البنية
يلقى على الشاب نظرة عابرة ثم يمضى إلى يسار الهضبة فيقف
متطلعا إلى الخلاء .

الشاب ينظر صوب الرجل مقطبا ولكن الآخر يبدو وكأنه لا
يشعر له بوجود . يقترب منه خطوة) .

الشاب : (مخاطبا الرجل بصوت مرتفع لا يخلو من تحد وغضب) ماذا
تريد ؟ (يظل الرجل رانيا إلى الخلاء كأنما يسمع صوتا)
(بصوت أشد ارتفاعا) إني أسألك عما تريد . (الرجل يبدو
مستغرقا في الأفق ، ويترنم مغنيا) والله زمان زمان والله .. (بحدة
حارقة) لماذا تتبعنى ؟ (الرجل يواصل ترنمه في هيمان) إتنى
أخاطبك وأنت تعلم ذلك ، لأ أحد سوانا في هذا الخلاء .

الرجل : (ملتفتا في دهشة) حضرتك تخاطبني ؟

الشاب : دون سواك .

الرجل : معذرة ، ماذا قلت ؟

الشاب : إني أسألك عما تريد منى .

الرجل : (متظاهرا بالدهشة) أنا ؟!

- الشاب : أنت ، أنت دون سواك .
- الرجل : عجيب سؤالك يا سيدى ، أنا لا أريد منك أى شىء .
- الشاب : لم إذن تتبعنى بإصرار ؟
- الرجل : أتبعك ، إني أراك لأول مرة فى حياتى !
- الشاب : (بعناد) إنك تتبعنى منذ الصباح الباكر ، ولم تكف عن تتبعى حتى هذه اللحظة من الأصيل .
- الرجل : أنت مخطىء فى ظنك فأنا لم أرك وبالتالي لم أتبعك .
- الشاب : لم أذهب إلى مكان إلا رأيتك قادما فى أثرى .
- الرجل : لا يحق لى أن أكذبك ولكنى لم أرك ولم أتبعك .
- الشاب : (بنبرة لا تخلو من تهكم) أمى مجرد مصادفة ؟
- الرجل : سمها كيفما شئت .
- (صمت . يعود الرجل إلى النظر صوب الأفق أما الشاب فلا يرح مكانه ولا يكف عن النظر إليه) .
- الشاب : هل تفضل بإخبارى عن الجهة التى تنوى الذهاب إليها بعد هذه الوقفة ؟
- الرجل : (ملتفتا نحوه فى دهشة) بأى حق تسألنى هذا السؤال الغريب !
- الشاب : معذرة ، أود التخلص من فكرة اتباعك لى .
- الرجل : أنا لا أعرفك ، لم أتبعك ، وفى هذا الكفاية .
- الشاب : ألم توجد فى ميدان القلعة صباحا ؟
- الرجل : بلى .
- الشاب : ألم تتناول فطورك فى مطعم .. فلافل .. بشارع محمد على ؟
- الرجل : بلى .
- الشاب : ألم تذهب بعد ذلك إلى مقهى الشهنس ؟

- الرجل : بلى .
الشاب : ألم تقم بزيارة قصيرة لدار الآثار ؟
الرجل : بلى .
الشاب : ألم تشهد مزادا بصالاة المعروضات بالدق ؟
الرجل : بلى .
الشاب : ألم تذهب بعد ذلك إلى عيادة الدكتور عرنوسى طبيب الأسنان ؟
الرجل : بلى .
الشاب : ألم ..
الرجل : (مقاطعا) أكنت تتبعنى يا سيدى ؟
الشاب : (ضاحكا ضحكة جافة) أنا ؟ !
الرجل : أليس من الغريب أن تعرف تحركاتى طيلة اليوم بهذه الدقة ؟ !
الشاب : ولكنك كنت ، لا مؤاخذه ، كأنك كنت تتبعنى !
الرجل : لقد شغلت نفسك بى أكثر مما يتصور .
الشاب : فى كل مكان رأيتك قادما فى أثرى ، حتى فى هذه المنطقة النائية الخالية !
الرجل : عجيب أنتى لم أرك ولا مرة واحدة .
الشاب : الحق أن عينينا التقتا أكثر من مرة .
الرجل : لا يرهى الإنسان جميع ما تقع عليه عيناه من أشياء .
الشاب : إذن فأنت لا تتبعنى ؟
الرجل : ولم أتبعك ؟
الشاب : لعلك تعذرنى .
الرجل : لك العذر .
الشاب : مصادفة عجيبة .

الرجل : هى بالقياس إلى لا شيء . (الشاب يضحك ضحكة عصبية ثم يسود الصمت . وعندما يهم الشاب بالابتعاد يتكلم الرجل)
آسف جدا لأننى أزعجتك بغير قصد .

الشاب : أن تصدق أن شخصا ما يتبعك أمر مزعج حقا .

الرجل : ليس فى جميع الأحوال .

الشاب : أعنى إذا كنت تجهله وتجهل مقصده بالتالى .

الرجل : ولكنك شاب مهذب برىء الساحة .

الشاب : لا يكفى هذا لإسكات وساوسك ما دمت تجهله وتجهل مقصده .

الرجل : (باسما) أيهما أبعث على الخوف .. المجهول أم المعروف ؟

الشاب : الأمر يتوقف على السبب وعلاقته بنا .

الرجل : الحق أننا نخاف أكثر مما ينبغى . (الشاب يصمت متجهما) أكرر
الأسف .

الشاب : (بعصبية) الحق أنك أفسدت علىّ يومى كله .

الرجل : عجيب أن ترتكب جريمة ونحن لا ندرى .

الشاب : وجبت إلى هذه البقعة الخالية النائية لأكتشفك وأخرجك !

الرجل : لعل مجيئى يقطع ببراءتى .

الشاب : ترى ما الذى دعاك إلى المجئى إلى هنا ؟

الرجل : إنها أحد الأماكن المختارة التى أشهد فيها الغروب .

الشاب : أنتحب الغروب ؟

الرجل : إنه أحب ساعات اليوم إلى نفسى .

الشاب : ألم يزعجك أن تجلنى هنا ؟

الرجل : أنا أحب الناس .

الشاب : (بعد تردد واضح) هلا أخبرتنى عن خطواتك التالية ؟

(تحت المظلة)

الرجل : أما زلت على ريب منى ؟

الشاب : كلا ، ولكنى أود أن أمتحن دهاء المصادفة .

الرجل : الواقع أنى سرت طيلة اليوم على غير هدى وبلا خطة موضوعة ، إنه يوم عطلتى .

الشاب : لا بد من فكرة تقودك فى يوم عطلتك .

الرجل : من طول خضوعى للتخطيط على مدى الأسبوع فأنى أتحرر يوم العطلة من أى قيد .

الشاب : أما أنا فسأبقى هنا بعض الوقت ثم أذهب إلى حانة « الأحمر والأبيض » .

الرجل : (بحماس مفاجئ) حانة النبيذ الفاخر والسلطة الخضراء !.. ما أجملها !

الشاب : هل تقرر الذهاب إليها ؟

الرجل : أعترف بأنك ذكرتنى بمكان أحب الجلوس فيه !

الشاب : وبعد ذلك سأمضى إلى بيتى !

الرجل : من يدرى ، ربما توثقت العلاقة بيننا فى « الأحمر والأبيض » فتمضى إلى البيت معا .

(يضحكان معا ، ثم يسود الصمت . يلتفت الشاب إلى الناحية

الأخرى فيعود الرجل إلى التطلع صوب الأفق . الشاب يتمشى

غير خال من القلق . يجلس إلى ظهر الرجل النظرات ، ينظر فى

ساعته ، يتضاعف قلقه . تدخل فتاة جميلة متأقفة . ما إن ترى

الشاب حتى تهرع نحوه متلهلة ولكنها تنبه إلى وجود رجل غريب

فتمالك مشاعرها وتلوح فى وجهها خيبة . الشاب يمضى بها إلى

يمين المضبة . يتبادلان قبلة)

الشاب : لسنا وحدنا .

الفتاة : ماذا يفعل ؟

الشاب : ينتظر الغروب !

الفتاة : الغروب ؟!

الشاب : (متهمكا) أحب ساعات اليوم إليه .

الفتاة : هل تعرفه ؟

الشاب : كلا .

الفتاة : هل حادثته ؟

الشاب : نعم .

الفتاة : لم ؟

الشاب : الواقع أنه لم يفارقني منذ الصباح الباكر .

الفتاة : (بدهشة) كيف ؟

الشاب : ظننته يتبعنى .

الفتاة : ما دام لم يفاركك طوال اليوم .

الشاب : ولكنه أكد لى أنه لم يرى .

الفتاة : وهل صدقته ؟

الشاب : لم أكذبه .

الفتاة : ألا ترى أنه يحسن بنا أن نذهب ؟

الشاب : إنى ضنين باللقاء .

الفتاة : ولكن قلبى غير مطمئن .

الشاب : لعله ينتظر صديقة .

الفتاة : ليتها تجيء لتحل المشكلة من أساسها . (يتبادلان قبلة طويلة)

(مشيرة إلى الناحية الأخرى من الحديقة) لم يفاركك طوال اليوم ؟

الشاب : بلى .

الفتاة : لنذهب .

الشاب : لماذا يتبعنى ؟

الفتاة : (بقلق واضح) ترى هل يتعلق الأمرى ؟

الشاب : هل سبق لك أن رأيته ؟

الفتاة : لا لم ألمح إلا ظهره ، وبسرعة عابرة ، لم يذكرنى بأحد أعرفه .

الشاب : لا داعى لكثرة الظنون .

الفتاة : أرى أنه يحسن بنا أن نذهب ..

الشاب : لنتنظر فإنى ضنين باللقاء .

الفتاة : أعترف بأننى بت أكرهه بقدر ما أخافه .

الشاب : كيف تخافينه وأنت لم ترى إلا ظهره !

الفتاة : إنه ذو قصة مريبة تدعو للانزعاج .

الشاب : بوسعنا أن ننساه تماما ونعش بنواياه .

الفتاة : نواياه ؟!

الشاب : أعنى إن كان ثمة نوايا يضممرها حقا .

الفتاة : ولكن كيف ؟

الشاب : (وهو يجذبها نحو صدره) هكذا .

(يتعانقان وهما يتبادلان قبلة طويلة : يواصلان العناق والقبل كأثما

قد نسيا الآخر تماما . فى أثناء ذلك يجلس الآخر على الأرض كأثما

أتبعته الوقفة ، يمد ساقيه ويسند رأسه إلى حافة الحضبة . صوت

غراب ينعق . الشاب والفتاة يفيقان من سكرة الحب . يتبادلان

النظر فى دهشة)

الفتاة : كم مضى من الوقت ؟

- الشاب : لا أدري ، ولن أنظر في الساعة فما أحب أن أكدر صفونا بالزمن .
- الفتاة : (مشيرة إلى الناحية الأخرى) ترى هل ذهب ؟
- الشاب : سببان عندي أن يذهب أو أن يبقى . لا يند عنه صوت . لعله مات .
- (صمت يتخلله تبادل قبل) من الحماسة أن أخافه .
- الفتاة : ولكنك تجهله .
- الشاب : هو على أى حال كهل وبوسعى أن أصرعه بلكمة واحدة .
- الفتاة : ولكنى وجدتك قلقا لدى حضوري .
- الشاب : لم أكن أفقت من فكرة مطاردته لى .
- الفتاة : لعله .. (وقبل أن تم كلامها يترامى إليهما شخص منتظم من ناحية الرجل . يتبادلان نظرة ذاهلة) نام ؟
- الشاب : لعله شخص رجل آخر .
- (الشاب يمضى فى حذر شديد نحو الرجل . تتبعه الفتاة . يلتقيان عليه نظرة داهشة . الرجل يستيقظ لدى وقوع نظرهما عليه كأنما رمى بطوبة . ينهض بسرعة ويحدق فيهما بانزعاج وتحد معا)
- الرجل : (متجهما) من أنتم ؟ .. ماذا تبغيان ؟
- الشاب : لا مؤاخذه لم نقصد إزعاجك .
- الرجل : (مستعيدا تذكروه وهدوءه) آه .. أنت .. (صمت وارتباك والرجل يردد بصره بينهما) (باسمها) وقعت أحداث جديدة فى أثناء غفوتى !
- الشاب : أى أحداث ؟
- الرجل : (ناظرا إلى الفتاة) كنت وحدك فيما أذكر !
- الشاب : ثم لحقت لى خطيبتى !
- الرجل : (مبديا دهشة سمجة) خطيبتك !

الشاب : (بمحبة) نعم خطيبتى !

الرجل : (بقحة) وكيف تجيىء بخطيبتك إلى هذه البقعة النائية المهجورة ؟

الشاب : (غاضبا) بأى حق تحاسبنى على ما أفعل ؟

الرجل : (متراجعا) معذرة . لم أسترده تفكيرى السليم بعد .. (يهيم الفتى

والفتاة بالذهاب ولكن الرجل يسارع باعتراض سييلهما) متى

نذهب إلى حانة « الأحمر والأبيض » ؟

الشاب : نذهب ؟

الرجل : ألم نتفق على ذلك ؟

الشاب : كلا .. قلت لك إني ذاهب لا إننا ذاهبان ، وقد عدلت عن قرارى .

الرجل : يا للخسارة !

الشاب : اذهب أنت إذا شئت ..

الرجل : لعلك ضحككت على حين كنت تنتظر خطيبتك ؟

الشاب : لا داعى للأخذ والرد .

الرجل : إذن فلم تقصد هذا المكان لتخرجنى كما قلت ؟

الشاب : لئن حديثا لا جدوى منه .

الرجل : ولكننا وصلنا فى الحديث إلى حافة الصداقة .

الشاب : لندع ذلك إلى فرصة أخرى .

الرجل : (راجعا إلى مكانه الأول) أتمنى لكما وقتا طيبا .

(الرجل يعود إلى موقفه الأول ليرنو من جديد إلى الأفق . يعود

الشاب بالفتاة إلى موقفهما إلى يمين المضبة) .

الشاب : بما قد عدنا إلى الجنة .

الفتاة : ليتنا لم نغادرها .

الشاب : لعنة الله على الفضول .

الفتاة : دعنى أذهب ..

(يضمها إلى صدره ويقبلها فستسلم دون استجابة)

الشاب : ابتسمى .

الفتاة : يا له من رجل كريه .

الشاب : لنلق به فى النسيان .

(يتعانقان حتى يفيا عن الوجود . فى أثناء ذلك يتسلل الرجل من

موقفه حتى يقف قبالتها ويبدو سعيدا بمشاهدتهما . يتبهان إليه .

ينفصلان فى ارتباك وانزعاج . الشاب يرميه بنظرة غاضبة)

الرجل : ما أجمل هذا .

الشاب : وقاحة .

الرجل : استمرا فى لعبكما الظريف .

الشاب : (محمدا) ماذا جاء بك ؟

الرجل : بالله لا تغضب .

الشاب : وقع .

الرجل : إنك لا تقدر وقع كلمة قاسية على رجل يحب الناس .

الشاب : ماذا جاء بك ؟

الرجل : أحب أن أرى الأشياء الظرفية .

الشاب : احذر أن تدفع ثمن قحتك .

الرجل : لقد تسلمنا لتلقيا على نظرة وأنا نائم وها أنا أرد التحية .

الفتاة : (وهى تهم بالذهاب فيمسك الشاب بها) إني ذاهبة .

الرجل : (للفتاة) لا تذهبي ، لم أقصد إزعاجك .

الشاب : هذا سلوكك غير لائق .

الرجل : بل هو طييعى وجميل .

- الشاب : اذهب .
- الرجل : ألا ترى أنى أعرض مودقى بغير حساب ؟
- الشاب : اذهب وإلا ..
- الرجل : يجدر بك ألا تهددنى .
- الشاب : سأفعل أكثر من التهديد .
- الرجل : كلا ، لا تدفعنا إلى عواقب غير محمودة .
- الشاب : لك .
- الرجل : ولك أيضا .
- الشاب : لا تحملنى على تأديبك وأنت فى سن أب .
- الرجل : لا تغتر بفوارق السن .
- الفتاة : دعنى أذهب .
- الرجل : (للفتاة) محال أن تكدرى صفوك بسببى .
- الفتاة : إذن فابتعد عنا .
- الرجل : إنها فرصة نادرة لمشاهدة الحب .
- الشاب : أنت مجنون ؟
- الرجل : أنا رجل يحب مشاهدة الطرائف ، جرب ذلك بنفسك إذا شئت .
- الشاب : ماذا تعنى ؟
- الرجل : (حائيا رأسه بأدب) دعنى أحل محلك وتفضل بمشاهدتنا أنت لتحكم بنفسك .
- (الفتاة تلطمه . الرجل يطلق اللطمه باسما)
- (صمت)
- الفتاة : (هامسة للشاب) دعنى أذهب .
- الشاب : (بعداد وكبرياء) كلا .



الفتاة : بل يجب أن أذهب في الحال .

الشاب : (بإصرار) لن تذهبي ..

(الرجل يتعد خطوات ، يتحسس خده مكان اللطمة وهو ما يزال يتسم)

الرجل : (مخاطبا الخلاء) بنوايا طيبة أسير ، ولكنني أتلقى اللطمات ، وكلمات أقسى من اللطمات ، لماذا ؟ ، لماذا يصر الناس على الوهم والحماسة ؟ ، لم لا يقفون على أرض الواقع ؟ ، كيف لا يفرقون بين العدو والصديق ؟

الفتاة : (للشاب) لا تكن عنيدا .

الشاب : لن تذهبي ..

الفتاة : لا فائدة ..

الشاب : ولكنك لن تذهبي .

الرجل : (مستمرا في مخاطبة الخلاء) المتعلم والأُمى في الجهالة سواء ، لم يسيئون الظن بي ؟ ، ماذا عليهم لو استمروا في لهُوم أمام وجودي البريء ؟ ، أحب مشاهدة الأفراح ، ولا عدو لي إلا الحماسة والأنانية ..

الفتاة : (للشاب) إنه مجنون .

الشاب : ليكن .

الفتاة : إني خائفة .

الشاب : لست عاجزا عن حمايتك .

الرجل : (مخاطبا الخلاء أيضا) يخلقون المتاعب من لا شيء ثم يلقون بها في وجهي ، أهم على وجهي باحثا عن أشياء ثمينة فلا ألقى إلا الصد ، الخلاء يشهد بأنني فو شأن ولكن اللعنة على الحماسة ..

الفتاة : إنه مجنون ، لن أبقى دقيقة أخرى . (الفتاة تمضى نحو الخارج .
الشاب يلحق بها فيمسك يدها) لا بد من ذهأى .

الشاب : ولكن ..

الفتاة : لا تكرهنى على البقاء .

الشاب : إذن فلأوصلك .

الفتاة : (مانعة إياه يدها) ابقى هنا حتى لا يتبعنا .

(يتصافحان . تغادر المكان . الشاب يتبعها عينيه الرجل يقترب
منه ولكنه يتجاهله)

الرجل : أقدم لك اعتذارى بقلب ملؤه الأسف . (الشاب يصصر على تجاهله)
أى نحس يفسد على مطالبى البريئة ؟ (الشاب يمشى والرجل يتبعه
كظله) أكرر الأسف من كل قلبى .

الشاب : (متوقفا عن المشى فى مواجهته) ألا تخجل من نفسك ؟

الرجل : انظر إلى جزاء من يسعى إلى حب الناس !

الشاب : أتسخر منى ؟

الرجل : صدقنى فيما أقول ، بيد أنى رجل سيء الحظ .

الشاب : لقد ضيعت على ثمرة يومى المهرق الطويل بلا حياء .

الرجل : أنا ؟

الشاب : دون غيرك .

الرجل : كلما سمعت إلى إنسان بقلب مفتوح رميت بهذه التهمة .

الشاب : يخيل إلى أنك ذو تاريخ قديم فى النحس .

الرجل : لا ذنب لى على الإطلاق . (الشاب يغادره إلى يسار الهضبة فيتبعه

على الأثر)

الرجل : أود أن تؤمن ببرأئى .

- الشاب : أمن الضروري أن تلاحقنى لتحديثى عن غسك ؟
- الرجل : فرصة طيبة للحدث والتعارف . (الشاب يقطب ثم يسود صمت) افتح لى صدرك .
- الشاب : أكنت تبغنى منذ الصباح كما ظنتت ؟
- الرجل : (بالها) بصراحة نعم .
- الشاب : إذن كذبت على ؟
- الرجل : بسبب نحسى الزمن أصبح الكذب وسيلتى المفضلة للدفاع عن النفس . .
- الشاب : أكنت تعرفنى ؟
- الرجل : كلا .
- الشاب : لم تبغنى ؟
- الرجل : إنى أقيم على وجهى من مطلع الصبح فأتابع أول من يصادفنى .
- الشاب : أيا كان ؟
- الرجل : أيا كان .
- الشاب : كل يوم ؟
- الرجل : كل يوم .
- الشاب : أليس لك عمل فى الحياة ؟
- الرجل : ليس لى عمل .
- الشاب : ثرى ؟
- الرجل : موفور الإيراد . .
- الشاب : ما قصدك من مطاردي ؟
- الرجل : أتصيد لحظة للتعارف .
- الشاب : أليس لك أصدقاء ؟

(صمت)

- الرجل : وآمل من وراء التعارف أن أحطم أسطورة النحس !
الشاب : (ضاحكا ضحكة مكفهرة) الآن وقفت على سر الحظ العاثر الذى
لازمنى طيلة يومى .
الرجل : لا تكن كالآخرين .
الشاب : فى ميدان القلعة زلت قدمى فوقعت على ركبتى .
الرجل : (باسما) كنت تنظر إلى امرأة فى نافذة !
الشاب : وفى المطعم شرقت حتى قذفت بما فى معدتى .
الرجل : كنت تأكل بسرعة كأنك فى سباق !
الشاب : وفى مقهى الشمس خسرت نقودى .
الرجل : كنت تبلف باستمرار حتى كشف ورقك .
الشاب : وفى دار الآثار وقعت على ركبتى المصابة للمرة الثانية .
الرجل : كنت شارد اللب وتحادث نفسك .
الشاب : وأخيرا أفسدت على أجهل ثمرة فى يومى .
الرجل : ألم توقظنى من النوم بنفسك ؟
(الشاب يعاود ضحكته المكفهرة ثم يسود الصمت)
الشاب : أليس لك أصدقاء ؟
الرجل : (متنهدا) كلا .
الشاب : ألسنت رب أسرة ؟
الرجل : جربت حظى مرات ولكنى لم أوفق !
الشاب : (يضحك رغما عنه) لا مؤاخذه .
الرجل : العفو .
الشاب : أظن أن لى أن أذهب .

- الرجل : (يتوسل) كلا .
الشاب : ليس ثمة ما يدعوني إلى البقاء .
الرجل : فلنشهد الغروب معا .
الشاب : لا أحب الغروب .
الرجل : ثم نذهب إلى حانة « الأحمر والأبيض » .
الشاب : لن أذهب .
الرجل : إذا كنت مفلسا فلا يهيك .
الشاب : لن أذهب .
الرجل : تكره مرافقتي ؟
الشاب : نعم .
الرجل : لا تجعل للخرافة سيطرة عليك .
الشاب : (محثدا) إنك وراء ما فقدت من صحة ومال وحب !
الرجل : أقلع عن الخرافات .
الشاب : أقلع أنت عن نحسك .
الرجل : أتوسل إليك أن تبقى ولو حتى ساعدة الغروب فحسب .
الشاب : وداعا .

(الشاب يمضى صوب الخارج بعزم وصرامة . الآخر ينظر إليه
بأسف . عند منتصف المسافة يتوقف الشاب فجأة ويعلو صوته
بالتأوه ثم ينحن قابضا يديه على ركبته . الرجل يلحق به متسائلا)

- الرجل : مالك ؟
الشاب : ركبتى !
الرجل : مد ساقك ، دلکها .
الشاب : نار .. نار موقدة ..

(يشب راجعا على قدمه الأخرى حتى يجلس في أسفل الحضبة . يعد
ساقه السليمة ويشي الأخرى ثم يتأوه من الأعماق) .

- الرجل : ماذا حدث ؟ .. كنت في غاية الصحة ..
الشباب : الحق أنها لم تعد إلى حالتها الطبيعية أبدا ..
الرجل : لكنك لم تشك طيلة الوقت .
الشباب : كان يعاودنى ألم خفيف فظنته عابراً .
الرجل : حالة طارئة لا تلبث أن تزول .
الشباب : لعل وعسى .
الرجل : من المفيد أن تدلكها .
الشباب : لا أستطيع لمسها ..
الرجل : حال بسيطة فيما أعتقد .
الشباب : (متأوها) قلبى يحدثنى بأن الأمر أخطر مما تتصور .
الرجل : لا تعتمد كثيرا على حديث قلبك .
الشباب : صدقتى فإن الحال خطيرة حقا .
الرجل : أرجو أن تكون وهما ..
الشباب : أريد إسعافا عاجلا ..
الرجل : سأذهب لاستدعاء الإسعاف .
الشباب : وتعود بسرعة من فضلك !
الرجل : لا أظن فإن أقرب تليفون يقع على مسيرة غير قصيرة .
الشباب : (بقلق) لا تتركنى وحدى طويلا .
الرجل : ماذا تخاف ؟
الشباب : المساء قريب ، وهذه بقعة غير مأمونة لإنسان عاجز .
الرجل : وما الحل ؟

- الشاب : هل يمكن أن أسير معتمدا عليك ؟
الرجل : سأضطر إلى حملك وهو ما أعجز عنه ، جرب أن تسير على مهل .
الشاب : الحال أخطر مما تتصور .
الرجل : لا بد من حل وبخاصة أنني لن أبقى بعد الغروب !
الشاب : ولكنك لن تتركنى وحدى !
الجل : أخشى أن أضطر إلى ذلك إذا لم تسعبنى بحل .

(صمت وتأوه)

- الشاب : ولكنك لن تفعل ذلك .
الرجل : لا يمكن أن أبقى هنا إلى ما شاء الله ولكنى سأتلفن للإسعاف فى طريق العودة . (الشاب يرمقه بنظرة صامتة متألمة) سأفعل من أجلك ما لا تتظنه من رجل لا تعرفه ولا يعرفك .
الشاب : (بحياء) حدثنى عن رغبتك فى الصداقة وأمامك فرصة لربطنا برباط المودة إلى الأبد .

- الرجل : (بشيء من الجفاء) ولكنك رفضت يدى !
الشاب : أغفر لى غضبى الأحمق !
الرجل : الحق أنك كرهتنى طوال الوقت .
الشاب : الإنسان عدو ما يجمله ولكنى سأعرفك من خلال سلوكك النبيل .

- الرجل : (بنبرة لم يعد بها أثر من الرقة القديمة) لا أقبل اصطیاد صداقة تحت وطأة ظروف قاهرة .

- الشاب : (بهزاع) ولكنك إنسان كبير القلب :
الرجل : أول كلمة طيبة أسمعها منك .

(صمت)

- الشاب : ماذا تنوى أن تفعل ؟
- الرجل : سأشاهد المغيب ثم أذهب .
- الشاب : وتركنى عاجزا للخلاء والليل ؟
- الرجل : لا حيلة لى فى ذلك .
- الشاب : سيكون سلوكك غير إنسانى .
- الرجل : لم ألق من السير وراء الناس إلا الصد والاثام واللعة ! (الشاب يتأوه) أنا الذى خلقت النحاس حقا ؟ (الشاب يتأوه) كيف تعاملون الترى ؟ .. إنه يوارى جثثكم فى التراب ، يصون كرامتكم ، يعرض نفسه لألوان شتى من المخاطر ، ويستحق فى أحاديثكم التقليدية اللجنة بغير حساب ، ولكنه لا يسعد فى حياته بصديق واحد ، ويمضى وحيدا كالوباء ..
- الشاب : الوقت يمر والحال تزداد سوءا .
- الرجل : كم صددتنى ، كم أهنتنى ، ولم تصدق أننى إنسان إلا بعد إصابتك وقبيل الغروب .
- الشاب : يا لسوء حظى !
- الرجل : ها أنت تعود إلى اتهامى .
- الشاب : لم أقصد هذا ألبتة .
- الرجل : ألسنت النحاس الذى سلبك المال والحب والصحة ؟
- الشاب : سيدى !
- الرجل : أين فتاتك ؟
- الشاب : لا سبيل إليها الآن .
- الرجل : أليست هى أولى بتمريضك منى ؟
- الشاب : إنها لا تعلم بما حل لى .

- الرجل : زهدت لوجودى فى وصالك نفسه .
- الشاب : (متأوها) أريد إسعافا .
- الرجل : سأتلفن للإسعاف فى طريق العودة .
- الشاب : لا تتركنى .
- الرجل : (متأففا) إنك مزعج فى مرضك كما كنت مزعجا فى صحتك .
- الشاب : ألا ترى كم أنهكنى المرض ؟
- الرجل : ألا ترى كم أنهكنى السير ؟
- (صمت)
- الشاب : أليس لك خبرة بالإسعافات الأولية ؟
- الرجل : لا خبرة لى بشىء .
- الشاب : ولكنك فى سن الحكمة والخبرة .
- الرجل : أعرف كيف أسير على غير هدى ، وأعرف كيف أسير فى أعقاب إنسان أحمق ، وأعرف كيف آمل دواما فى علاقة لا تتحقق أبدا .
- الشاب : (بضراعة متأوهة) لا تذهب .
- الرجل : سأذهب عندما يجب الذهاب .
- الشاب : لا تذهب .
- الرجل : اعتدت أن يقال لى اذهب عندما أرغب فى البقاء وأن يقال لى لا تذهب عندما يجب الذهاب .
- (الشاب بتأوه . جو المغيب يهبط فيغطى الحلاء . الرجل يمضى إلى يسار الهضبة ليتطلع إلى الشمس الغاربة)
- الشاب : لا تبعد عن إنسان يتألم لتشاهد شمسا تغرب .
- الرجل : صه ، لا تكدر صفو الساعة ، الساعة الفريدة ، الوحيدة التى تلمس فيها حركة الشمس ، الوحيدة التى تنظر فيها إلى الشمس

دون أن تصاب بالعمى ، الوحيدة التى يرى فيها الظلام وهو يزحف ، الوحيدة التى أسمع فيها التوسلات بدلا من اللعنات ، ها هى الشمس تختفى تماما ..

(الرجل يتحول عن موقفه متجها نحو الشاب ويرنو إليه دقيقة) .

الرجل : الوداع .

(ثم يسير على مهل نحو الخارج)

الشاب :

لا تذهب . (يواصل السير غير ملتفت إليه) أستحلفك بالله .

(يواصل سيره) انتظر .. انتظر .. (الرجل يختفى) عليك

اللعة . (الشاب ينظر فيما حوله بخوف . الظلام يهبط رويدا

رويدا حتى يختفى كل شيء ..) (تمر فترة قصيرة على تلك

الحال) (ثم تترامى أضواء من وراء الهضبة . ويسمع وقع أقدام

قادمة . من يمين الهضبة ومن يسارها يجيء رجلان حاملين

مشعلين ، يرتدى كل منهما سروالا وصدارا أحمرين . يقفان على

مبعدة من الشاب إلى اليمين وإلى اليسار ويلازمان الصمت طوال

الوقت . يبدو الشاب على ضوء المشعلين مستغرقا فى النوم . ثم

يتبعهما رجلان فى أردية سوداء يحمل كل منهما سوطا وحبالا

معقودا . يقفان عن يمين الشاب ويساره وهما يحملقان فى وجهه .

يوثقان يديه وقدميه بإحكام ثم يعودان إلى وقتكما ممعنين فيه

النظر . الشاب يفتح عينيه . ينظر إلى الأمام فى ذهول . يهيم

بالحركة فيدرك أنه مكبل بالحبال . ثم يتبه إلى وجود الرجال

الأربعة . يردد عينيه بينهم فى دهشة ووجل (من أنتم ؟ .. وماذا

تريدون ؟

- الرجل ١ : (للرجل رقم ٢ في تمكهم) إنه لا يعرفنا !
- الرجل ٢ : (في تمكهم أيضا) طبعاً .. إنه يرانا لأول مرة .
- الرجل ١ : (للشاب) أليس كذلك أيها المخادع المارق !
- الرجل ٢ : أنت لا تعرفنا ، هه ؟
- الشاب : آسف ، لم أكن أقمت من النوم بعد .
- (يركلانه بقدميهما فيصرخ)
- الشاب : الرحمة ..
- الرجل ١ : (ضاحكا) ابن الأبالسة يطلب الرحمة !
- الشاب : لا تحكموا على بالظواهر ، أنا برىء ..
- الرجل ٢ : نفس الكلمات ، لا جديد ، نفس الأكاذيب العفنة !
- الشاب : كنت دائما حسن النية ولكن الزمن عنيد .
- الرجل ١ : الزمن ، الزمن ، ذلك المتهم الوهمي .
- الشاب : الرحمة .
- الرجل ٢ : الرحمة ؟!
- الشاب : العدل .
- الرجل ١ : لا يدري ماذا يطلب .
- الشاب : الرحمة والعدل .
- الرجل ٢ : قلت الرحمة ثم العدل فماذا تطلب الرحمة أم العدل ؟
- الشاب : الرحمة والعدل .
- الرجل ١ : لا تكن طماعا .
- الرجل ٢ : نحن لا نعطي عادة إلا الموت .
- الرجل ١ : والرحمة والعدل لا يجتمعان .
- الشاب : ولم لا يجتمعان ؟

(يركلاته مرة ثانية فيصرخ)

الرجل ١ : هذا التأديب عدل لأنك تستحقه فكيف يمكن أن تعامل بالرحمة في الوقت نفسه ؟

الرجل ٢ : حدد أفكارك عما تريد ، العدل أم الرحمة ؟

الرجل ١ : (بمحذة) العدل أم الرحمة ؟

الشاب : الرحمة ، لعل الرحمة هي ما أريد ..

الرجل ١ : ألسنت على يقين مما تريد ؟

الشاب : لست على يقين من شيء ، لقد أنهكتني التعب .

الرجل ٢ : ألم تبدد الوقت بغير حساب ؟

الشاب : يلزمني شيء من الراحة لأحسن الإجابة ، فكوا قيودي لأحظى ببعض الحرية .

الرجل ١ : (ضاحكا) ها هو ينادى بالحرية كمطلب جديد !

الرجل ٢ : الحرية بعد العدل والرحمة !

الشاب : أليست جميعها أخوات لا يفرقن ؟

الرجل ١ : ابن الأبالسة عقد بينها أواصر القرى ليطالب بالدنيا والآخرة !

الرجل ٢ : استمر في الطلب إلى غير نهاية ، وبلا حياء ، ماذا تريد أيضا ؟

ثورة ؟ ، صحة ؟ ، جاه ؟ ، ما رأيك في الحب ؟ ، الذرية ؟ ، طاقة

الاختفاء ؟ ، جناحين للطيران ؟ ، هرمونات لتجديد الشباب ؟ ،

مهضمات وملينات ومسهلات ؟ ، فاتحات شهية ؟ ، جواز سفر

إلى جميع البلدان ؟ ، ماذا تريد أيضا ؟

الشاب : بعض الرفق ، نحن إخوة !

الرجل ١ : إخوة ! ، من ناحية الأب أم من ناحية الأم ؟

الشاب : أعني أننا جميعا بشر .

الرجل ١ : تريد أن تستغلنا باسم البشرية ، هه ؟ ، ولأنك تتكون من نفس العناصر التي يتكون منها الكون فسوف تحاول استغلال الكون كله ، ماذا تريد أيضا ؟

الشاب : إني متألم فكوا قيودى

الرجل ٢ : تريد الحرية ؟

الرجل ١ : إن كنت تريد الحرية فأختر بنفسك الوسيلة التي نقتلك بها .

الشاب : لا تسخروا منى ، لا تعارض يا سادة بين الحرية والعدل والرحمة !

الرجل ١ : كذبت ، كل واحدة منها تستورد من بلد غير البلد التي تستورد منه الأخرى .

الرجل ٢ : ويؤدى ثمنها الباهظ بالعملة الصعبة .

الشاب : إني متألم لحد العجز .

الرجل ١ : الحرية أم العدل أم الرحمة ؟

الرجل ٢ : نريد جوابا صريحا غير متردد .

الرجل ١ : جواب صريح لا رجعة فيه .

الرجل ٢ : إن أردت الرحمة قتلناك بلا تحقيق ، وإن أردت العدل قتلناك بعد

تحقيق ، وإن أردت الحرية فاقتل نفسك بالوسيلة التي تفضلها !

الرجل ١ : ماذا تريد ؟ ، تكلم بوضوح وصراحة ، العدل أم هرمونات تجديد

الشباب ؟ ، الرحمة أم جواز سفر إلى جميع البلدان ؟ ، الحرية أم

أملاح الفواكه الفوارة ؟ ، ما طريقة القتل المفضلة لديك ؟ ، ألك

وصية بما يتعلق بجثتك ؟ .. أترغب في دفنها ؟ ، في حرقها ؟ ، في

تركها في الخلاء ؟ ، في شحنها إلى بلد معين ؟

الرجل ٢ : ماذا تريدنا على أن نفعل بالذرات التى يتكون منها جسدك ؟ ، أن نتركها للديدان ؟ ، أن نهبط للجمعية الطبية ؟ أن نصنع منها قنابل مدمرة ؟

الشاب : لا سبيل إلى التفاهم فيما بيننا .

(يركلانه فيصرخ)

الرجل ١ : لقد بددت وقتنا سدى ، ألهذا أرسلناك ؟

الشاب : أرسلتمونى ١٩ ، متى كان ذلك ؟ ، لم يرسلنى أحد !

الرجل ٢ : يالك من كذاب مخادع ! .

(يركلانه فيصرخ)

الرجل ١ : أحقا لم يرسلك أحد ؟

الشاب : معذرة ، ضعفت ذاكرتى من المرض والإنهاك ، معذرة .

الرجل ٢ : أم تريد أن تتنصل من المهمة التى كلفت بها ؟

الشاب : المهمة ١٩

الرجل ٢ : المهمة التى كلفت بها !

الشاب : أى مهمة ؟

الرجل ٢ : يالك من كذاب مخادع !

(يضربه بالسوط .. الشاب يصرخ)

الرجل ١ : وإلا فلماذا أرسلناك ؟

الشاب : أنتم صادقون وأنا معذور ، الزحام هناك شديد ، والأصوات

مزعجة ، وعمل اليومى استغرق جل وقتى .

الرجل ١ : وما عملك اليومى ؟

الشاب : مدرس تاريخ .

الرجل ٢ : حدثنا عن دروسك ، ماذا فعل الإنسان القديم ؟

الشاب : اكتشف الزراعة ، صنع التقويم ، بنى الأهرام ، هزم وانهمزم ..

الرجل ١ : ألم يذكرك شيء من ذلك بمهمتك ؟

الشاب : كنت مستغرقا طوال الوقت .

الرجل ١ : ألم تحظر بذاكرتك ولو كالهمس ؟

(الشاب يصمت . الرجل ١ يضربه بالسوط فيصرخ متوجعا)

الرجل ٢ : اعترف ..

الشاب : اللعنة على ذاكرة لا تسعف صاحبها بما يجب أن يتذكره .

الرجل ١ : كذاب .

الرجل ٢ : اعترف بأنك تجنب ذكر ما يجبر عليك المتاعب .

الرجل ١ : مخادع جبان .

الشاب : جربوني مرة أخرى !

الرجل ١ : لتعبث بنا مرة أخرى .

الشاب : أعطوني رسالة مكتوبة كيلا أنسى .

الرجل ٢ : وكيف نخط بالظروف المتقلبة التي تواجهك ؟

الشاب : الزحام هناك شديد وهو خليق بأن يشتت الذاكرة .

(الرجل ٢ يضربه بالسوط . الشاب يصرخ)

الرجل ١ : ماذا فعلت بيومك الطويل ؟ ، لم قصدت ميدان القلعة ؟

الشاب : كنت أسير على غير هدى .

الرجل ١ : تسير على غير هدى وأنت لم ترسل إلى هناك إلا المهمة ؟

- الشاب : كان اليوم عطلة .
- الرجل ٢ : ألم تقل لك القلعة شيئا يذكر بمهمتك ؟
- الشاب : زلت قدمي فوقعت على ركبتى .
- (الرجل ٢ يضربه بالسوط فيصرخ الشاب)
- الرجل ٢ : ألم يوح المطعم لك بشيء ؟ ، ولا المقهى ؟ ، ولا دار الآثار ؟ ، ولا صالة المزاد ؟ ، ولا عيادة الطبيب ؟ .
- (الشاب يصمت فى يأس)
- الرجل ٢ : وماذا جاء بك إلى الخلاء ؟
- الشاب : فتاة .
- الرجل ٢ : ولم اخترت للقاء مكانا هو أصلح لدفن الموتى ؟ (صمت) لم يذكرك اللقاء بشيء عن مهمتك ؟
- الشاب : ثمة رجل كرهه كان يتبعنى طول الوقت فشئت فكرى .
- الرجل ١ : حتى ذلك الرجل لم يذكرك بشيء !
- الشاب : هو النحس نفسه ، وقد أفسد كل شيء .
- (الرجل ١ يضربه بالسوط فيصرخ الشاب)
- الرجل ١ : ضيعت وقتك ووقتنا يا جبان .
- الرجل ٢ : وكانت الفرص تناديك من كل جانب يا أعمى .
- الرجل ١ : ولم نبخل عليك بالتحذير تلو التحذير .
- الشاب : ما تلقيت تحذيرا قط .
- الرجل ١ : كذاب غيبى أعمى .
- الشاب : الرحمة !
- الرجل ٢ : الرحمة أم العدل أم الحرية ؟
- الرجل ١ : أم فاتحات الشهية أم هرمونات الشباب ؟

(يضربانه معا بالسوط وهو يصرخ متوجعا)

(الرجل ١ يشير إشارة خاصة إلى الرجلين حامل المشعلين .
الرجل ١ والرجل ٢ يذهبان إلى مكانهما الأول وراء
المضبة)

حامل المشعل : (مخاطبا الشاب) لم تحن أسراب الطيور المهاجرة إلى أعشاشها
التي تركتها في الجبل ؟ (يحمل الشاب بين يديه ثم يقول له)
تذكر أن الطفل يبكي حين تنحيه أمه عن ثديها الأيمن ولكنه يجد
في اللحظة التالية سلوه في ثديها الأيسر . (يمضي حامل
المشعلين في مشية متمهلة والآخر يتبعه حاملا الشاب بين
يديه)

(ستار)

المفهرست

صفحة

قصص قصيرة :

١	— تحت المظلة	٣
٢	— النوم	١٥
٣	— الظلام	٢٩
٤	— الوجه الآخر	٤١
٥	— الحاوى خطف الطبق	٥٥
٦	— ثلاثة أيام في اليمن	٦٧

مسرديات من فصل واحد :

٧	— يميت ويحيى	١٠٥
٨	— التركة	١٣٧
٩	— النجاة	١٦٧
١٠	— مشروع للمناقشة	١٩٥
١١	— المهمة	٢١٩

كلمة الناشر

تعرفت بالأستاذ نجيب محفوظ — أول معرفتي به — سنة ١٩٤٣ م ؛ ذلك أن شقيقى الأديب الراحل عبد الحميد جودة السحار ، حضر إلّى فى المكتبة التى أملكها — مكتبة مصر بالفجالة — وبصحبه شاب فى مثل سنّه ، فى حوالى الثلاثين من عمره ، وقدمه إلّى باسمه « نجيب محفوظ »^(١) ، وقال لى : إنه يحمل معه رواية من تأليفه يرجو أن أقوم بطبعها ونشرها له .

وقدّم إلّى نجيب محفوظ روايته « رادوبيس » ، وهى ليست أول رواية يكتبها ؛ فقد كتب قبلها رواية « عبث الأقدار » ، وكان قد طبعها ونشرها له الأستاذ سلامة موسى .

أخذت منه الرواية ، ووعدت أن أبدى فيها رأى بعد يومين . وقرأت رواية « رادوبيس » فذهلت ! فهى مكتوبة بلغة عربية رصينة وبلغية ، وتختلف عن كل الروايات العربية التى ظهرت حتى ذلك الوقت ؛ فحوادثها شائقة ، محبوكة بمهارة عجيبة وأستاذية مقتدرة ، وتحكى قصة غرام الفرعون ، أو الملك مرنرع الثانى بالراقصة الفاتنة رادوبيس ، واستيلائه على أملاك المعابد وأموال الكهنة ، وإنفاقها على نزواته الخاصة فى بذخ شديد ، حتى أطلق عليه الشعب لقب « الملك العايب » ، وقد انتهت الرواية بقتل الملك بسهم أطلقه عليه أحد أفراد الشعب .

والشئ بالشئ يُذكر ؛ فقد رأى أعوان الملك فاروق — فيما بعد — أن

(١) قال لى شقيقى عبد الحميد : إن والدة نجيب محفوظ تعسرت فى ولادته تعسراً شديداً ، وأن الفرج جاء على يدى الطبيب المعروف د . نجيب محفوظ ، وأنها أطلقت على وليدها اسم نجيب محفوظ ، تيمناً به .

بالرواية تعريضاً مقصوداً بالملك فاروق ، حيث كان الشعب في مصر يطلق عليه كذلك لقب « الملك العايب » ، وأن فيها دعوة إلى الخلاص منه بقتله .
ولما حضر نجيب ـ موط ليعرف رأى في الرواية ، أبدت له استعدادى ، بل وترحيبى بطبعها ونشرها .

واعترضتنى عندئذ مشكلة الحصول على الورق الذى تطبع عليه الرواية ، فقد كانت الحرب العالمية الثانية فى عنفوانها ، والورق معدوم تماماً من السوق .
ومهما يكن من أمر ، فقد حصلت على كمية من الورق من الجيش البريطانى ، وطبعت عليه الرواية — ٥٠٠ نسخة فقط — بناء على نصيحة نجيب محفوظ ، الذى كان يخشى أن يعرضنى للخسارة ، بالألا تستوعب السوق عدداً أكبر .
وأخيراً وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها ، وساد السلام ، ونشرنا لنجيب محفوظ روايات وقصص هـس الجنون ، كفاح طيبة ، خان الخليلي ، القاهرة الجديدة ، زقاق المدق ، السراب ، بداية ونهاية ؛ طبعنا منها أعداداً تتراوح بين خمسة آلاف وعشرة آلاف . وقد أعيد طبع كل منها حتى الآن ست عشرة طبعة أو يزيد .

حتى كان يوم من سنة ١٩٥٦م ، إذ فوجئت بنجيب محفوظ يحضر إلى المكتبة يحمل على ذراعه كمية ضخمة من الأوراق — أكثر من ألف فرخ فولسكاب — وطلب منى أن أطبعها وأنشرها له فى كتاب واحد .

وكانت هذه الأوراق تحتوى على ثلاثية نجيب محفوظ .

وكان نجيب قد عرض ثلاثيته على الدكتور طه حسين ليقرأها ويبدى رأيه فيها ، فنشر عنها بحثاً مطوئاً فى جريدة الأهرام ، بشر فيه بمولد روائى كبير فى الأدب العربى ، بل مولد رائد فن كتابة الرواية العربية الحديثة .

وكان رأى أن طبع الرواية فى كتاب واحد ، يحد من بيعها على نطاق واسع ،

واقترحت أن تُطبع في ثلاثة أجزاء ، فوافق نجيب على رأى .
وفعلاً ظهرت الثلاثية في ثلاثة كتب هي : بين القصرين ، وقصر الشوق ،
والسكينة .

وبظهور هذه الكتب اتسعت شهرة نجيب محفوظ كأعظم روائى في مصر ،
بل في العالم العربى كله .

وتنحصر عبقرية نجيب محفوظ في أن شخصيات قصصه ورواياته هي من
واقع الحياة في الأحياء الشعبية بخاصة ، التى عاش طفولته يرتع بين ربوعها ،
وقضى فترات كثيرة من شبابه وكهولته وهو يتردد على شوارعها وحاراتها
وأزقتها ، يعاشر ناسها .. يكلمهم ويستمع إليهم ، وفي نفس الوقت يغوص في
أعماقهم ويدرس طباعهم ، ثم يصور ما ينطبع في نفسه من كل ذلك في كتاباته .
وإن كتابات نجيب محفوظ تتميز بميزة فريدة ، فهو يصغى بإمعان إلى كل من
يحادثه ، ويهتم بكل ما يروى أمامه ، سواء أكان حكاية غريبة ، أو قولاً طريفاً ،
أو نكتة ظريفة ، فيحفظ ذلك في ذاكرته جيداً ، حتى إذا عاد إلى منزله أسرع
بتدوينه حتى لا يضيع منه أو ينساه ، ثم يفيد منه بعد ذلك في كتاباته ، حيث يظهر
في المكان والزمان المناسبين له .

وبعد الثلاثية تلا حصاد وافر من القصص والروايات ، ولا يزال نجيب محفوظ
— مدّاً الله في عمره — يتدفق عطاؤه للمكتبة العربية .

وإن حصول نجيب محفوظ على جائزة نوبل العالمية في الآداب هو اعتراف
بقيمة الأدب العربى بين الآداب العالمية ، ولو أن هذا التقدير جاء متأخراً عن
موعده خمسة وعشرين سنة .

سعيد جودة السحار

مؤلفات الأستاذ نجيب محفوظ

اسم الكتاب	تاريخ أول طبعة	تاريخ آخر طبعة
مصر القديمة	١٩٣٢	
همس الجنون	١٩٣٨	العاشر ١٩٧٩
عبث الأقدار	١٩٣٩	الحادية عشرة ١٩٨٥
رادوبيس	١٩٤٣	العاشر ١٩٨١
كفاح طيبة	١٩٤٤	الحادية عشرة ١٩٨٥
القاهرة الجديدة	١٩٤٥	الثالثة عشرة ١٩٨٧
خان الخليلي	١٩٤٦	العاشر ١٩٧٩
زقاق المدق	١٩٤٧	الحادية عشرة ١٩٨٥
السراب	١٩٤٨	الثالثة عشرة ١٩٨٧
بداية ونهاية	١٩٤٩	الخامسة عشرة ١٩٨٧
بين القصرين	١٩٥٦	الثالثة عشرة ١٩٨٦
قصر الشوق	١٩٥٧	الرابعة عشرة ١٩٨٧
السكرية	١٩٥٧	الثالثة عشرة ١٩٨٧
اللص والكلاب	١٩٦١	التاسعة ١٩٨٠
السمان والحريف	١٩٦٢	التاسعة ١٩٨٥
دنيا لله	١٩٦٢	السادسة ١٩٨٧
الطريق	١٩٦٤	الثامنة ١٩٨٤
بيت مسيء السمعة	١٩٦٥	السابعة ١٩٨٣
الشحاذ	١٩٦٥	الثامنة ١٩٨٥
ثرثرة فوق النيل	١٩٦٦	السابعة ١٩٨٧
ميرamar	١٩٦٧	الخامسة ١٩٧٩
خمارة القط الأسود	١٩٦٩	السابعة ١٩٨٥
تحت المظلة	١٩٦٩	السادسة ١٩٨٤

اسم الكتاب	تاريخ أول طبعة	تاريخ آخر طبعة
حكاية بلا بداية ولا نهاية	١٩٧١	١٩٨٧ السابعة
شهر العسل	١٩٧١	١٩٨٢ السادسة
المرايا	١٩٧٢	١٩٨٠ الخامسة
الحب تحت المطر	١٩٧٣	١٩٨٠ الرابعة
الجريمة	١٩٧٣	١٩٨٤ الخامسة
الكرنك	١٩٧٤	١٩٨٦ السابعة
حكايات حارتنا	١٩٧٥	١٩٨٦ السادسة
قلب الليل	١٩٧٥	١٩٨١ الثالثة
حضرة المحترم	١٩٧٥	١٩٨٣ الرابعة
ملحمة الخرافيش	١٩٧٧	١٩٨٥ الرابعة
الحب فوق مضبة الهرم	١٩٧٩	١٩٨٧ الرابعة
الشیطان يعظ	١٩٧٩	١٩٨٧ الرابعة
عصر الحب	١٩٨٠	١٩٨٧ الثانية
أفراح القبة	١٩٨١	١٩٨٧ الثالثة
ليالى ألف ليلة	١٩٨٢	١٩٨٧ الثالثة
رأيت فيما يرى النائم	١٩٨٢	١٩٨٧ الثالثة
الباقى من الزمن ساعة	١٩٨٢	١٩٨٥ الثانية
أمام العرش (حوار بين الحكام)	١٩٨٣	١٩٨٥ الثانية
رحلة ابن فطومة	١٩٨٣	١٩٨٣ رواية
التنظيم السرى	١٩٨٤	١٩٨٤ مجموعة
العائش فى الحقيقة	١٩٨٥	١٩٨٥ رواية
يوم مقتل الزعيم	١٩٨٥	١٩٨٥ رواية
حديث الصباح والمساء	١٩٨٧	١٩٨٧ رواية
صباح الورد	١٩٨٧	١٩٨٧ مجموعة
تحت الطبع		
قشتمر		رواية
الفجر الكاذب		مجموعة

رقم الإيداع ٢٠٢٩

الترقيم الدولى : ٥ - ٢٠٢ - ٣١٦ - ٩٧٧

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - البحالة



الثلث ٥٠٠ قرش

دار مصر للطباعة
جودة السخار وشركاه